



شفاء السقام
في زيارة خير الأنام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شفاء السقام فى زياره خير الأنام

كاتب:

أبو الحسن الأنصارى الخزرى المصرى الشافعى

نشرت فى الطباعة:

مجلة حوزة

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٢	شفاء السقام فى زيارة خير الأنام
١٢	اشارة
١٢	المؤلف
١٢	المؤلف
١٢	اشاره
١٢	قالوا فيه
١٣	مشايخه
١٣	تلامذته و رواته
١٤	اعماله و وظائفه
١٤	ابنه تاج الدين
١٤	مؤلفاته و قائمه بأهمها
١٤	اشاره
١٥	قائمة بأهم مؤلفاته
١٦	ترجمة المؤلف: بقلم الحافظ ابن حجر العسقلانى فى الدرر الكامنة
١٦	اشاره
١٨	ترجمة المؤلف بقلم ابن كثير الدمشقى المؤرخ المفسر
١٩	مصادر ترجمته
١٩	اشاره
١٩	الكتاب
١٩	اشاره
١٩	الرد على ابن تيمية فى منع الزيارة
٢٠	شفاء السقام فى نظر الأعلام

- ٢١ من هو ابن عبدالهادى صاحب الصارم المنكى
- ٢١ اهم ما فى كتاب الصارم المنكى!؟
- ٢٢ الصارم المنكى فى نظر العلماء
- ٢٣ قاموس شتائم ابن عبدالهادى
- ٢٤ نصيحة للمعتريين بالسلفية فى عصرنا
- ٢٤ محتوى الكتاب ومادته
- ٢٤ عملنا فى الكتاب
- ٢٧ المقدمة
- ٢٧ فى الأحاديث الواردة فى الزيارة نسا
- ٢٧ من زار قبرى وجبت له شفاعتى
- ٢٧ اشاره
- ٢٧ روايته بتصغير عبيدالله
- ٢٩ متابعات و شواهد
- ٢٩ من رواه بتكبير عبدالله
- ٢٩ رأى المؤلف بترجيح رواية التصغير
- ٣٠ الاعتماد على رواية عبدالله
- ٣١ قوة الحديث بتضافر الإسناد
- ٣٢ دلالة الحديث
- ٣٢ من زار قبرى حلت له شفاعتى
- ٣٣ من جاءنى زائرا لا يعمله حاجة إلا زيارتى، كان حقا على أن أكون له شفيعا يوم القيامة
- ٣٤ من حج فزار قبرى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى
- ٣٧ من حج البيت و لم يزرنى فقد جفانى
- ٣٧ اشاره
- ٣٨ و حديث آخر: من رواية ابن عمر

- ٣٨ من زار قبرى أو من زارنى كنت شفيعا له أو شهيدا
- ٣٨ من زارنى متعمدا كان فى جوارى يوم القيامة
- ٣٩ من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى
- ٣٩ من حج حجة الإسلام، و زارى قبرى، و غزا غزوة، و صلى ...
- ٤٠ من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى و أنا حى
- ٤٠ من زارنى بالمدينة محتسبا كنت له شفيعا و شهيدا
- ٤١ ما من أحد من امتى له سعة ثم لم يزرنى، فليس له عذر
- ٤١ من زارنى حتى ينتهى إلى قبرى كنت له يوم القيامة شهيدا أو قال: شفيعا
- ٤٢ من لم يزر قبرى فقد جفانى
- ٤٢ من أتى المدينة زائرا...
- ٤٢ فى ما ورد من الأخبار والأحاديث دالا على فضل الزيارة وإن لم يكن فيه لفظ الزيارة
- ٤٢ اشاره
- ٤٤ فى علم النبى بمن يسلم عليه
- ٤٧ فى ما ورد فى السفر إلى زيارته صريحا و بيان أن ذلك لم يزل قديما و حديثا
- ٤٧ اشاره
- ٤٨ ابراد عمر بن عبد العزيز بالسلام على الرسول
- ٤٩ البداية بمكة أو بالمدينة، فى سفر الحج؟
- ٥٠ الفقهاء يقررون السفر لزيارة القبر الشريف
- ٥١ حكاية العتبي عن الأعرابى
- ٥١ فى نصوص العلماء على استحباب زيارة قبر سيدنا رسول الله و بيان أن ذلك مجمع عليه بين المسلمين
- ٥١ اشاره
- ٥٢ نصوص الحنابلة
- ٥٣ مناظرة الإمام مالك و أبى جعفر المنصور
- ٥٤ عمل الصحابة والتابعين

- ٥٥ استقبال القبر الشريف عند السلام عليه
- ٥٦ كراهة مالك لفظ: الزيارة
- ٥٧ عدم كراهة ذلك هو الحق
- ٥٧ نسبة المنع من الزيارة إلى أهل البيت
- ٥٨ حديث: لا تجعلوا بيتي عيداً
- ٥٨ في تقرير كون الزيارة قربة
- ٥٨ اشاره
- ٥٨ اما الكتاب العزيز
- ٥٩ و اما السنة
- ٦٠ زيارة النساء للقبور
- ٦٠ الاستدلال على استحباب زيارة النبي بالقياس
- ٦١ اقسام الزيارة
- ٦١ اجتماع الأغراض الشرعية في زيارة النبي خير البرية
- ٦٢ جهة القرية في زيارة القبور
- ٦٤ زيارة قبر النبي قرية
- ٦٦ في كون السفر إليها قرية
- ٦٦ اشاره
- ٦٨ اقسام العبادات
- ٦٩ بين المقدمة و الوسيلة
- ٧٠ اعتبارات السفر في مسألة الزيارة
- ٧٢ في دفع شبه الخصم و تتبع كلماته
- ٧٢ في شبهه
- ٧٢ حديث: لا تشد الرحال... ألفاظه و مصادرها
- ٧٢ اشاره

- ٧٣ دلالة الأحاديث و معناها
- ٧٤ محط البحث عند الفقهاء
- ٧٥ عنوان المسألة في كتب الفقه
- ٧٦ فتاوى مختلفة مزورة باسم علماء بغداد
- ٧٦ ابن تيمية يمنع الزيارة مطلقا، لا شد الرحل إليها فقط
- ٧٧ نص فتوى قديمة لابن تيمية
- ٧٨ مشروعية الزيارة
- ٨٠ القبور والشرك
- ٨١ في تتبع كلماته
- ٨١ اشاره
- ٨١ صورة فتوى ابن تيمية التي استنكرها علماء الملة الإسلامية
- ٨٣ الرد على فتوى ابن تيمية
- ٨٩ في التوسل، والاستغاثة، والتشفع بالنبي
- ٨٩ اشاره
- ٩٠ حديث توسل آدم بالنبي
- ٩٠ توسل عيسى بالنبي
- ٩٠ توسل نوح و ابراهيم و سائر الأنبياء بنينا
- ٩٠ التعبير عن التوسل والاستغاثة
- ٩١ حديث الأعمى المتوسل بالنبي
- ٩٢ التوسل بالنبي بعد موته
- ٩٣ حديث الاستسقاء بالنبي في حياته
- ٩٤ استسقاء عمر بالعباس عم النبي
- ٩٤ التفرقة بين الألفاظ
- ٩٥ التوسل بالنبي في عرصات القيامة

- ٩٥ التوسل بالنبي فى البرزخ
- ٩٥ التوسل بالنبي بتسببه
- ٩٦ لا حرج فى الألفاظ كلها
- ٩٦ الاستغائة
- ٩٧ فى حياة الأنبياء
- ٩٧ اشاره
- ٩٧ فيما ورد فى حياة الأنبياء
- ٩٧ اشاره
- ٩٩ احاديث الاسراء و لقاء الأنبياء أحياء
- ١٠٢ فى الشهداء
- ١٠٢ اشاره
- ١٠٣ حياة الشهداء: للروح أو للجسد؟
- ١٠٣ فى سائر الموتى فى السماع والكلام والإدراك والحياة وعود الروح إلى الجسد
- ١٠٧ قد عرفت مقالات الناس فى سائر الموتى وفى الشهداء...
- ١٠٨ كان المقصود بهذا كله تحقيق السماع و نحوه من الأعراض بعد الموت...
- ١١٠ فى الشفاعة
- ١١٠ اشاره
- ١١٧ التوسل بالأنبياء
- ١١٧ سؤال الأنبياء قبل الرسول؟
- ١١٧ عصمة الأنبياء من الصغائر والكبائر
- ١١٨ ترتيب الشفاعات حسب الروايات
- ١١٩ اهل لا إله إلا الله
- ١٢٠ السلف والشفاعة
- ١٢٠ فى المقام المحمود

- ١٢٠ دعوة الرسول هي الشفاعة
- ١٢٠ خاتمة في نصوص الصلوات على النبي
- ١٢١ اشاره
- ١٢٢ بعض ما حفظ عن الصحابة و من بعدهم
- ١٢٣ سؤال المقعد المقرب يوم القيامة
- ١٢٣ باورقى
- ١٤٧ تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

شفاء السقام في زيارة خير الأنام

إشارة

نويسنده: أبو الحسن الأنصاري الخزرجي المصري الشافعي

ناشر: مجله حوزة

المؤلف

١ - قالوا فيه ٢ - مشايخه ٣ - تلامذته ورواته ٤ - أعماله ووظائفه ٥ - ابنه تاج الدين ٦ - مؤلفاته، وقائمه بأهمها ٧ - ترجمته بقلم الحافظ ابن حجر العسقلاني، وابن كثير الدمشقي ٨ - مصادر ترجمته. [صفحة ٤]

المؤلف

إشارة

علی بن عَیْد الكافی بن علی بن تمام، الأنصاري الخزرجي، أبو الحسن، تقي الدين، الشيبكي المصري الشافعي، المولود بسببك من أعمال المنوفية (ثالث صفر ٦٨٣) والمتوفى مسموماً بالقاهرة (رابع جمادى الآخرة ٧٥٦) ودفن بها بصعيد السعداء بباب النصر.

قالوا فيه

شيخ الإسلام [١] الإمام، القاضي، العلامة، الفقيه، المحدث الحافظ، فخر العلماء. كان صادقاً، متبناً، خيراً، ديناً، متواضعاً، من أوعية العلم، يدرى الفقه ويقزره، وعلم الحديث ويحرره، والأصول ويقرنها، والعربية ويحققها، وصنف التصانيف المتقنة. وقد بقي في زمانه الملحوظ إليه بالتحقيق والفضل، سمعت منه وسمع مني، وحكم بالشام وحمدت أحكامه، فإله يؤيده ويُسدده، سمعنا معجمه بالكلية [٢]. قال فيه شيخه الدمياطي: إمام المحدثين، وقال ابن الرفعة: إمام الفقهاء، فلما بلغ ذلك الباجي فقال: وإمام الأصوليين [٣]. حجة المذاهب، مفتي الفرق، قدوة الحفاظ، آخر المجتهدين، قاضي القضاة، [صفحة ٥] تقي البر، العلي القدر [٤]. الإمام الحافظ المجتهد النظار [٥] العلامة ذي الفنون فخر الحفاظ، صاحب التصانيف، ثقة، جَم الفضائل، حسن الديانة، صادق اللهجة، قوي الذكاء، من أوعية العلم، رفيقنا الإمام [٦]. الإمام الحافظ العلامة، قاضي القضاة، بقية المجتهدين، ممن طَبِق الممالك ذكره، ولم يخف على أحد خبره. ممن جمع فنون العلم من الفقه والأدب والنحو واللغة والشعر والفصاحة والزهد والورع والعبادة الكثيرة والتلاوة والشجاعة والشدة في دينه [٧]. شيخ الإسلام، وأحد الأئمة المجتهدين الأعلام [٨]. شيخ الإسلام، إمام العصر، وتصانيفه تدل على تبخره في الحديث [٩]. الشيخ العالم الكبير، إمام من أئمة الشافعية، وعالم من كبار علماء الديار المصرية، ومن يُعترف له بالرتب العلية، وله عدالة الأصل وأصالة القول، وإصابة النقل، ورزانة العقل، وجزالة القول والفعل، وماتة الدين والفضل، إلى تحصيل ونفَس وتَأصيل في المنقولات والمعقولات وتمكَّن نظر راجح وحفظ راسخ، وتقدَّم في الحديث والرواية عال شامخ. كريم: شهد له العيان، وإليه يعزى البيان، ومن بحره يخرج اللؤلؤ والمرجان إلى آداب غضة، وفضائل من فضة [١٠]. [صفحة ٦] كان أنظر من رأيناه من أهل العلم، ومن أجمعهم للعلوم، وأحسنهم كلاماً في الأشياء الدقيقة، وأجلدهم على ذلك. وكان في غاية الإنصاف والرجوع إلى الحق في المباحث ولو على لسان آحاد المستفيدين منه مواظباً على وظائف العبادات، مراعيّاً لأرباب الفنون [١١]. تفقّه به جماعة من الأئمة، وانتشر صيته وتوايفه، ولم يخلف بعده مثله [١٢]. ومحاسنه ومناقبه أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر [١٣]. وقد اعترف بفضل السلفية أتباع ابن

تيمية: فقال ابن كثير: الإمام العلامة... قاضى دمشق... برع فى الفقه والأصول والعربية وأنواع العلوم... انتهت إليه رئاسة العلم فى وقته... وله كلام فى صححة القراءات أبان فيه عن تحقيق وسعة اطلاع [١٤]. وقال الزركلى الوهابى: شيخ الإسلام فى عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين [١٥]. ولما نقل الكتانى كلام الذهبى فيه، قال: فقف على وصفه له بـ «فخر الحفاظ» وكونه «من أوعية العلم» وناهيك بذلك [١٦].

مشايخه

جمعهم أبو الحسين أحمد بن أيبك الحسامى الدماطى فى (معجمه) فى عشرين جزءاً ولم يستوعبهم، سمعه عليه الحفاظ كالمزى والذهبى، وانتقى منه [صفحة ٧] ولده أبو نصر أربعين حديثاً حدث بها وبغيرها من المرويات، فمنهم: ١- والده: تفقه عليه فى صغره. ٢- نجم الدين ابن الرفعة: آخر من اشتغل عليه. ٣- علاء الدين الباجى: أخذ الأصولين وسائر المعقولات عنه. ٤- سيف الدين البغدادى: أخذ الخلاف والمنطق عنه. ٥- أبو حيان: أخذ النحو عنه. ٦- العراقى علم الدين: أخذ التفسير عنه. ٧- تقى الدين ابن الصائغ: أخذ القراءات عنه. ٨- الدماطى الحافظ شرف الدين: أخذ الحديث عنه، ولازمه كثيراً. ٩- الحافظ إمام الفن سعد الدين الحارثى: أخذ الحديث منه وهو كبير. ١٠- ابن عطاء الله تاج الدين: أخذ التصوف عنه. ١١- الشيخ عبد الله الغمارى المالكى: أخذ الفرائض عنه. ١٢- ابن مشرف: أخذ عنه بدمشق. ١٣- يحيى بن الصواف: أخذ عنه بالاسكندرية. ١٤- عبد الرحمن بن مخلوف بن جماعة: أخذ عنه بالاسكندرية. ١٥- يحيى بن محمد بن عبد السلام: أخذ عنه بالاسكندرية. ١٦- على بن نصر بن الصواف، أخذ عنه بالقاهرة. ١٧- على بن عيسى بن القيم: أخذ عنه بالقاهرة. ١٨- على بن محمد بن هارون الثعلبى: أخذ عنه بالقاهرة. ١٩- الرضى الطبرى: أخذ عنه. ٢٠- ابن الموازى أبو جعفر: أخذ عنه بدمشق. ٢١- الذهبى: قال: كتب عنى وكتبت عنه، وسمعتة وسمع منى. ٢٢- الحافظ مسعود الحارثى: حدث عنه. [صفحة ٨] ٢٣- أبو نصر الشيرازى: حدث عنه. ٢٤- ابن بنت الأعرز: ذكره ولده، وابن قاضى شهبه. ٢٥- شيخ الإسلام تقى الدين ابن دقيق العيد: قال ولده: وقيل: إن والده دخل به إليه وعرض عليه التنبه ولم يتحقق هو ذلك. ٢٦- الحسن بن عبد الكريم سبط زيادة، قال ابن كثير: سمع الشاطبية والرائية منه أخذ عنه بالقاهرة. ٢٧- عبد المؤمن بن خلف الدماطى الحافظ: أخذ عنه بالقاهرة. ٢٨- شهاب بن على المحسنى: أخذ عنه بالقاهرة. ٢٩- موسى بن على بن أبى طالب: أخذ عنه بالقاهرة. ٣٠- محمد بن عبد العظيم السقطى: كذلك. ٣١- محمد بن المكرم الأنصارى: كذلك. ٣٢- محمد بن محمد بن عيسى الصوفى: كذلك. ٣٣- محمد بن نصير بن أمين الدولة: كذلك. ٣٤- يوسف بن أحمد المشهدى: كذلك. ٣٥- عمر بن عبدالعزيز الحسين بن رشيق: كذلك. ٣٦- شهبه بنت عمر بن العديم: كذلك. ٣٧- أبو بكر بن أحمد بن عبدالدائم: أخذ عنه بدمشق. ٣٨- أحمد بن موسى الدشتى: كذلك. ٣٩- اسحاق بن أبى بكر بن النحاس: كذلك. ٤٠- عيسى المطعم: كذلك. ٤١- سليمان بن حمزة القاضى: كذلك. ٤٢- الرشيد بن أبى القاسم: أجاز له من بغداد. ٤٣- إسماعيل بن الطبال: أجاز له من بغداد. [صفحة ٩] وغيرهم، خلق، وجمع معجمه الجم الغفير، والعدد الكثير [١٧].

تلامذته ورواته

قال الدمشقى الحسينى فى ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٩: تخرج به طائفة من العلماء وحمل عنه أمم. منهم: ١- ولده القاضى أبو نصر، عبد الوهاب صاحب (طبقات الشافعية). ٢- أبو المعالى ابن رافع. ٣- خالد بن أحمد البلدى الأندلسى: صاحب الرحلة «تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق» قال: لقيته بمنزله فى القاهرة، وسمعت عليه، ورسم لى الإجازة العامة بخطه. ٤- أبو محمد البرزالى، ذكره ابنه فى الطبقات. ٥- الحافظ أبو الحجاج المزى. ٦- الحافظ الذهبى. ذكر سماعه عليه ابن قاضى شهبه فى طبقات الشافعية، وقد اعترف الذهبى بكتابه عنه، وسماعه منه. ٧- سراج الدين البلقينى. ٨- محمد بن يعقوب المقدسى، قرأ عليه القراءات. ٩- أحمد بن الغزى الشهير بالشريف الحسينى قرأ عليه القراءات. ١٠- الإسنى صاحب الطبقات، قال فيه: شيخنا. ١١- خليل بن أيبك الشيخ صلاح الدين

الصفدي، قال السبكي: قرأ على الشيخ الإمام جميع كتاب «شفاء السقام في زيارة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام» [١٨]. [صفحة ١٠] ١٢ - أبو البقاء ١٣ - ابن النقيب ١٤ - تقي الدين أبو الفتح. قال ابن قاضي شهبه: وأولاده، وغيرهم من الأئمة الأعلام.

اعماله ووظائفه

تولى مشيخته المعاد بالجامع الطولوني، بمصر. تولى قضاء الشام عند شغوره بموت الجلال القزويني في جمادى الآخرة سنة (٧٣٩) فباشر ذلك على ما يليق به واستمر إلى سنة (٧٥٦). قال ولده: سنة تسع وثلاثين وسبعمائه في تاسع عشر جمادى الآخرة منها، طلبه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وذكر له أن قضاء الشام قد شغر، وأراده على ولايته، فأبى، فما زال السلطان، فقبل الولاية: يا لها غلطة، أف لها، وورطة ليتها صمم ولا فعلها! [١٩]. قالوا: فما حفظ عنه في التركات، ولا في الوظائف ما يُعاب عليه، وكان متقشفاً في أموره، متقللاً من الملابس، وكان لا يستكثر على أحد شيئاً. ولما مات وجدوا عليه اثنين وثلاثين ألف درهم ديناً [٢٠]. درّس في مدارس الشام بالغازية، والعادلية الكبرى، والأتابكية، والمسروورية، والشامية البرانية - ولها بعد موت ابن النقيب - وولى بعد وفاة الحافظ المزي مشيخته دار الحديث الأشرفية. وقد خطب بجامع دمشق مدّة، وقال الذهبي في ذلك شعراً: [صفحة ١١] ليهن المنبر الأموي لما علاه الحاكم البحر التقيسيوخ العصر أحفظهم جميعاً وأخطبهم وأقضاهم على [٢١]. وانظر الى قوله: «وأقضاهم على» فيه اقتباس جلي، ولذلك قال العمري في شأنه: سمى على كرم الله وجهه، الذي هو باب العلم، ولا غرو أن كان هذا المدخل إلى ذلك الباب، والمستخرج من دقيق ذلك الفضل هذا الباب والمستعير من تلك المدينة التي ذلك الباب بأبها، والواقف عليها من سميه فذاك بأبها وهذا بؤابها [٢٢].

ابنه تاج الدين

لقد خلف الإمام السبكي أولاداً فضلاء، كلهم قضاة نابهون، إلا أن أنبههم وأشهرهم الإمام ابن السبكي: تاج الدين عبد الوهاب صاحب (طبقات الشافعية) الكبرى. ولد (٧٢٨) وختم القرآن صغيراً وطلب العلم وهو ابن عشر سنين بدمشق، وعنى بالحديث، وأجاز له الحجاز، ولازم الذهبي، وسمع الكثير من شيوخ عصره، ومهر في الفنون، وولى قضاء دمشق بعد أبيه، وخرج له مع قصر عمره ما يتعجب منه، قاله ابن حجر في طبقات الحفاظ. وقال الذهبي في (المعجم المختص): وكتب عنى أجزاء نسخها وأرجو أن يتميز في العلم، درّس وأفتى وعنى بهذا الشأن. وقال البوني في ثبته: الإمام المجمع على جلاله قدره وتمايم بدره، بل لو قيل: «لو قدر إمام خامس مع الأئمة الأربعة لكان ابن السبكي». نقل كل هذا المحدث العلامة الكتاني في فهرس الفهارس والأثبات [صفحة ١٢] ص ١٠٢٨ رقم ٥٨٦، وقال: من تأمّل ترجمة ابن السبكي هذا، بقلم الحافظ ابن حجر، مع ترجمة أبيه بقلم الحفاظ الأعلام: الذهبي وابن ناصر والحسيني والسيوطي في طبقات الحفاظ، يعلم عظمة الرجلين (السبكي وابنه). لأن من ذكر - خصوصاً الذهبي وابن ناصر - كانا كالأخصمين لهم، لتشيعهما لابن تيمية وحزبه، خصوصاً ابن ناصر: كان يُعادى بعداوته، ويحبّ بحبه! ومع ذلك ما وسعهما إلا الاعتراف للأب والابن، بما ذكر! قال الكتاني: لتعلم، أن الحق أحقُّ بالاتباع. فما يتقوله بعض من لا علم له: «بأن السبكي إنما مجده وقدسه ولده في الطبقات!» هو الدليل بعينه على جهل قائله وكذبه! [٢٣].

مؤلفاته وقائمة بأهمها

إشاره

قال الذهبي: صنّف التصانيف المتقنة. وقال السيوطي: صنّف أكثر من مائة وخمسين مصنفاً، تدلّ على تبحره في الحديث. وقال الحسيني

الدمشقي: كتب بخطه المليح الصحيح المتقن شيئاً كثيراً من سائر علوم الإسلام... وسارت بتصانيفه وفتاويه الركبان. قال ابن حجر: كان لا تقع له مسألة مستغربة أو مشكلة إلا ويعمل فيها تصنيفاً يجمع فيه شتاتها، طال أو قصر، وذلك يبين في تصانيفه. وقال الحافظ ابن حجر: قد استوعب ولده عدّة تصانيفه في ترجمته التي أفردتها وأفرد مسائلها التي انفرد بتصحيحها أو باختيارها في كتابه (ترشيح التوشيح). وسنذكر نحن بعض ما ذكره له، ولنقدّم ما أورده المترجمون من المجاميع [صفحة ١٣] المنسوبة إليه: أ - قال الكتاني: وقد ظفرت في المكتبة الخالدية ببيت المقدس لما زرته عام (١٣٢٤) بمجموعة بخط المترجم له الشيخ تقي الدين السبكي، اشتملت على عدّة مؤلفات، منها: ١ - الأدلة في إثبات الأهلّة. ٢ - رسالته في مضارّ القصيدة النونية المتضمنة الردّ على الأشاعرة. وهي (٢٥) ورقة في القالب الكبير، كتبت سنة (٧٤٩). ٣ - الاعتبار ببقاء الجنّة والنار. كتبت (٧٤٨) تتضمن تضييل من قال بفناء النار من أهل عصره. وغير ذلك، وهي مجموعة قيمة لا ثمن لها، من النفاسة بمكان [٢٤]. ب - وقال الزركلي الوهابي في أعلامه ٣٠٢/٤: ورأيت مجموعة أخرى كلها بخطه في الرباط (٣٠٦ أوقاف) تشتمل على تسع رسائل له، منها: ١ - المحاورّة والنقاط في المجاورة والرباط. ٢ - مصمّي الرماه في وقف حماه. وقال ولده: حجّ في سنة (٧١٦) ثم عاد، وألقى عصا السفر واستقرّ، وانتهت إليه رئاسة المذهب بمصر... وفي هذه المدّة ردّ على الشيخ ابن تيمية في مسألتي الطلاق والزياره، وألّف غالب مؤلفاته المشهورة: كالتفسير، وتكملة شرح المهذب، وشرح المنهاج للنووي، وغير ذلك من مبسوط ومختصر [٢٥]. [صفحة ١٤]

قائمة بأهم مؤلفاته

١ - النكت على صحيح البخاري، في مجلد. قال الكتاني: وقفت عليه بمكتبة مكناسة. ٢ - ضياء المصاييح في اختصار مصاييح البغوي. ذكره الكتاني. ٣ - السيف المسلول على من سب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم). ذكره السبكي، والكتاني، والزركلي: له نسخ في تركيا: في السليمانية ٢٤ (٣١٩) وعاشر أفندي ١٢ (١٦١) وفيض الله ١١٣ (٢١٣٢) ولاله لي ٣٨ (٣٦٥) ويكي جامع ١٢ (٢٠٩). ٤ - إبراز الحكم من حديث رفع القلم. ذكره الكتاني، وذكره ولده السبكي وذكر بعده: الكلام على حديث رفع القلم، وكأنهما واحد. ومنه نسخة في دار الكتب بالقاهرة رقم (١٦١٦) و(١٦٢٥) وله مختصر في الظاهرية رقم ٢٩٤ مجموع (٣٢). ٥ - الدر النظيم في تفسير القرآن العظيم. ذكره السبكي وذكره الزركلي، وقال: لم يكمل، وله جهود تفسيرية متفرقة بين آيات خصّص لها أجزاء صغار، سنعدّها، وبين آيات متفرقة جمعت في بداية (فتاوى السبكي). ٦ - إحياء النفوس في صنعة إلقاء الدروس. ذكره السبكي ولده، وذكره الزركلي. ٧ - الإغريض في الحقيقة والمجاز والكناية والتعريض. ذكره السبكي، والزركلي. ٨ - المسائل الحلبية في الفقه. ذكره السبكي، والزركلي. [صفحة ١٥] ٩ - شفاء السقام في زيارة خير الأنام. ذكره ولده وهو كتابنا هذا، ردّاً على ابن تيمية في تحريمه زيارة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ويسمى (شنّ الغارة على مانع الزيارة) وسيأتي الكلام عنه مفصّلاً. ١٠ - المحاورّة والنقاط في المجاورة والرباط. قال الزركلي: وجدتّها في مجموعة بخطه في الرباط (٣٠٦ أوقاف) ضمن تسع رسائل له. ١١ - مصمّي الرماه في وقف حماه. ذكره الزركلي مع المجموعة (٣٠٦ أوقاف - في الرباط). ١٢ - الأدلة في إثبات الأهلّة. ذكره الكتاني والزركلي، ضمن مجموعة بخطه، في المكتبة الخالدية، بالقدس الشريف. ١٣ - الاعتبار ببقاء الجنّة والنار. ذكره ولده، وذكره الكتاني والزركلي، ضمن مجموعة الخالدية بالقدس. وهو مطبوع. ١٤ - السيف الصقيل في الردّ على ابن زفيل. ردّ على القصيدة النونية لابن قيم الجوزية الحنبلي السلفي، الموسومة بالكافية في العقائد ردّاً على الأشاعرة، رآها الكتاني والزركلي في مجموعة الخالدية بالقدس كما مرّ في بداية هذه القائمة، وهو مطبوع مع تكملة مهمّة للإمام الكوثري. ١٥ - الابتهاج في شرح المنهاج في الفقه الشافعي. ذكره السبكي والزركلي. ١٦ - الفتاوى السبكية. ذكره ولده والزركلي، وذكر ابن حجر: أن ولده عبد الوهاب جمع فتاواه [صفحة ١٦] ورتبها في أربع مجلدات، طبع في مصر في مجلدين، وأعادته دار المعرفة - بيروت. ١٧ - التمهيد فيما يجب فيه التحديد. ذكره الزركلي وأشار إلى أنه مطبوع، وأنه في المبيعات والمقاسمات والتعليكات وغيرها. ١٨ - تكملة (المجموع في شرح المهذب للنووي) من باب الربا إلى التفليس، في خمس

مجلدات، ذكره السبكي ولده ١٩ - التحبير المذهب في تحرير المذهب. وهو شرح مبسوط على (المنهاج). ذكره السبكي، وقال: ابتدأ فيه من كتاب الصلاة، فعمل قطعة نفيسة. ٢٠ - الابتهاج في شرح المنهاج للنووي. قال السبكي: وصل فيه إلى أوائل الطلاق. ثم كمله ابنه أحمد بهاء الدين، كما في كشف الظنون ص ١٨٧٣.٢١ - الدرّة المضيئة في الردّ على ابن تيمية. طبعت في الرسائل السبكية، وفي (التوفيق الرباني). ٢٢ - التحقيق في مسألة التعليق. قال السبكي: وهو الردّ الكبير على ابن تيمية في مسألة الطلاق. ٢٣ - رافع الشقاق في مسألة الطلاق. قال السبكي: وهو الردّ الصغير على ابن تيمية. وله رد ثالث مختصر باسم النظر المحقق، مطبوع في الفتاوى ٢/ ٣٠٩. وذكر ولده السبكي المؤلفات التالية له: ٢٤ - أحكام «كلّ» وما عليه تدلّ. ٢٥ - بيان حكم الربط في اعتراض الشرط على الشرط. [صفحة ١٧] ٢٦ - الإقناع في الكلام على أن «لو» للامتناع. ٢٧ - وشئ الحلي في تأكيد النفي بلا. ٢٨ - الكلام على حديث «إذا مات ابن آدم انقطع عمله». ٢٩ - أجوبة سؤالات حديثية وردت من الديار المصرية حول بعض ما في (تهذيب الكمال) للمزي. وذكره الكتاني. ٣٠ - تنزيل السكينة على قناديل المدينة. نشر في الفتاوى السبكية ١/ ٢٧٤.٣١ - مسألة فناء الأرواح. ٣٢ - مسألة في التقليد في أصول الدين. ٣٣ - المفرق في مطلق الماء والماء المطلق. ٣٤ - أمثلة المشتق. وهي أرجوزة في الصرف ذكرها السبكي، وأوردها طابعو طبقات الشافعية في هوامش الصفحات ص ١٨٦ وما بعدها من الجزء (١٠) منها. ٣٥ - القول الصحيح في تعيين الذبيح. ٣٦ - القول المحمود في تنزيه داود. ٣٧ - ورد العجل في فهم العجل. ٣٨ - التهدي في معنى التعدي، في الصرف. ٣٩ - بيان المحتمل في تعدي «عمّال» وانظر الرقم (٤٩). ٤٠ - نيل العلاء بالعطف بلا. ٤١ - الألفاظ: هل وضعت بإزاء المعاني الذهبية، أو الخارجية؟ ٤٢ - أحاديث رفع اليدين، ذكره ولده، والكتاني. ٤٣ - الاقتناص في الفرق بين الحصر، والقصر، والاختصاص، في علم البيان. [صفحة ١٨] ٤٤ - نصيحة القضاة. ٤٥ - كتاب برّ الوالدين. وقد ذكر ولده من مؤلفاته ما يدخل ضمن التفسير، مثل: ٤٦ - التعظيم والمنّة في لتؤمن به، ولتنصرته الآية ٨١ من سورة آل عمران، وهو مطبوع في فتاوى السبكي ١/ ٤٨.٤٧ - الإقناع في تفسير قوله تعالى: ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع الآية ١٨ من سورة غافر، ولاحظ فتاوى السبكي. ٤٨ - الحلم والأناه في إعراب قوله: غير ناظرين إناه الآية ٥٣ من سورة الأحزاب، طبع في فتاوى السبكي ١/ ١٠٥.٤٩ - تفسير: يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا الآية ٥١ من سورة المؤمنون. ٥٠ - الكلام على قوله تعالى: لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن الآية ٢٣٦ من سورة البقرة. هذا ما اخترناه من أسماء مؤلفاته التي تبلغ (١٥٠)، وقد أورد ولده السبكي أسماء ما يزيد على (١٢٥) منها في ترجمته في طبقات الشافعية ١٠/ ٣٠٧ - ٣١٥ وأورد (١٨) رسالة ذات النصوص الصغار في الفتاوى السبكية، وجمع بعضها الاستاذ كمال أبو منى في (الرسائل السبكية) وهو مطبوع. ومما طبع أيضاً في الفتاوى السبكية: ٥١ - بذل الهمة في أفراد العمّ وجمع العمّة ١/ ٩٧.٥٢ - الفهم السديد في إنزال الحديد ١/ ١٢٩.٥٣ - إشراق المصايح في صلاة التراويح ١/ ١٦٥.٥٤ - الاعتصام بالواحد الأحد من إقامة جمعيتين في بلد ١/ ١٨١.٥٥ - مختصر: فصل المقال في هدايا العمّال ١/ ٢١٣. [صفحة ١٩] ٥٦ - حفظ الصيام من قوت التمام ١/ ٢٣٠.٥٧ - قدر الإمكان المختطف في دلالة «كان إذا اعتكف» ١/ ٢٤٢.٥٨ - نثر الجمان في عقود الرهن والضمان ١/ ٣٠٩.٥٩ - مته الباحث في دين الوارث ١/ ٦٠.٣٣٠ - الطريقة النافعة في الإجارة والمساقاة والمزارعة. ٦١ - مؤلف في مياه دمشق. ٦٢ - الغيث المغدق في ميراث ابن المعتق ٢/ ٢٢٤.٦٣ - مؤلف في ترميم الكنائس ٢/ ٣٦٩.٦٤ - الدلالة على عموم الرسالة ٢/ ٥٩٤.

ترجمة المؤلف: بقلم الحافظ ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة

إشاره

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: على بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان بن علي بن سوار بن سليم السبكي تقي الدين، أبو الحسن الشافعي. ولد بسبك العيد، أول يوم من صفر سنة (٦٨٣) وتفقه على

والده، ودخل القاهرة، واشتغل على ابن الرفعة، وأخذ الأصلين عن الباجي، والخلاف عن السيف البغدادي، والنحو عن أبي حيان، والتفسير عن العلم العراقي، والقراءات عن التقى الصائغ، والحديث عن الدمياطي، والتصوّف عن ابن عطاء الله [٢٦] والفرائض عن الشيخ عبدالله الغماري. وطلب الحديث بنفسه، ورحل فيه إلى الشام، والإسكندرية والحجاز، فأخذ عن ابن الموازيني، وابن مشرف، وعن يحيى بن الصواف وابن القيم، والرضي [صفحة ٢٠] الطبري، وآخرين يجمعهم معجمه الذي خرج له أبو الحسين ابن أبيك. وولي بالقاهرة تدريس المنصورية، وجامع الحاكم والكهاريه وغيرها. وكان كريم الدين الكبير والجاى الدوادار وجنكلى بن البابا والجاولي وغيرهم من أكابر الدولة الناصرية يعظّمونه ويقضون بشفاعته الأشغال. ولما توفى القاضي جلال الدين القزويني بدمشق، طلبه الناصر في جماعة ليختار منهم من يقرّره مكانه، فوقع الاختيار على الشيخ تقى الدين، فولّيا - على ما قرأت بخطه - في تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ٧٣٩، وتوجه إليها مع نائبها تنكز، فباشر القضاء بهمة وصرامة وعفة وديانة. وأضيفت إليه الخطابة بالجامع الأموي فباشرها مدّة في سنة ٧٤٢، ثم أعيدت لابن جلال القزويني. وولى التدريس بدار الحديث الأشرفية، بعد وفاة المزي، وتدرّس الشامية البرانية بعد موت ابن النقيب في أوائل سنة ٤٦، وكان طلب في جمادى الأولى إلى القاهرة بالبريد ليقرر في قضائها فتوجه إليها وأقام قليلا ولم يتم الأمر وأعيد إلى وظائفه بدمشق، ووقع الطاعون العام في سنة ٧٤٩ فما حفظ عنه في التركات ولا في الوظائف ما يُعاب عليه. وكان متقشفاً في أموره متقللاً في الملابس، حتى كانت ثيابه في غير الموكب تقوم بدون الثلاثين درهماً وكان لا يستكثر على أحد شيئاً حتى أنه لما مات وجدوا عليه اثنين وثلاثين ألف درهم ديناً، فالتزم ولداه تاج الدين وبهاء الدين بوفائها. وكان لا يقع له مسألة مستعربة أو مشكلة إلا وجعل فيها تصنيفاً يجمع فيه شتاتها طال أو قصر، وذلك يبين في تصانيفه. وقد جمع ولده فتاويه ورتبها في أربع مجلدات. قال الصفدي: لم يرد أحد من نواب الشام ولا من غيرهم تعرض له فأفلح، [صفحة ٢١] بل يقع له إما اعزل وإما موت، جرّبنا هذا وشاع وذاع حتى قلت له يوماً في قضية: يا سيدي دع أمر هذه القرية فإنك قد أتلفت فيها عدداً وملك الأمراء وغيره في ناحية وأنت وحدك في ناحية وأخشى أن يترتب على ذلك شرّ كثير فما كان جوابه إلا أنشد قوله: وليت الذي بيني وبينك عامر وبينى وبين العالمين خرابقت: رأيت بخطه عدّة مقاطيع ينظمها في ذلك كأنه يتوسل بها إلى الله فإذا انقضت حاجته طمس اسم الذي كان دعا عليه. وقد استوعب ولده عدّة تصانيفه في ترجمته التي أفرداها وأفرد مسائلها التي انفرد بتصحيحها أو باختيارها في كتابه التوشيح [٢٧]. قرأت بخط الشيخ تقى الدين السبكي: كتب إلي أبو الفتح - يعني قرابته - ورقة بسبب شخص أن أكتب إلى شخص في حاجه له، وذلك قبل ولاية الشام بسنة فأجبتة: «وقفت على ما أشرت إليه، والذي تقوله صحيح، وهو الذي يتعين على العاقل، ولكني ما أجد طباعى تنقاد إلى هذا بل تأبى منه أشد الإباء، والله خلق الخلق على طبائع مختلفة وتكلف ما ليس في الطبع صعب» إلى أن قال: «وأنا من عمرى كلّه لم أجد ما يخرجني عن هذه الطريقة، فإني نشأت غير مكلف بشيء من جهة والدي وكنت في الريف قريباً من عشرين سنة وكان الوالد يتكلف لي ولا أتكلف له ولا أعرف من الناس فيه غير الاشتغال ثم ولي والدي نيابة الحكم بغير سؤال فصرت أتكلم الكلام بسببه وأما في حق نفسي فلا أكاد أقدم على سؤال أحد إلا نادراً بطريق التعريض اللطيف فإن حصل المقصود وإلا رجعت على الفور وفي نفسي ما لا يعلمه إلا الله، وأما في حق غيري من الأجانب فكانوا يلحون [صفحة ٢٢] إلى فأتكلف فأقضى من حوائجهم ما يقدره الله، ولم أزل يكن معي عشرة أوراق أو أكثر ولا أتحدث فيها مع المطلوبه منه إلا معرفاً وشغلت بذلك عن مصلحتي ومصلحة أولادى لأن اجتماعي بهم كان قليلا يروح في حوائج الناس ولا ينقضى بها حاجه حتى يزيد نفور نفسي عن الحديث فيها وكان آخر ذلك أن طلبت حاجه تقى الدين الاقفهسي فأجابني المطلوب منه بجواب لا يرضاه فحلفت لا أسأله حاجه بعدها فمات بعد نحو نصف سنة وحصلت لي الراحة بترك السؤال ولكن استمرّ الوالد في نيابة المحلة فعرض من الجلال وولده ما يقتضى أن خاطري يغريه فحصل لي ضجر فقدّر الله وفاة الوالد وماتت الوالدة بعده بأربعين يوماً فعزفت نفسي عن الدنيا، وأنا الآن ابن اثنين وخمسين سنة، وقد تعبت نفسي في حوائج الناس مدّة، فأريد أن أريح نفسي فيما بقى وأيضاً فلي نحو عشر سنين لا أتحرّك تحركه في الدنيا فأحمدّها فأخاف إذا تحدثت لغيري أن لا ينجح فأندم ويتعب قلبي، فالعزلة أصلح» إلى أن قال: «وليعلم أن الإنسان

إنما يفعل ذلك إما لطبع فطري أو مكتسب، وهما مفقودان عندي، أو لحامل عليه من إيجاب شرعي وليس من صورة المسألة، أو غرض دنيوي وأرجو أن لا يكون عندي، أو اكتساب أجر بأن يكون مندوباً، ومثل هذا: الظاهر أن تركه هو المندوب، ثم لو سلم فالنفس لا تنقاد إليه في أكثر الأحوال كما يترك الإنسان المندوب لطبع أو ضعف باعث والمندوب أن قل ان يعمل إلى المخالطة على جميعها وذلك بحسب قوة الباعث وضعفه والسلام انتهى ملخصه. وقرأت بخط الشيخ شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن الصائغ الحنفي على جزء من تفسير الشيخ تقي الدين ما نصه، يقول: [٢٨]. أتيت لنا من الدرّ النظيم سلوكاً للصراط المستقيم [صفحة ٢٣] جمعت به العلوم في الفرد حوى تصنيفه جمع العلوم وكان ينظم كثيراً وشعره وسط، فمنه ما وصى به ولده محمداً، قال: أبني لا تهمل نصيحتي التي أوصيك واسمع من مقالتي ترشداً حفظ كتاب الله والسنن التي صحت وفقه الشافعي محمداً وتعلم النحو الذي يدني الفتى من كل فهم في القرآن مسدداً وعلم أصول الفقه علماً محكماً يهديك للبحث الصحيح الأيدواً سللك سبيل الشافعي ومالك وأبي حنيفة في العلوم وأحمد ومنها قوله أيضاً: واقطع عن الأسباب قلبك واصطر وأشكر لمن أولاك خيراً واحمد ومنها قوله أيضاً: وخذ العلوم بهمة وتيقظ وقريحه سمحاء ذات توقد ومنها قوله أيضاً: واقف الكتاب ولا تمل عنه وقف متأدباً مع كل حبر أو حد ومنها قوله أيضاً: [صفحة ٢٤] وطريقة الشيخ الجنيد وصحبه والسالكين سبيلهم بهم اقتدوا وقصد بعلمك وجه ربك خالصاً تظفر سبيل الصالحين وتهتدي يقول في آخرها: هذي وصيتي التي أوصيكها أكرم بها من والد متودد وعدتها نحو العشرين، هذا مختارها. وله أيضاً: إن الولاية ليس فيها راحة إلا ثلاث يبتغيها العاقل حكم بحق أو إزالة باطل أو نفع محتاج سواها باطلوله أيضاً: إذا أتتك يد من غير ذي مقة [٢٩]. وجفوة من صديق كنت تأملها خذها من الله تبيهاً وموعظةً بأن ما شاء لا ما شئت يفعل هو قد كان نزل عن منصب القضاء لولده تاج الدين بعد أن مرض، فلما استقر تاج الدين وباشر؛ توجه الشيخ تقي الدين إلى القاهرة وأقام بها قليلاً في دار علي [صفحة ٢٥] شط النيل وهو موعوك إلى أن مات في ثالث جمادى الآخرة سنة ٧٥٦. فكانت إقامته بالقاهرة نحو العشرين يوماً وكان وصول التقليد لتاج الدين في ثالث عشر شهر ربيع الأول ولبس الخلع في النصف منه وباشر ثم عوفى أبوه وركب وحضر معه بعض الدروس وحكم بحضرته وسر به وتوجه إلى القاهرة في سادس عشر ربيع الآخر من السنة. ثم لما مات سعى ولده أن يدفن عند الإمام الشافعي داخل القبة فامتنع شيخو من إجابة سؤاله فدفعه بسعيد السعداء. قال الاسنوي في (الطبقات) [٣٠]: كان أنظر من رأيناه من أهل العلم، ومن أجمعهم للعلوم وأحسنهم كلاماً في الأشياء الدقيقة وأجلهم على ذلك، وكان في غاية الإنصاف والرجوع إلى الحق في المباحث ولو على لسان آحاد الطلبة، مواظباً على وظائف العبادات مراعيماً لأرباب الفنون محافظاً على ترتيب الأيتام في وظائف آبائهم. وقال شيخنا العراقي: طلب الحديث في سنة ٧٠٣ ثم انتصب للإقراء وتفقه به جماعة من الأئمة، وانتشر صيته وتوليفه، ولم يخلف بعده مثله. ومن ماجرياته: أنه بحث مع ابن الكناني فنقل عن الشيخ أبي إسحاق شيئاً في الأصول فلما رجع بعث إليه قاصداً يقول له: المسألة التي ذكرها، ما هي في (اللمع)! فكتب إليه: سمعت بإنكار ما قلته عن الشيخ إذ لم يكن في اللمعون نقلي لذلك من شرحه وخير خصال الفقيه الورغلو وقفت على شرح اللمع ما أنكرت النقل فانظر فيه فإنه كتاب مفيد. [صفحة ٢٦] فلما وقف ابن الكناني على الجواب تألم تألماً كثيراً، وكان أسن من السبكي بكثير، لكن تقدم السبكي واشتهر، واستمر هو على حاله واحدة. ولذا كان ابن عدلان وابن الانصاري يمتعضان من السبكي لكونهما أسن منه وتقدم عليهما [٣١].

ترجمة المؤلف بقلم ابن كثير الدمشقي المؤرخ المفسر

علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام، الإمام العلامة أبو الحسن السبكي الشافعي قاضي دمشق. ولد سنة (ثلاث وثمانين وستمئة) وبرع في الفقه والأصول والعربية وأنواع العلوم، وقرأ القراءات على الصائغ، وسمع الشاطبية والرائية من سبط زيادة، وقدم دمشق قاضياً سنة (تسع وثلاثين وسبعمئة) قرأ عليه القراءات محمد بن يعقوب المقدسي وأحمد بن الغزي الشهير بالشريف الحسيني، انتهت إليه رئاسة العلم في وقته، وله كلام في صحة القراءات العشر والرد على من طعن فيها أبان فيه عن تحقيق

وحسن اطلاع. تُوفِّي سنة (سبع وخمسين وسبعمئة) بمصر [٣٢].

مصادر ترجمته

اشاره

١ - الدرر الكامنة في المائة الثامنة لابن حجر ٣/ ٦٣ وقد أوردناها بتصرّف، في ما تقدّم. ٢ - فهرس الفهارس والأثبات للكتاني ص ١٠٢٣ - ١٠٣٧ رقم ٥٨٥.٣ - الأعلام للزركلي الوهابي ٤/ ٣٠٢.٤ - البداية والنهاية لابن كثير ١٤/ ٢٥٣ وقد أوردناها في مواضع متفرقة من [صفحہ ٢٧] هذا الجزء بمناسبة مختلفة. ٥ - طبقات الشافعية، لولده عبد الوهاب تاج الدين ١٠/ ١٣٩ - ٢٢٦ وفي طبعة الحسينية ٦/ ١٤٦ وقد استفدنا منها كثيراً. ٦ - حسن المحاضرة ١/ ١٧٧.٧ - غاية النهاية ١/ ٥٥.٨ - المدارس في المدارس ١/ ١٣٤٩ - قضاء دمشق لابن طولون ص ١٠١.١٠ - البدر الطالع ١/ ٤٦٧ - ٤١٩.١١ - طبقات الشافعية لابن قاضي شهبه ٣/ ٣٧ - ٤٢ رقم ٦٠٣.١٢ - طبقات الشافعية، للاسنوي ص ٧٥ رقم ٦٦٦. وقد ذكرها ابن حجر في الدرر وأثبتناها معه. ١٣ - النجوم الزاهرة ١٠/ ٣١٨.١٤ - ذيل تذكرة الحفاظ للسيوطي ص ٣٥٢.١٥ - بغية الوعاة للسيوطي ١٦/ ٣٤٢.١٦ - شذرات الذهب لابن العماد ٦/ ١٨٠.١٧ - مفتاح السعادة ٢/ ٢٢١.١٨ - هدية العارفين ١/ ٧٢٠.١٩ - مقدّمة (فتاوى السبكي) طبعة مصر، أعادته دار المعرفة - بيروت. ٢٠ - بروكلمان ٢/ ٨٦ وذيله ٢/ ١٠٢.٢١ - معجم المؤلفين لكحالة ٧/ ١٢٧.٢٢ - وقد أفرد ولده عبد الوهاب صاحب الطبقات، ترجمة خاصة لوالده، ونسخه منها باسم (ترجمة تقي الدين السبكي) في دار الكتب المصرية رقم ١٦٣٤ وصورتها في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية رقم (١٤٩٤ تاريخ) [صفحہ ٢٨] كتبت سنة ٧٦٤ وعليها خط المؤلف. ٢٣ - وخصّص تراجم آل السبكي، الاستاذ محمد الصادق حسين في كتاب (البيت السبكي) طبع بدار الكاتب المصري عام ١٩٤٨م. [صفحہ ٢٩]

الكتاب

اشاره

١ - الردّ على ابن تيمية في منع الزيارة. ٢ - شفاء السقام في نظر الأعلام. ٣ - من هو ابن عبد الهادي صاحب الصارم المنكي. ٤ - أهم ما في كتاب الصارم المنكي. ٥ - الصارم المنكي في نظر العلماء. ٦ - قاموس شتائم ابن عبد الهادي. ٧ - نصيحة للمغترين بالسلفية في عصرنا. ٨ - محتوى الكتاب ومادته. ٩ - عملنا في الكتاب. [صفحہ ٣٠]

الرد على ابن تيمية في منع الزيارة

قال ابن فضل الله العمري، في ترجمة السبكي: إمام ناصح عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بنضاله، وجاهد بحداله، ولم يُلطخ بالدماء حدّ نضاله، حمى جناب النبوة الشريف، وبقيامه في نصره، وتسديد سهامه للذّب عنه من كنانة مصره، فلم يُخطِ على بُعد الديار سهمه الراشق، ولم يُخفِ مسامّ تلك الدسائس فهمه الناشق... قام حين خلط على ابن تيمية الأمر، وسوّل له قرينه الخوض في ضحضاح ذلك الجمر، حين سيّد باب الوسيلة... وأنكر شدّ الرحل لمجرّد الزيارة. إلى أن يقول: كيف يُزار المسجد، ويُجفى صاحبه (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ أو يخفيه الإبهام، أو تُذاد عنه وهي تتراشق إليه كالسهام؟ ولولاه عليه الصلاة والسلام، لما عرف تفضيل ذلك المسجد؟ ولا يَمِّم إلى ذلك المحلّ تأميل المغير ولا المنجد! ولولاه لما قدّس الوادي، ولا أسّس على التقوى مسجد ذلك النادي؟ اشكر الله له، قام في لزوم ما انعقد عليه الإجماع، وبعد الظهور بمخالفته على الأطماع. وردّ القرن وهو الدّ خصيم، وشدّ عليه

وهو يشد على غير هزيم، وقابله وهو الشمس تغطي الأبصار، وقاتله - وكم جهد - ما يثبت البطل لعل في يده ذو الفقار. إلى أن يقول: وانجلت غياهب ذلك العثير: تبرق فيه صفحات الحق السوي، والحظ السعيد النبوي، والنصر المحمدي إلا أنه بالفتوح العلوي، بجهد أيد [صفحة ٣١] صاحب الشريعة وآزره، ورد على من سد باب الذريعة وخذل ناصره [٣٣]. وقال ولده في الطبقات: ثم حج في سنة ست عشرة (وسبعمئة) وزار قبر المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعاد، وألقى عصا السفر واستقر وانتهد إليه رئاسة المذهب بمصر... وفي هذه المدّة ردّ على الشيخ أبي العباس ابن تيمية في مسألتى الطلاق والزيارة [٣٤]. وذكر في الطبقات: ومما أورده ابن فضل الله (العمري) عنه في التاريخ: في كل واد بليلي وإله شغف ما إن تزال به من مسيها وصبفي بني عامر من حبها دنف ولا بن تيمية من عهدا سغبو كان قد قالهما وقد وجد إكثار ابن تيمية من ذكر ليلي وتمنيها، وأراد بعهد ليلي - ظاهراً - ما هول، وباطناً يمينها، واليمين: العهد [٣٥]. ونقل ابنه: صح من طرق شتى عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية: أنه كان لا يعظم أحداً من أهل العصر كتعظيمه له، وأنه كان كثير الثناء على تصنيفه في الرد عليه [٣٦]. وقد ردّ الإمام السبكي على الفكر التيمي، بكتب: ١ - الدرّة المضيئة. ٢ - شفاء السقام (وهو كتابنا الذي نتحدث عنه بتفصيل). ٣ - السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل - وهو ابن قيم الجوزية مقلد ابن تيمية - ٤ - التحقيق في مسألة التعليق، وهو الرد الكبير على ابن تيمية في مسألة [صفحة ٣٢] الطلاق. ٥ - رافع الشقاق في مسألة الطلاق، وهو الرد الصغير عليه. ٦ - الاعتبار ببقاء الجنّة والنار. ٧ - النظر المحقق في الحلف بالطلاق المعلق، طبع في الفتاوى ٢/ ٣٠٩. وسأتى التفصيل في ذكر مؤلفاته. ويظهر من طبقات السبكي أن ابن تيمية كتب كتاباً ردّاً على ما كتبه الشيخ عليه في مسألة الطلاق [٣٧] ولكنه لم يطق أن يردّ عليه في مسألة الزيارة، بل كان يعظمه - مع أن ابن تيمية كان جسوراً يعتدى على جميع علماء عصره، بل السابقين - إلا أنه كان يقرّ بفضل الإمام السبكي، ويُعجبه ما كتبه في (شفاء السقام) ردّاً عليه في مسألة الزيارة، مع أنه ردّ بعنف على الإمام الاخواني المالكي، كما ستعرف. ولاحظ بقيّة الحديث عن موقفه من ابن تيمية في عنوان: (كتابنا هذا) في هذه المقدّمة.

شفاء السقام في نظر الأعلام

قال الحافظ أبو زرعة العراقي، وهو بصدد الكلام على المسائل التي انفرد ابن تيمية بها: وما أشبع مسألتى ابن تيمية في الطلاق والزيارة وقد ردّ عليه فيهما معاً: الشيخ تقي الدين السبكي، وأفرد ذلك بالتصنيف فأجاد وأحسن [٣٨]. وقال: وللشيخ تقي الدين ابن تيمية كلام بشع يتضمّن منع شد الرحل للزيارة، وأنه ليس من القرب بل بضد ذلك، وردّ عليه الشيخ تقي الدين السبكي [صفحة ٣٣] في «شفاء السقام» فشفي صدور قوم مؤمنين [٣٩]. وأنشد الصلاح الصفدي - الذي قرأ الشفاء على مؤلفه [٤٠] - في مدح الكتاب: لقول ابن تيمية زخرف أتى في زيارة خير الأنام فجاءت نفوس الوري تشتكي إلى خير خبر وأزكى إمام فصفن هذا، وداوهم فكان يقيناً «شفاء السقام» [٤١]. وقال الإمام ابن حجر المكي في الفتاوى الحديثية، ما نصّه: ابن تيمية عبدٌ خذله الله وأضله وأعماه وأصمّه وأذله، وبذلك صرح الأئمة الذين بينوا فساد أحواله، وكذب أقواله، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتفق على إمامته وبلاغه رتبة الاجتهاد أبي الحسن السبكي، وولده التاج [٤٢]. قال الإمام محمد بخت المطيعي شيخ الإسلام: ولما تظاهر قوم في هذا العصر بتقليد ابن تيمية في عقائده الكاسدة وتعزيد أقواله الفاسدة... وجدنا كتاب الإمام الجليل والمجتهد الكبير تقي الدين أبي الحسن السبكي آتياً على ما قاله ابن تيمية، مقوضاً لبنيانه، مزعجاً لأركانه، ماحياً لآثاره، ماحقاً لأباطيله، مظهرراً لفساده، مبيناً لعناده [٤٣]. وقال العلامة المعاصر المحمود السعيد الممدوح: إن كتاب «شفاء السقام في زيارة خير الأنام» الذي دبحته يراعه الإمام تقي الدين السبكي: أنفس كتاب صنّف في هذا الباب، جمع فيه مؤلفه بين النقل والعقل. [صفحة ٣٤] وزاد أبواباً في غاية الأهمية، كالنوسل، وحياء الأنبياء، والشفاعة، وغير ذلك. وكان عفاً للسان، قويّ الحجّة، ناصع البرهان: وقد حقّق الأقوال في مسألة الزيارة وغيرها من مباحث الكتاب تحقيقاً ما عليه مزيد [٤٤].

من هو ابن عبد الهادي صاحب الصارم المنكي

هو، محمد بن أحمد بن عبد الهادي من آل قدامة الحنابلة، الدمشقيين: ولد ٧٠٤ ومات ٧٤٤. ترجمه القليلون، وبالغ في ترجمته الحنابلة والشاميون المتعصبون كابن رجب فقال: المقرئ الفقيه، المحدث الحافظ، الناقد، النحوي، المتفنن...». وأكثر فيه ابن كثير الشامي في تاريخه سنة ٧٤٤ (١٤ / ٢٤٤) وأطراه وقال: «... كان مستقيماً على طريقة السلف! واتباع الكتاب والسنة...» يعني طريقة ابن تيمية وحزبه. وذكره أبو المحاسن والذهبي وابن حجر والسيوطي، وقال: أحد الأذكياء، مهر في الحديث والأصول والعربية. وقال الصفدي: لو عاش كان آية، كنت إذا لقيته سألته عن مسائل أدبية وفوائد عربية، فينحدر كالسيل...». وذكروا له من المؤلفات: العقود الدرية في ترجمة ابن تيمية، مطبوع. والصارم المنكي، رآه ابن حجر، وذكر عنه في لسان الميزان ٢٠ / ١ وفي ط. الهندية ١٤ / ١ قاعدة ابن حبان في التعديل، وقال: «وقد تصرّف في عبارة ابن حبان». [صفحة ٣٥] واتفقوا على ذكائه ومعرفته بطرق الحديث وحفظه لأسماء الرجال. واهتم سلفية عصرنا بطبع الصارم، فله طبعة بتحقيق إسماعيل الأنصاري. وطبعة بمؤسسة الريان - بيروت عام ١٤١٢هـ بعمل عقيل اليماني، وهي التي اعتمدها هنا.

اهم ما في كتاب الصارم المنكي!؟

وبعد ما عرفنا شخصية ابن عبد الهادي، فلنحط بأهم ما احتواه كتابه حتى نعرف مدى مقولة سلفية العصر من أنه أهم كتاب في باب الدفاع عن آرائهم حول منع زيارة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والرد على شفاء السقام للإمام، فنقول: أهم ما في عمل ابن عبد الهادي أنه: أولاً: يُحاول إقناع القراء بأن «ابن تيمية لا يمنع من أصل زيارة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، بل يقول باستحبابها، وبأن قبره أفضل القبور، وإنما ابن تيمية يمنع فقط من شد الرحال إلى زيارة القبر النبوي الشريف». ويؤكد على: «أن نسبة الإمام السبكي إلى ابن تيمية بأنه يمنع زيارة المصطفى عليه السلام، غير صحيحة». ولذلك يحاول في (الصارم) إيراد عبارات طويلة ومكررة ينقلها عن مؤلفات ابن تيمية، ليثبت هذه المحاولة. لكننا: ١ - نجد نفس تلك العبارات التي نقلها ابن عبد الهادي، مليئة بجمل صريحة في أن ابن تيمية يعتقد أن: زيارة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) غير ممكنة، لأن القبر غير ظاهر، ولأن الصحابة لم ينقل عن أحدهم القيام بزيارة القبر، ولأن زيارة القبر ممنوعة منهى عنها لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) «لا تجعلوا قبري عيداً» وحتى شكك في استعمال لفظ الزيارة، وقال مرادهم «السلام». [صفحة ٣٦] ولأن ذلك من فعل المشركين والنصارى وعبادة للقبر. وأمثلة هذه التعليقات، منتورة في كلماته التي نقلها عبد الهادي نفسه. ومع ذلك كله: فإن عبد الهادي يدعى - بكل وقاحة - أن ابن تيمية لا يمنع الزيارة؟ واللطيف: أن ابن تيمية حينما يجد في عبارة الفقهاء وإجماعهم على استحباب «زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)» يقول: المراد زيارة مسجده. ومع هذا: فإن عبد الهادي يقول: لا يمنع من أصل الزيارة!! وأما نسبة الإمام السبكي فتوى المنع إلى ابن تيمية: فهي ليست منفردة ولا - محصورة بالإمام، بل كل من تعرّض للمسألة نسب إلى ابن تيمية هذا القول البشع، فانظر: إبراز الغي للإمام أبي الحسنات اللكهنوي. رفع المنارة للشيخ محمود ممدوح ص ٩٢. دفع شبه التشبيه للإمام الحصني. ثانياً: يحاول ابن عبد الهادي - تبعاً لابن تيمية نفى كل نصّ يحتوي على لفظ «الزيارة لقبر النبي» ويتناقش في أسانيد جميع الأحاديث والروايات، حتى يصل إلى النتيجة التي يؤكد عليها ابن تيمية: إنها مكذوبة بل موضوعة. وهذا الإدعاء، لا بد أن يحكم فيه صياغة نقد الحديث وجهابذة علم الجرح والتعديل، وقد حكموا بأن في أحاديث الزيارة المقدسة ما هو صحيح وحسن، أيضاً، وإن كان فيها ما قيل فيه إنه من «قسم الضعيف» إلا أن من «الضعيف» ما يُعمل به، خصوصاً في المسائل والأحكام الفرعية العملية، والتي عمل الزيارة منها بلا ريب، وقد عمل بذلك المحدثون والفقهاء والأصوليون. فما هذه المخالفات لهم منكم؟! ثالثاً: يُحاول - تبعاً لابن تيمية - تعميم النهي في حديث: «لا تجعلوا قبري» [صفحة ٣٧] عيداً ولا تتخذوه وثناً...» ليكون شاملاً لما يفعله المسلمون الموحّدون عند قبره الشريف من السلام والدعاء والتكريم والتعظيم، ناسباً جميع

أفعال المؤمنين عند القبر إلى الشرك وعبادة القبر، وما إلى ذلك من الألفاظ المهولة! ومن الواضح لدى كل مسلم يزور قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه ممتلىء بالإيمان بالله ورسوله، والحبّ لهما، ولا يدعو إلى المجيء إلى ذلك القبر إلا محض التوحيد والإيمان، وامتلائه بالعقيدة الراسخة. ورابعاً: حديث «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة...» وهو عمدة ابن تيمية وحزبه في منع الحجاج القاصدين بعد أداء حجهم إلى زيارة قبر نبيهم، وإزعاجهم في مقام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعند المقصورة الشريفة بالضرب واللعن والتشريك والتكفير والدفش، والتهديد بدعوى: أن الحديث يدل على حرمة قصد زيارة القبر لمن يسكن بعيداً عنه من البلاد النائية. وقد انتهت الاعتراضات الإسلامية من المذاهب الفقهية، وعلى مستويات أهل العلم والفكر من المسلمين على هذه الفتوى البشعة «منع السفر إلى مرقد الرسول» منذ طلوع نباتها الخبيث من رأس الشيطان في القرن الثامن أعنى شيخ حرّان، الممتلىء بمعادة هذه الشعائر الإسلامية التي تدل على عظمة الرسول ومقامه في قلوب المؤمنين برسالته. وكثرت المؤلفات في عصر مبتدع تلك الفتوى ابن تيمية وإلى يومنا هذا، في الردّ عليها وتفنيدها وتزييفها، وقد بلغت المئات، وجمعناها في كتاب (معجم المؤلفات الإسلامية في الردّ على بدع ودعاوى السلفية والوهابية). وكتاب «شفاء السقام» للإمام التقى السبكي، هو من أهم وأقدم ما ردّ عليه في عصره. وقد عجز ابن تيمية من الإجابة عمّا فيه، بل كان يعظم الإمام السبكي ويَعْجبه [صفحة ٣٨] كلامه في «شفاء السقام». وابن عبد الهادي جرو ابن تيمية، حاول - عبثاً - في الصارم المنكي - من مواجهة الحجج والأدلة العلمية الواردة في شفاء السقام، لكنّه أخفق! ولم يأت بطائل، بل قد أصبح ما ألفه وكتبه في (الصارم المنكي) محلاً لنقد العلماء، وتصدّوا له بالردّ والتنكيل، كما ستقرأ في الفقرة التالية.

الصارم المنكي في نظر العلماء

قال العلامة الكتاني في ترجمة ابن تيمية، وقوله بالمنع من زيارة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للمسافر إليها: انتدب للكلام معه فيها جماعة من الأئمة الأعلام، فوّقوا إليه بها السهام: كالشيخ تقي الدين السبكي، والكمال ابن الزمكاني، وناهيك بهما؟ وتصدى للرد على السبكي: ابن عبد الهادي الحنبلي ولكنه: ينقل الجرح ويغفل عن التعديل، وسلك سبيل العُنف، والتشديد!؟ وقد ردّ عليه، وانتصر للسبكي، جماعة [٤٥]. وقال العلامة المحدّث السيد عبد العزيز ابن الصديق الغماري: ابن عبد الهادي: سلك في الكتاب (الصارم) مسلك الإفراط الخارج عن قواعد أهل الحديث، فيجّب الحذر منه [٤٦]. زيادةً على سوء الأدب في التعبير مع التقى السبكي، الحافظ، الفقيه، وإتيانه في حقّه بما لا يليق بأهل العلم سلوكه. يُضاف إلى ذلك ما أتى به من القول الفاسد والرأى الباطل، والخروج عن سبيل السلف في ذلك! وإن زعم أنه ينصر عقيدتهم!؟ [صفحة ٣٩] ويكفيك من ذلك: أنه ذكر الخلاف في مسألة النزول «هل يخلو العرش من الرحمن!» عند نزوله في ثلث الليل؟ أو لا؟ [٤٧]. وهذا مما لا ينبغي [٤٨] أن يذكره في كتاب، إلاّ بليد لا يفقه، ولا يدري ما يخرج من رأسه! أو أين يوجد عن السلف هذا التشبيه؟ حتى يُبنى عليه الخلاف في «خلوّ العرش» أو عدم خلوّه؟ وهذا مما ينتقده أهل العلم على كثير من بلداء أهل الحديث، كما هو معلوم [٤٩]. وقال العلامة المعاصر المحدّث الشيخ محمود سعيد ممدوح: بعد النظر في «الصارم المنكي» رأيت الهول فيه، فتراه: ١- يتعنّت أشدّ التعنّت في ردّ الأحاديث. ٢- تطويله للكلام يخرج عن المقصود إلى اللغو والحشو مع التكرار الممل. ٣- يذكر أبحاثاً خارجة عن المقصود. ٤- يطيل الكتاب جدّاً، ولو اختصر بحذف الخارج، لجا في جزء صغير. ٥- أما تهجمه على الإمام المجتهد التقى السبكي، فحدّث ولا حرج!؟ [٥٠]. ٦- وأحياناً يأتي بتعليقات للأحاديث، خارجة على قواعد الحديث. ٧- وقد أكثر في كتابه من الدعاوى على التقى السبكي، من غير برهان، وعند [صفحة ٤٠] المحاققة نجد الحقّ مع الإمام المجتهد السبكي [٥١]. ٨- يجزم الواقف عليه بأن عبد الهادي قد ظلمه بصارمه ولم يجبّ على كثير من مباحثه [٥٢]. وقال المعلق على ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٥٢ عند ذكر الصارم المنكي لابن عبد الهادي: ولقد تهوّر فيه لابن تيمية في شدوده، فوقع في أغلاط من حيث الكلام على الأحاديث والاستنباط منها. «ولم تدخل الهوى شيئاً إلاّ أفسدته». الردود على الصارم المنكي: قال العلامة الكتاني: وقد رد عليه، وانتصر للسبكي جماعة، منهم: ١- الإمام عالم الحجاز في القرن الحادي عشر، الشمس، محمد بن علي بن علان،

الصدیقی، المکی، له: المبرد المبکی فی ردّ الصارم المنکی. ٢- ومن أهل عصرنا: البرهان إبراهيم بن عثمان السمنودی المصری سمّاه: نصره الإمام الشبکی برّد الصارم المنکی. ٣- وكذا الحافظ ابن حجر، له: الإنارة بطرق حديث الزيارة [٥٣]. وقال الكتاني أيضاً، في ترجمه أبي الحسنات عبد الحي اللكنهوی الأنصاری الهندي: خاتمه علماء الهند، وأكثرهم تأليفاً، وأتمهم تحريراً واطلاعاً وإنصافاً، ولد (١٢٦٤هـ) وكلامه كله جواهر ودرر، ومات (١٣٠٤هـ). وله في مسألة زيارة القبر النبوي، وشد الرحال له، عدّه مصنفات، منها: [صفحہ ٤١] ٤- الكلام المبرم في نقض القول المحكم. ٥- الكلام المبرور في ردّ القول المنصور. ٦- السعي المشكور في ردّ المذهب المأثور. قال (رحمه الله): ألفتها ردّاً لرسائل من حجّ ولم يزر قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وحرّم زيارة قبره المعهود في العصور الإسلامية. وكتبه هذه الثلاثة هي كالردّ على (الصارم المنکی) لابن عبد الهادي الحنبلي الذي قال عنه: راجعته فوجدته منقلباً على نحر شيخه. ودعوى أنه لم يقدر أحد من المخالفين على معارضته! صادرة عن الغفلة! فقد رده على أحسن وجه ابن علان، ورددت كثيراً من مواضعه في (السعي المشكور) [٥٤]. ٧- وفي عصرنا الحاضر (١٤١٨هـ) ردّ عليه الاستاذ المحدث الواعي الشيخ محمود سعيد ممدوح، أفضل ردّ وأحسنه في كتابه القيم «رفع المنارة في تخريج أحاديث التوسل والزيارة» وقد نقلنا عنه في تعاليقنا، وهو مطبوع طبعه ثانية في دار الإمام الترمذی - القاهرة ١٤١٨هـ - ٨- ورددنا عليه ردّاً مركزاً مفحماً في رسالته «زيارة القبر النبوي المعظم» وقفنا الله لإصدارها.

قاموس ستائم ابن عبد الهادي

المتتبع في (الصارم المنکی) لا يجد فيه بعد المناقشات السندیة المطولة، غير المنقول عن ابن تيميّة في (الجواب الباهر) و(الرد على الأحنائي) كلاماً من ابن عبد الهادي، غير ما أضافه من الشتائم والسباب. ولقد تعود المدعون للسلفية على التلفظ بألفاظ نابية ضدّ معارضيهم فهم لا [صفحہ ٤٢] يتورعون من كل ما هو قذف وسب وشتيم، يربؤ المسلم بنفسه أن يتفوه به، ويتعاطاه السلفية! ويدعون مع ذلك أتباع السنة، لكن يخالفونها حيث يجدونها تصرّح: «لا تكونوا سبّابين». وقد أفرط ابن عبد الهادي الحنبلي التيمي - من أتباع ابن تيميّة - في مواجهة الإمام الورع التقى السبكي، بكل ما جرى على فمه وخرج من رأسه، يُحاول بذلك إرضاء نفسه، لما يجدها قاصرة من مواجهة حجج الإمام ومحكم أدلته: ونحن نورد هنا قائمة ببعض ما أورده في الصارم المنکی، كي يتضح ذلك لكل مسلم ورع، ويعرف بذاءة منطلق هؤلاء المتمسكين المدعين لأتباع الكتاب والسنة: [٥٥]. وتترك القراء ليقارنوا بين هذا وبينما قرأوه في صدر هذه المقدمة ممّا قاله العلماء في الإمام السبكي: قال ابن عبد الهادي (الصارم ١٣) لكون مؤلف الكتاب: رجلاً، ممارياً، معجباً برأيه، متبعاً لهواه، ذاهباً في كثير ممّا يعتقد به إلى الأقوال الشاذة، والآراء الساقطة، صائراً في أشياء ممّا يعتقد به إلى الشبه المخيلة والحجج الداحضة وربما خرق الإجماع في مواضع لم يسبق إليها ولم يوافق أحد من الأئمة عليها! يقول (ص ١٤) ما حكاه من الافتراء العظيم والإفك المبين والكذب الصراح! ويقول (الصارم ١٥): لكنه يُطَفّف ويدهن ويقول بلسانه ما ليس في قلبه... اشتمل عليه (الكتاب) من الظلم والعدوان والخطأ والخبط والتخليط والغلو والتشنيع والتليبس. [صفحہ ٤٣] ويقول (ص ٢١) متضمن للتحامل والهوى وسوء الأدب والكلام بلا علم. وقال (الصارم ص ٤٤): هذا المعترض المخذول. وقال (الصارم ص ٦٥) ارتكب امرأ يدل على جهله، أو على أنه رجل متبع لهواه. وقال (الصارم ص ٦٦): كلام المعترض مشتمل على الوهم والإبهام والخبط والتخليط - والتليبس... فهو جاهل مخطىء بالإجماع أو معاند صاحب هوى متبع لهواه، مقصوده الترويح والتليبس وخلط الحقّ بالباطل. ويقول (ص ٧١): على ما في كلامه من الكذب وسوء الأدب... من الجور والعدوان والظلم.. مما وقع فيه من التخليط والتليبس. (الصارم ٨٧): كلام المعترض «مزوّق غير محقق ولا مصدّق، بل فيه من الوهم والإبهام والتليبس والخبط والتخليط ودفع الحقّ وقبول الباطل». (الصارم ص ٢٨٥) جرأة المعترض وإقدامه على تكذيب ما لم يُحط بعلمه بغير برهان، بل بمجرد الهوى والتخّص، وليس هذا ببدع منه، فإنّه قد عرف منه مثل ذلك في غير موضع... بل حمله فرط غلوّه ومتابعته هواه على نسبة أمور عظيمة لأحبّ ذكرها وهكذا عاداته ودأبه يكذب النصوص الثابتة أو يعرض

عنها، ويقبل الأشياء الواهية التي لم تثبت والأمور المجلية الخفية ويتمسك بها بكلتا يديه. ويقول (ص ٢٩٥) صدرت منه عن الفهم الفاسد والهوى المتبع. ويقول (٣٣٤) ما تضمنه من الغلو والجهل والتكفير بمجرد الهوى وقلمة العلم أفلا يستحي من هذا مبلغ علم أن يرمى أتباع الرسول؟ ويقول (ص ٣٣٤) هذا المعترض وأشباهه من عبادة القبور؟! ويقول (ص ٣٤١) في هذا الكلام من التلبس والتمويه والغلو والتخليط والقول بغير علم! [صفحة ٤٤] واعلم أن هذا المعترض من أكثر الناس تلبساً وخطأً للحق بالباطل! إلى غير ذلك مما كاله ابن عبد الهادي وسود صحائف أعماله من الشتائم!! على الإمام السبكي الذي وصفوه بأنه «شيخ الإسلام» من أوعية العلم، كان صادقاً متبناً خيراً دنيماً متواضعاً - وهذا كله من كلام الذهبي - التقى البرّ العليّ القدر، جمّ الفضائل، حسن الديانة، صادق اللهجة، جمع الزهد والورع والعبادة الكثيرة... والشدة في دينه، له عدالة الأصل وأصالة القول... ومكانة الدين والفضل! أهكذا تسبّه، وتتجاوز على مقامه! يا بن عبد الهادي!

نصيحة للمعتريين بالسلفية في عصرنا

وبعد معرفتنا بالعيان عظمة الإمام السبكي، وموقعه المقبول لدى طوائف الأمة من علمائها خاصية، ومؤرخيها عامية، حتى أعداءه وخصومه الحنابلة والتميمية، لم يجرؤوا أن ينسبوا - ضده - بنت شفة! وبعد معرفتنا بما أقدم عليه ابن عبد الهادي الحنبلي، في غمط حقّ السبكي مما أدى إلى تدمر العلماء والفضلاء، وجميع القراء المنصفين، وذمهم لطريقته المتعنتة، والجافية، والخطئة، فردوه وانتقدوه، وقد بتر الله عمره، لما تجاسر على شيخ الإسلام السبكي وإمام عصره! نرى من الواضح بطلان ما عليه سفلية العصر، من إجراء الوهابية وأجرائهم، من الاغترار بما لفقّه ابن عبد الهادي في (الصارم المنكي) فنجدهم يرفعون عقيرتهم بما فيه، ويفتخرون به، كالعينين يفتخر بهن أبيه! ولكن نحن ندعو العقلاء، إلى الاعتبار من تاريخ ابن عبد الهادي وما خلفه بهذا الكتاب (=الصارم) لنفسه من العار والمذمة والشنار. كما بتر الله عمره، لما تجاسر على الحقّ وعلماء عصره، وخالف المسلمين كافة، بتوجيه الإهانة إلى زائري مرقد النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)! [صفحة ٤٥] ندعوهم أن يعتبروا بذلك، وأن يتركوا الجدال بالباطل، والتمادي في الغي، باتباع الحزب السلفي الجاهل. وأن يعودوا إلى صفّ الأمة الإسلامية، ويتأملوا - لا بعين السخط - كلمات علماء الأمة الأفاضل. وأن يُقارنوا بأنفسهم - لا - بإرشاد المطاوعة، ولا المُتدكّرين السلفية - بين الأقوال، كما جاء في كتابي شفاء السقام، والصارم! وأن يلتزموا الورع والتقوى، في تصرفاتهم وأحكامهم على الكتب وعلى الناس! فإن وراءهم عقبه كؤوداً، وسوف يُسألون عما كانوا يفعلون، ويعتقدون. وفي البرزخ سوف يواجهون منكرًا ونكيرًا، ويحاسبون! فليتركوا كل فعل وكلمة تؤدي إلى التفرقة والاختلاف بين المسلمين، وتشتيت كلمة أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الموحّدين! ولا - يصدّوا الناس عن زيارة قبر النبي المعظم، ولا يهينوا المؤمنين، باتهامهم بالشرك والبدعة والشتائم! فإن الله لهم بالمرصاد، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون!

محتوى الكتاب ومادته

رتّب المؤلف كتابه على عشرة أبواب: احتوى «الباب الأول» على «الأحاديث الواردة في الزيارة» وفيها لفظ من مادّة الزيارة: زار، زائر، زيارتي، فزار، زارني، يزرنى، يزرون. وعنون لخمس عشرة حديثاً، بنصوص مختلفة، لكنّها كلّها تحتوي على الحثّ على زيارة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بما يدلّ على زيارة القبر النبويّ المعظم بالخصوص، بعد وفاته، أو بالعموم، أو بالإطلاق. [صفحة ٤٦] وقد بحث في كل حديث عن مصادره وسنده وضبط نصّه، وتوثيق رجاله، بكلّ دقة. حتّى أنّه يُسند إلى المؤلّفين بطرق السماع أو القرائة المباشرة على مشايخه، وإلى النسخ، ويذكر بلاغات القراءة والتحديث، كل ذلك للتأكد من الضبط والتوثيق. وهذه الطريقة التي كانت معتمدة لدى القدماء، وقلّ من استخدمها في زمان الإمام السبكي. والهدف من ذلك التأكد من صحّة النسخ وضبطها، لتكون النصوص قابلة

للاعتقاد في الاستدلال، بشكل لا- يتطرق إليه الريب، بخلاف المعتمدين على النسخ الرائجة المبتدلة التي يتلاقها الوراقون، فإن اعتمادها من شأن الضيحيين غير الموثوقين. وبالرغم من جلالة عمل الإمام السبكي هذا، فإنه لم يرق ابن عبد الهادي الحنبلي في الصارم (ص ١٦ و ٤٠) فراح يهرج عليه بقوله: أطال بذكر الأسانيد وتكرارها منه إلى مؤلفي الكتب كالطبراني والدارقطني وغيرهما، وحشد فيه بتعداد الطرق إليهم والرواية بالإجازات المركب بعضها على بعض... وذكر طباق السماع وأسماء السامعين، ونحو ذلك مما يكبر حجم الكتاب، وليس إلى ذكره كبير حاجة. نقول: وهكذا تنقلب الأسانيد، عند الحنبلي إلى «حشد ليس إليه كبير حاجة»؟ مع أنها أعمدة الحديث، والدين؟ ولكنّه الهوى يحسن للسلفية القبيح! ويقبح الحسن المليح؟! وهذا الجهد العلمي، لا يهّم الصحفيين الذين يهتمون بما يوافق أهواءهم، أما تصحيح النسخ وضبطها وهي من أهم الأمور عند العلماء، لرفع ما يقع فيها من التصحيف والتحريف والسهو والغلط، فلا يهتم به إلاّ الجهابذة الأتقياء المتقنون. [صفحة ٤٧] ثم إن المؤلف - وعلى أساس مما وصلته بالطرق العلمية من النسخ المتقنة - يتطرق إلى دلالات الأحاديث، بشكل علمي منطقي رائع. وقد أبدى إعجاب العلماء في دقته في النقل من المصادر والكتب، وهو ما لاحظناه عند تخريجنا لمنقولاته، فوجدنا الأمانة التامة، والمحافظة على اختلافات الألفاظ حتى في الكلمة الواحدة. وأما في علم الرجال، وفقه الحديث، وفنون العلم الأخرى فهو علامة يتقّد بصير. وفي «الباب الثاني» أورد الأحاديث الدالة على المراد، من دون احتوائها على لفظ من مادة «زار». فذكر ما فيه السلام على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكذا «الصلاة عليه». وذكر فصلا في علم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمن يصلى عليه، وسماعه سلام من يسلم عليه من قرب، وإبلاغ الملائكة إليه سلام البعيد. وفي دلالة كل ذلك على المراد يورد المناقشات والاحتمالات، ويبحث بحريّة من دون تعنت. وعقد «الباب الثالث» لذكر ما ورد في السفر إلى زيارته صريحاً وبيان أن ذلك لم يزل قديماً وحديثاً. فأثبت فيه قيام الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، بالسفر وشد الرحل إلى قبر الرسول الأعظم من دون تحرج، بل بكل رغبة وشوق. راداً بذلك على مزعومة ابن تيمية بعدم قيام الصحابة والتابعين ومن يسميهم السلف، بذلك. وفي «الباب الرابع»: ذكر تقرير الفقهاء للسفر إلى زيارة القبر الشريف. ناقلاً عن فقهاء جميع المذاهب الأربعة هذا الحكم، وما ذكره في كتب مناسك الحج من استحباب الزيارة وحكاية الإجماع على ذلك. [صفحة ٤٨] وفي هذا الباب ذكر حديث الثعبي، وحكاية مالك مع المنصور العباسي، مما هو مشهور ومذكور في المؤلفات. ثم أورد أقاويل المانعين وما استندوا إليه: من كراهة مالك للفظ «زيارة القبر وزيارة النبي» ونسبة المنع إلى أهل البيت، وحديث «لا تجعلوا قبري عيداً...». وردّ عليها ردّاً قوياً مفحماً. وفي «الباب الخامس» قرر كون زيارة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قرينة. واستدل على ذلك بالكتاب والسنة والإجماع والقياس. وذكر أنواع الزيارة وأحكامها، وزيارة النساء للقبور، وأخيراً ذكر اجتماع الأغراض الشرعية في زيارة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). ثم ذكر جهة القرينة في زيارة القبور، وانتهى إلى أن زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قرينة، لحث الشرع عليها وترغيبه فيها. وعقد «الباب السادس» في «كون السفر إلى الزيارة قرينة» من وجوه: الكتاب، والسنة والإجماع، وأن وسيلة القرينة قرينة. وفي الوجه الأخير فضل البحث عن أن قواعد الشرع معتبرة بالمقاصد، واستدل على ذلك بأبواب كثيرة من الفقه. ثم ذكر الحكم في المقدمة، والفرق بينها وبين الوسيلة، واعتبارات السفر في مسألة الزيارة. وعقد «الباب السابع» لذكر شبه الخصم وتبّع كلماته ودفع ما فيها من الأوهام، في فصلين: الأول في ذكر شبهه ودفعها، وهي: الاستدلال بحديث «لا تشد الرحال» فذكر ألفاظه ومصادره ثم ذكر دلالاته ومعناه، ثم ذكر محطّ البحث عند الفقهاء في شد الرحال إلى المساجد، وعنوان [صفحة ٤٩] المسألة في كتب الفقه. وأورد ذكر فتاوى مختلقة منسوبة إلى علماء بغداد أنهم أيّدوا فتوى ابن تيمية بمنع شد الرحال إلى الزيارة الشريفة. ثم إن المؤلف نقل نص فتوى لابن تيمية جاء فيها التصريح بمنع أصل الزيارة للقبر النبوي الشريف، ولو بغير شد رحل ولا سفر. وأجاب عمّا فيها من شبهة: الشبهة الثانية: عدم مشروعية أصل الزيارة، وأنها من البدع إلى آخر ما ذكره ابن تيمية من عدم فعل الصحابة والتابعين لها. فردّ عليها المؤلف بورود التشريع للزيارة بالنص الصحيح، وعدم وجود دليل عند ابن تيمية لما نفاه من فعل الصحابة والتابعين. والشبهة الثالثة: ربطه بين الزيارة والشرك. فقد فضّل المؤلف في ردّ هذا التخيّل، وأن الزيارة لا ترتبط بالشرك، ولا يقصد بها سوى التبرك والتعظيم، والشرك لا

يكون إلا بالعبادة واتخاذ الندّ والوثن، وليس شيء من هذا متصوّراً في زيارة القبر النبويّ. وأما الفصل الثاني فعقده لتتبع كلماته فنقل أولاً نصّ الفتيا الرسمية التي كتبها ابن تيمية، ووصلت إلى قضاة المذاهب الأربعة في مصر، فحاكموه على أساسها وسجنوه من أجلها، وكتب القضاة أحكامهم عليها. ثم بدأ بالردّ عليها فقرةً، فقرةً، بما لم يبق لها قيمة علمية. ثم عقد الباب الثامن في التوسل والاستغاثة والتشفّع بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم). ذكر جواز التوسّل بالنبي، وأنه على ثلاثة أنواع: قبل خلقه، كتوسّل آدم وعيسى (عليهما السلام) به. والتوسّل به بعد خلقه، وذكر حديث الأعمى المتوسّل به (صلى الله عليه وآله وسلم). [صفحة ٥٠] والتوسّل به بعد موته، كما في حديث عثمان بن حنيف. ثم حديث الاستسقاء بمعنى طلب الدعاء منه. والتوسّل بعد موته بالشفاعة منه (صلى الله عليه وآله وسلم). وذكر الاستغاثة بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم). وعقد الباب التاسع، لذكر حياة الأنبياء (عليهم السلام) بعد موتهم وفي قبورهم، في فصول: الفصل الأول: في ما ورد في حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. الفصل الثاني: في حياة الشهداء. الفصل الثالث: في سماع سائر الموتى وكلامهم وإدراكهم وحياتهم وعود الروح إلى الجسد في القبر. الفصل الرابع: الفرق بين الشهداء وغيرهم، في هذه المسألة. الفصل الخامس: كيفية حصول السماع، للميت؟ («الباب العاشر» خصّصه لمسألة «الشفاعة»). وذكر أنّ وجه تعرّضه لها هو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) في أوّل حديث ذكر في الكتاب: «من زار قبري وجبت له شفاعتي». وقد أشبع الكلام حولها، فذكر مصادرها وأحاديثها، وفصّل في ما تدلّ عليه من أنواعها وعددها، وذكر شرح الحديث الطويل في التجاء الناس - يوم القيامة - إلى الأنبياء وتوسّلهم بالنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وعصمة الأنبياء وترتيب الشفاعات، والمقام المحمود، كلّ ذلك في فصول. وختم الكتاب بجمع النصوص المحتوية على الألفاظ المأثورة بالصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأورد (٦٥) نصّاً. والحق أنّ الإمام السبكي لم يعرض لبحث فيخرج منه إلاّ - أشبعه بالدقّة والتحقيق، وكما قال الحافظ ابن حجر: «لا تقع له مسألة مشكّلة أو مستغرّبة إلاّ [صفحة ٥١] ويجمع شتاتها» بأفضل ما يتوقّع! ويغني القارئ له عمّا سواه.

عملنا في الكتاب

١ التحقيق: قمنا بجمع نسخ المطبوعة [٥٦]، وهي: ١- طبعة مصر الأولى عام (١٣١٨هـ) بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر المحميّة، بالقسم الأدبي. طبعت بمعرفة الشيخ فرج الله التركي الكردستاني وشركائه. في مجلد يحتوي على: ١- كتاب شفاء السقام في زيارة خير الأنام (كتابنا هذا).. ويليهِ كتاب: نفحات القرب والاتصال، بإثبات التصرّف لأولياء الله تعالى، والكرامات بعد الانتقال. لشيخ الإسلام شهاب الدين أحمد الحسيني الحمويّ.. ويليهِ أيضاً: رسالة في إثبات كرامات الأولياء للعلامة السجاعيّ.. ومعها جواب سؤال عن كرامات الأولياء، للعلامة الشوبري.. وفي مقدّمة الكتاب تأليف (تطهير الفؤاد عن دَنَس الاعتقاد) للعلامة محمد بخيت المطيعي. ٢- طبعة الهند عام ١٤٠٣هـ الطبعة الثالثة، تحت إدارة السيّد شرف الدين أحمد مدير دائرة المعارف العثمانية وسكرتيرها قاضي المحكمة العليا سابقاً. بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدرآباد الدكن - الهند. ٢- قمنا بمقارنته النسختين، وانتخاب الصحيح في المتن، والإشارة إلى [صفحة ٥٢] المخالفة في الهامش. ثم التقويم والتقطيع والتنقيط، حسب أحدث الأساليب العلمية المتداولة. ٣- قمنا بالتخريج الواسع للأحاديث والأقوال حسب المصادر والمراجع المذكورة في الأصل، والتمييز الحاصل لنا، ولو بواسطة الكتب الأخرى. ٤- لقد راجعنا ما أورده ابن عبد الهادي في (الصارم المنكي) حرفياً من عبارة كتابنا هذا، ومتابعه ما أورده عليه باسم الردّ، وإرائه ما زيفه من النقل، وما حرّفه من الكلم، بما يعدّ محاكمة عملية له، ومقارنته بين الكتابين. وسيقف المطالع على تحريفات فظيعة قام بها ابن عبد الهادي يزبؤ العالم الورع المتقى لله، بنفسه أن يقوم بها. ٥- أضفنا على جملة الصلاة والسلام على النبي الأعظم كلمة (وآله) أتباعاً لسنته في تعليم الصلاة عليه كما تدل عليه النصوص المنقولة في خاتمة الكتاب، وابتعاداً عن الصلاة البتراء المنهية عنها في بعض الأحاديث. ٦- وأخيراً وضعنا العناوين المناسبة لمواضيع الكتاب وبحوثه، بين المعقوفات، إضافة على ما كتبه المؤلف للأبواب والفصول، لتمكين القراء من معرفة ما يحتويه الكتاب، وسهولة الوصول إلى ما فيه. ٧- نظمنا الفهارس الضرورية للتسهيل على

القارىء. ونحمد الله تبارك وتعالى على التوفيق لإنجاز هذا العمل، ونسأله الرضا عنا بفضلته وإحسانه، وأن يُتحفنا بالقبول بمنه وإفضاله، إنه ذو الجلال والإكرام. [صفحة ٥٣]

المقدمة

الحمد لله الذى منّ علينا برسوله، وهدانا به إلى سواء سبيله، وأمرنا بتعظيمه وتكريمه وتبجيله، وفرض على كل مؤمن أن يكون أحب إليه من نفسه وأبويه وخليله، وجعل أتباعه سبباً لمحبة الله وتفضيله، ونصب طاعته عاصمة من كيد الشيطان وتضليله، ويغنى عن جملة القول وتفصيله رفع ذكره، وما أثنى عليه فى محكم الكتاب وتزييله، صلى الله عليه وسلم صلاة دائمة بدوام طلوع النجم وأفوله. أما بعد، فهذا كتاب سمّيته «شفاء السقام فى زيارة خير الأنام» ورّتبته على عشرة أبواب: الأول: فى الأحاديث الواردة فى الزيارة. الثانى: فى الأحاديث الدالة على ذلك وإن لم يكن فيها لفظ «الزيارة». الثالث: فيما ورد فى السفر إليها. الرابع: فى نصوص العلماء على استحبابها. الخامس: فى تقرير كونها قريبة. السادس: فى كون السفر إليها قريبة. السابع: فى دفع شبه الخضم وتتبع كلماته. الثامن: فى التوسيل والاستغاثة. التاسع: فى حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. العاشر: فى الشفاعة؛ لتعلقها بقوله: «من زار قبرى وجبت له شفاعتى». وضمنت هذا الكتاب الردّ على من زعم: أن أحاديث الزيارة كلّها موضوعة؟! [صفحة ٥٤] وأن السفر إليها بدعة غير مشروعة؟! [٥٧]. وهذه المقالة أظهر فساداً من أن يردّ العلماء عليها، ولكنى جعلت هذا الكتاب مستقلاً فى الزيارة وما يتعلّق بها، مشتملاً من ذلك على جملة يعزّ جمعها على طالبها. وكنت سمّيت هذا الكتاب «شّن الغارة على من أنكر سفر الزيارة» ثم اخترت التسمية المتقدمة. واستعنت بالله تعالى، وتوكلت عليه، وهو حسبي ونعم الوكيل. [صفحة ٥٦]

فى الأحاديث الواردة فى الزيارة نصاً

من زار قبرى وجبت له شفاعتى

إشاره

رواه الدارقطنى والبيهقى وغيرهما: أخبرنا الحافظ أبو محمّد عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى التونى الدمياطى رحمه الله تعالى، بجميع «سنن الدارقطنى» سماعاً، قال: أنا الحافظ أبو الحجّاج يوسف بن خليل بن عبد الله الدمشقى، أنا ناصر بن محمّد بن أبى الفتح أبو يرح القطان، أنا أبو الفتح إسماعيل بن الإخشيد السراج، أنا أبو طاهر محمّد بن أحمد بن محمّد بن عبد الرحيم، أنا أبو الحسن علىّ ابن عمر بن أحمد بن مهديّ الحافظ الدارقطنى (رحمه الله)، قال: حدّثنا القاضى المحاملى، ثنا عبيد بن محمّد الوراق، ثنا موسى بن هلال العبدى، عن عبيد الله بن عمر [٥٨]، عن نافع، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من زار قبرى وجبت له شفاعتى» [٥٩]. [صفحة ٥٧]

روايته بتصغير عبيدالله

هكذا فى عدّة نسخ معتمدة من «سنن الدارقطنى»: «عبيدالله» مصغراً، منها نسخة كتبها عنه أحمد بن محمّد بن الحارث الأصفهاني، وعليها طباق كثيرة على ابن عبد الرحيم فمن بعده إلى شيخنا. وكذلك رواه الدارقطنى فى غير السنن، واتفقت روايته على ذلك فى السنن وفى غيره من طريق ابن عبد الرحيم، كما ذكرناه. ومن طريق محمّد بن عبد الملك بن بشران، ومن طريق أبى النعمان تراب بن عبيد أيضاً: فأما رواية ابن بشران: فأخبرنا بها عثمان بن محمّد فى كتابه إلى من مكّه شرفها الله تعالى قال: أخبرنا الحافظ أبو الحسين يحيى بن علىّ القرشى بمصر، وأبو اليمان بن عساكر بمكّه بقراءتى عليهما، قالاً: أنا أبو البركات الحسن بن محمّد بن الحسن الشافعى

العدل - وهو جدّ أبي اليمن، بدمشق - قال أبو الحسين: بقراءة تى عليه، وقال أبو اليمن: قراءة عليه - قال: أنا عمي أبو الحسين هبة الله بن الحسن بن هبة الله الفقيه الأصولي الحافظ، أنا أبو طاهر عبدالرحمان بن أحمد بن عبدالقادر ابن محمد بن يوسف، أنا أبو بكر محمد بن عبدالملك بن بشران، أنا أبو الحسن عليّ بن عمر بن مهديّ الدارقطنيّ الحافظ، ثنا القاضي المحامليّ، ثنا عبيدالله بن محمد الوراق، ثنا موسى بن هلال العبديّ، عن عبيدالله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من زار قبري وجبت له شفاعتي». هكذا أورده أبو اليمن بن أبي الحسن زيد بن الحسن في كتاب «إتحاف [صفحة ٥٨] الزائر وإطراف المقيم للسائر [٦٠] في زيارة سيّدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)» وهو عندي عليه خطّ مصنّفه، وقراءة أبي عمرو عثمان بن محمد التوزريّ لجميعة عليه. وكذلك أورده الحافظ أبو الحسين القرشيّ في كتاب «الدلائل المتينة [٦١] في فضائل المدينة» وقد قرأه عليه التوزريّ أيضاً، وسمعه أيضاً جماعة من شيوخنا على مصنّفه المذكور رحمه الله تعالى. وأما رواية أبي النعمان تراب بن عبيد: فذكرها القاضي أبو الحسن عليّ بن الحسن الخلعيّ في فوائده، وهي عشرون جزءاً، قرأت منها بثغر الإسكندريّة سنة أربع وسبعمئة على الشيخ الفاضل المقرئ أبي الحسن [٦٢]؛ يحيى بن أبي الفضل أحمد بن عبدالعزيز بن عبد الله بن عبد الباقي بن الصوّاف: الجزء الأوّل، والثاني، وبعض الثالث. وحديثي بهذا القدر كلمة كلمة، فإنّه كان قد عمّر وعمي وثقل سمعه، فصرت أقرأ عليه لفظه ويعيدها؛ لأنّ تحقق سماعه، وناولني جميع الأجزاء الستّة الأولى، والسادس عشر، والسابع عشر، والتاسع عشر، بسماعه لذلك من ابن عماد سنة عشرين وستمئة. وقرأت منها بدمشق على المسند أبي عبدالله محمد بن أبي العزّ بن مشرف بن بيان [٦٣] الأنصاريّ القدر الذي يرويه منها باتصال السماع، وهو من أوّل الجزء الثامن إلى آخرها، وذلك ثلاثة عشر جزءاً بسماعه من أبي صادق الحسن بن يحيى ابن صباح المخزوميّ المصريّ: أخبرنا ابن رفاعه. والحديث المذكور في السابع من الفوائد المذكورة. وأنا به شيخنا ابن الصوّاف المتقدّم ذكره، والشريف أبو الحسن عليّ بن [صفحة ٥٩] أحمد ابن عبدالمحسن القرافيّ [٦٤] في كتابيهما إلى من الثغر، قال: أنا أبو عبدالله محمد بن عماد ابن محمد الحرّانيّ - قال ابن الصوّاف: بقراءة والدي عليه وأنا أسمع سنة عشرين، وقال القرافيّ: بقراءة والدي عليه وأنا أسمع عنه ثلاثين وستمئة - قال: أنبأنا أبو محمد عبدالله بن رفاعه بن عدين [٦٥] السعدّيّ الفرضيّ. (ح) وكتب إليّ عثمان بن محمد من مكّة شرفها الله تعالى: أنّه قرأ على الحافظ أبي الحسين يحيى بن عليّ القرشيّ في تصنيفه المسمّى «الدلائل المتينة [٦٦] في فضائل المدينة» قال: أنا القاضي أبو محمّد عبدالله بن محمّد بن عبدالله بن الشافعيّ بقراءة تى عليه بمصر، وأبو عبدالله محمد بن أبي المعالي الحرّانيّ بالإسكندريّة قال: أنا أبو محمد عبدالله بن أبي الخير الشافعيّ الفرضيّ، أنا القاضي أبو الحسن عليّ بن الحسن بن الحسين بن محمّد الشافعيّ المعروف بـ «الخلعيّ» أنا أبو النعمان تراب بن عمر بن عبيد، ثنا أبو الحسن عليّ بن عمر الدارقطنيّ، ثنا أبو عبدالله الحسين بن إسماعيل، قال: ثنا عبيد بن محمد الوراق، ثنا موسى بن هلال العبديّ، عن عبيدالله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من زار قبري وجبت له شفاعتي». وممن رواها من طريق الخلعيّ الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في تاريخه [٦٧] في باب «أنّ من زار قبره (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد وفاته كان كمن زار حضرته في حال حياته»: أخبرنا بذلك عبد المؤمن بن خلف وعليّ بن محمد وغيرهما مشافهة، عن القاضي أبي نصر محمد بن هبة الله الشيرازيّ قال: أنا الحافظ أبو القاسم ابن عساكر قال: أنا خالي أبو المعالي محمد بن يحيى القرشيّ القاضي بدمشق، أنا أبو [صفحة ٦٠] الحسن الخلعيّ، أنا تراب بن عمر بن عبيد، ثنا أبو الحسن الدارقطنيّ، ثنا أبو عبدالله الحسين بن إسماعيل، ثنا عبيد بن محمد الوراق، ثنا موسى بن هلال العبديّ، عن عبيدالله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من زار قبري وجبت له شفاعتي». فقد اتفقت الروايات عن الدارقطنيّ عن المحامليّ على: (عبيدالله) مصغراً. وكذلك رواه غير الدارقطنيّ عن غير المحامليّ عن عبيد بن محمد: أنا بذلك عبد المؤمن بن خلف وغيره إذناً، عن أبي نصر الشيرازيّ، أنا ابن عساكر، أنا أبو القاسم الشحاميّ، أنا أبو بكر البيهقيّ، أنا أبو عبدالله الحافظ، أنا أبو الفضل محمّد بن إبراهيم، ثنا محمّد بن زنجويه العشيريّ، ثنا عبيد بن محمد بن القاسم بن أبي مريم الوراق - وكان نيسابوريّ الأصل سكن بغداد - ثنا موسى بن هلال العبديّ، عن عبيدالله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلى

الله عليه وآله وسلم): «من زار قبري وجبت له شفاعتي». فقد ثبت عن عبيد بن محمد روايته على التصغير، وعبيد بن محمد ثقة، قاله الخطيب رحمه الله تعالى [٦٨].

متابعات و شواهد

ورواه عن موسى بن هلال عن عبيد بن محمد جماعة: منهم: جعفر بن محمد البزوري يقال العقيلي في كتابه: ثنا محمد بن عبدالله الحضرمي، ثنا جعفر بن محمد البزوري، ثنا موسى بن هلال البصري، عن عبيدالله، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي». [صفحة ٦١] هكذا رأيت في نسخة عبيدالله [٦٩]. ومنهم: محمد بن إسماعيل بن سمره الأحمسي واختلف عليه فروى عنه مصغراً: كما رواه غيره، أخبرنا بذلك عبد المؤمن وغيره إذناً، عن أبي نصر، أنا علي بن الحسن الحافظ، أنا إسماعيل بن محمد بن الفضل الحافظ، أنا أحمد بن علي بن خلف، أنا أبو القاسم بن حبيب، حدّثنا أبو بكر أحمد بن نصر بن نصير [٧٠] بن بكار البخاري، أنا أبو عبد الرحمان عبدالله بن عبيدالله، ثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، عن موسى بن هلال، عن عبيدالله.

من رواه بتكبير عبدالله

وروى عنه مكبراً: أنا بذلك أقيان [٧١] بن محفوظ بن محمود بن هلال بقراءة على عليه سنة ست وسبعمائه، أنا أبو سعيد قايماز بن عبدالله المعظمي، أنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي، أنا أبو سعيد أحمد بن الحسن بن أحمد بن علي بن الخصب الخناسري، أنا أبو بكر أحمد بن الفضل بن محمد المقرئ إمام الجامع بأصبهان، ثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن يعقوب الإمام، ثنا عبيدالله بن محمد بن عبدالكريم الرازي، ثنا محمد بن إسماعيل بن سمره الأحمسي، ثنا موسى بن هلال العبدي، عن عبدالله بن عمر. هكذا نقلته من خط الحافظ أبي محمد عبدالعظيم المنذري رحمه الله، وهكذا قاله أبو أحمد بن عدي في كتاب «الكامل»: [٧٢]. كما أنبأنا عبد المؤمن وآخرون، عن أبي الحسن بن المقير، عن أبي الكرم بن الشهرزوري، أنا إسماعيل بن مسعدة الإسماعيلي. [صفحة ٦٢] (ح) وأنا عبد المؤمن وغيره أيضاً، عن ابن ميميل، أنا علي بن الحسن الدمشقي، أنا أبو القاسم الشحامي، أنا أبو بكر البيهقي، أنا أبو سعيد الماليني. (ح) قال الدمشقي: أنا أبو القاسم ابن السمرقندي، أنا إسماعيل بن مسعدة، أنا حمزة بن يوسف قالوا: أنا أبو أحمد بن عدي الحافظ، حدّثنا محمد بن موسى الحلواني. (ح) قال الدمشقي: وأخبرنا علي بن إبراهيم الخطيب، أنا رشأ بن لطيف [٧٣]، أنا الحسن بن إسماعيل، ثنا أحمد بن مروان، ثنا محمد بن عبدالعزيز الدينوري. قالوا: ثنا محمد بن إسماعيل بن سمره، ثنا موسى بن هلال، ثنا عبدالله بن عمر. وكذلك كتب إلي عثمان بن محمد من مكة شرفها الله تعالى: أنه قرأ على الحافظ يحيى بن علي: أنا الحافظ علي بن المفصل قراءة عليه غير مرة، والقاضي أبو القاسم حمزة بن علي بن عثمان المخزومي قالوا: أنا الحافظ أبو طاهر السلفي. (ح) وأنا جماعة عن جماعة عنه، أنا أبو إبراهيم الخليل بن عبد الجبار، أنا سليم بن أيوب، أنا أحمد بن عبدالله المعدل بالري، أنا عبد الرحمان بن أبي حاتم الرازي، ثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، ثنا موسى بن هلال، عن عبدالله بن عمر. ومرّض الحافظ يحيى بن علي القرشي هذه الرواية، وذكر أن الصواب «عبيدالله» بالتصغير. ورأيت في «تاريخ ابن عساكر» [٧٤] بخط أبي عبدالله البرزالي: المحفوظ عن ابن سمره «عبيدالله». قال أبو أحمد بن عدي في كتاب «الكامل» فيما أنبأنا جماعة بالإسناد [صفحة ٦٣] المتقدم إليه: عبدالله أصح [٧٥]. وفيما قاله نظر.

رأى المؤلف بترجيح رواية التصغير

والذي نرجح أن يكون «عبيدالله» لتطافر روايات عبيد بن محمد كلها، وبعض روايات ابن سمره، ولما سنذكره من متابعة مسلمة

الجهنّي لموسى بن هلال، كما سيأتي في الحديث الثالث. ويحتمل أن يكون الحديث عن عبيد الله وعبد الله جميعاً، ويكون موسى سمعه منهما، وتارة حدث به عن هذا، وتارة عن هذا. وممن رواه عن موسى عن عبد الله: الفضل بن سهل؛ فيما أنا أبو محمد الدميّاطي وغيره إذناً عن أبي نصر: أنا ابن عساكر أنا أبو سعيد [٧٦] أحمد بن محمد البغدادي، أنا أبو نصر محمد بن أحمد بن محمد، أنا أبو سعيد الصيرفي، أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الصفار، ثنا أبو بكر بن أبي الدنيا، ثنا الفضل بن سهل، ثنا موسى بن هلال، ثنا عبد الله بن عمر. وهكذا قاله أبو الحسين يحيى بن الحسن الحسيني في كتاب «أخبار المدينة» قال: ثنا رجل من طلبة العلم، ثنا الفضل بن سهل... فذكره. قال حفيد صاحب الكتاب الحسن بن محمد بن يحيى في موضع آخر منه: يعني أبا بكر. وكذلك رواه ابن الجوزي في «مشير العزم [٧٧] الساكن» [٧٨] ونقلته من خطه قال: [صفحة ٦٤] أنبأنا الحريري، أنا الخياط، أنا ابن دُرست، ثنا ابن صفوان، ثنا أبو بكر القرشي؛ وهو ابن أبي الدنيا... فذكره. وهذه الطريق إن صحّت، تحمل على أن الحديث عنهما، كما قدّمناه، فإنّه لا تنافي في ذلك.

الاعتماد على رواية عبد الله

يلاحظ أن ابن عبد الهادي في رده على المؤلف في سند هذا الحديث ضعفه، نظراً إلى ما قاله الجارحون، ولم يُعِر اهتماماً لما ذكره هؤلاء الأعلام: أحمد، وابن معين، وابن حبان وحتى ابن عدي! قال الاستاد العلامة محمود سعيد ممدوح في (رفع المنارة ص ٧٩. لاحظ ص ٣١٤): بعد النظر في الصارم المنكي رأيت الهول، فتراه يتعتت أشدّ التعتت في ردّ الأحاديث عند كلامه على الرجل، ويطول الكلام جداً، ناقلاً ما يراه يؤيد رأيه - وهو الجرح! - ولا يذكر من التعديل إلا ما يوافق!! كما فعل مع عبد الله بن عمر العمري، وقال ممدوح: فالعمري حسن الحديث كما قال غير واحد من الأئمة وهذا ابن عبد الهادي الذي أقام الدنيا ولم يقعدّها! وحشد الأقوال في تضعيف (عبد الله) قد استدلل بحديثه في تنقيح التحقيق (١/ ١٢٢). ثم انطلق العلامة الممدوح في دفع ما وجّه إلى الراوي في رفع المنارة (٣٨٠ - ٣١٨) فجازه الله خيراً. بينما الإمام السبكي: ذكر الجرح - رغم شهرته - وذكر وجهه، إلى جنب الاعتماد ووجهه مفضلاً. ومع هذا فإن ابن عبد الهادي يتهم الإمام السبكي بالتغافل عن الجرح! والله يتولّى الصالحين. وكتب السيّد علي أن عبد الله المكبر روى له مسلم مقروناً بغيره، وقال أحمد (رحمه الله): صالح. وقال أبو حاتم: رأيت أحمد بن حنبل يحسن الثناء عليه [٧٩]. وقال يحيى بن معين: ليس به بأس، يكتب حديثه، وقال: إنّه في نافع: صالح [٨٠]. وقال ابن عدي: لا بأس به صدوق [٨١]. [صفحة ٦٥] وقال ابن حبان: كان ممن غلب عليه الصلاح حتى غلب عن ضبط الأخبار وجودة الحفظ للآثار، تقع المناكير في روايته، فلما فحش خطؤه استحقّ الترك [٨٢]. وهذا الكلام من ابن حبان يعرفك أنّه لم يتكلّم فيه لجرح في نفسه، وإنّما هو لكثرة غلظه. وأمّا حكمه باستحقاقه الترك، فمخالف لإخراج مسلم رحمه الله تعالى له في المتابعات. وليس هذا الحديث في مظنة أن يحصل فيه التباس على عبد الله؛ لا في سنده، ولا في متنه، فإنّه في نافع (صالح) كما سبق، وخصّيص به، ومتن الحديث في غاية القصر والوضوح، فاحتمال خطئه فيه بعيد، والرواية جميعهم إلى موسى بن هلال ثقات لا ريبه فيهم، وموسى بن هلال قال ابن عدي: أرجو أنّه لا بأس به [٨٣]. وأمّا قول أبي حاتم الرازي فيه: إنّه مجهول، فلا يضرّه؛ فإنّه إمّا أن يريد جهالة العين، أو جهالة الوصف. فإن أراد جهالة العين - وهو غالب اصطلاح أهل هذا الشأن في هذا الإطلاق - فذلك مرتفع عنه؛ لأنّه قد روى عن أحمد بن حنبل، ومحمد بن جابر المحاربي، ومحمد بن إسماعيل الأحمسي، وأبو أمية محمد بن إبراهيم الطرسوسي، وعبيد بن محمد الوراق، والفضل بن سهل، وجعفر بن محمد البزوري، وبرواية اثنين تنتفي جهالة العين، فكيف برواية سبعة؟! وإن أراد جهالة الوصف فرواية أحمد عنه ترفع من شأنه، لا سيما مع ما قاله ابن عدي فيه. وممن ذكره في مشايخ أحمد رحمه الله تعالى أبو الفرج ابن الجوزي، وأبو [صفحة ٦٦] إسحاق الصيرفي، وأحمد (رحمه الله) لم يكن يروى إلا عن ثقة. وقد صرح الخصم بذلك في الكتاب الذي صنّفه في (الردّ على البكري) بعد عشر كراريس منه، قال: إنّ القائلين بالجرح والتعديل من علماء الحديث نوعان: منهم من لم يرو إلا عن ثقة عنده، كمالك، وشعبة، ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمان بن مهدي، وأحمد بن حنبل، وكذلك البخاري وأمثاله [٨٤]. وقد كفانا الخصم بهذا الكلام مؤنة تبين أن أحمد لا يروى إلا عن ثقة،

وحينئذ لا يبقى له مطعن فيه. وأما قول العقيلي: إنه لا يتابع عليه، وقول البيهقي: سواء قال: عبيد الله، أم عبد الله، فهو منكر عن نافع عن ابن عمر، لم يأت به غيره. فهذا وما في معناه يدلُّك على أنه لا علمه لهذا الحديث عندهم إلا تفرد موسى به، وأنهم لم يحتملوه له؛ لخفاء حاله، وإلا فكم من ثقة يتفرد بأشياء ويُقبل منه؟ أو أما بعد قول ابن عدى فيه ما قال، ووجود متابع، فإنه يتعين قبوله، وعدم ردّه. ولذلك - والله أعلم - ذكره عبد الحق (رحمه الله) [٨٥] في «الأحكام الوسطى» و«الصغرى» وسكت عنه. وقد قال في خطبة «الأحكام الصغرى»: إنه تخيرها صحيحه الإسناد، معروفة عند النقاد، قد نقلها الأثبات، وتداولها الثقات. وقال في خطبة «الوسطى» وهي المشهورة اليوم بـ «الكبرى»: إن سكوتها عن الحديث دليل على صحته فيما يعلم، وإنه لم يتعرض لإخراج الحديث المعتل كله، وأخرج منه يسيراً مما عمل به أو أكثره عند بعض الناس، واعتمد وفتح إليه [صفحة ٦٧] الحفاظ عند الحاجة إليه، وإنه إنما يعلل من الحديث ما كان فيه أمر أو نهى، أو يتعلّق به حكم، وأما ما سوى ذلك فربما في بعضها سمح، وليس منها شيء عن متفق على تركه. وسبقه الحافظ أبو علي بن السكن إلى تصحيح الحديث الثالث، كما سنذكره، وهو متضمن لمعنى هذا الحديث. وقول ابن القطان: إن قول ابن عدى صدر عن تصفّح روايات موسى بن هلال، لا عن مباشرة أحواله. لا يضرّ أيضاً؛ لأن كثيراً من جرح المحدثين وتوثيقهم على هذا النحو، بل هو أولى من ثبوت العدالة المجردة من غير نظر في حديثه، وقد وجدنا لرواية موسى بن هلال متابعه وشواهد من وجوه سنكرها. وبذلك تبين: أن أقل درجات هذا الحديث أن يكون حسناً إن نوزع في دعوى صحته، فإن الحسن قسمان: أحدهما: ما في إسناده مستور لم يتحقّق أهليته، وليس مغفلاً كثير الخطأ، ولا ظهر منه سبب مفسق، ومتن الحديث مع ذلك روى مثله أو نحوه من وجه آخر. وأقل درجات موسى بن هلال رحمه الله تعالى أن يكون بهذه الصفة، وحديثه بهذه المثابة. والقسم الثاني للحسن: أن يكون راويه مشهوراً بالصدق والأمانة، لم يبلغ درجة رجال الصحيح؛ لقصوره في الحفاظ، وهو مع ذلك يرتفع عن حال من يُعدّ ما ينفرد به حديثه منكرًا، وهذا الحديث قد يقتضى إطلاق اسم «الحسن» على بعض ما سنذكره من الأحاديث أيضاً. وليس لقائل أن يقول: إن هذا يقتضى سلب اسم «الحسن» عن الحديث الذي نحن فيه. فإن ما ذكرناه ليس اختلافاً في حدّ الحسن، بل هو تقسيم له، والحديث [صفحة ٦٨] الحسن صادق على كلّ من النوعين.

قوة الحديث بتضافر الإسناد

ثم إن الأحاديث التي جمعناها في الزيارة، بضعة عشر حديثاً ممّا فيه لفظ «الزيارة» غير ما يستدلّ به لها من أحاديث أخرى، وتضافر الأحاديث يزيد لها قوة؛ حتى أن الحسن قد يترقى بذلك إلى درجة الصحيح. والضعيف قسمان: قسم يكون ضعف راويه ناشئاً من كونه متهماً بالكذب ونحوه، فاجتماع الأحاديث الضعيفة من هذا الجنس لا يزيد لها قوة. وقسم يكون ضعف راويه ناشئاً من ضعف الحفاظ، مع كونه من أهل الصدق والديانة، فإذا رأينا ما رواه قد جاء من وجه آخر، عرفنا أنه ممّا قد حقّقه، ولم يختل فيه ضبطه له، هكذا قاله ابن الصلاح (رحمه الله) وغيره [٨٦]. فاجتماع الأحاديث الضعيفة من هذا النوع يزيد لها قوة، وقد يترقى بذلك إلى درجة الحسن أو الصحيح. ولهذا لما تكلم النووي (رحمه الله) في أن ميقات ذات عرق، هل هو منصوص عليه، أو مجتهد فيه؟ صحّح أنه منصوص عليه، وذكر عن جمهور أصحابنا تصحيحه للأحاديث الواردة فيه، وإن كانت أسانيد مفرداتها ضعيفة، فمجموعها يقوى بعضه بعضاً، ويصير الحديث حسناً، ويحتجّ به، هكذا ذكره في «شرح المهذب» في كتاب الحجّ [٨٧]. فهذه مباحث في إسناد هذا الحديث: أولها: تحقيق كونه من رواية «عبيد الله» المصنّف، وترجيح ذلك على ما رواه [صفحة ٦٩] عن «عبد الله» المكبر. وثانيها: القول بأنّه عنهما جميعاً. وثالثها: على تقدير التنزل وتسليم أنه عن عبد الله المكبر وحده، فإنه داخل في قسم الحسن؛ لما ذكرناه. ورابعها: على تقدير أن يكون ضعيفاً من هذا الطريق وحده - وحاشا لله - فإن اجتماع الأحاديث الضعيفة من هذا النوع يقويها، ويوصلها إلى رتبة الحسن. وبهذا بل بأقل منه، يتبين افتراء من ادعى أن جميع الأحاديث الواردة في الزيارة موضوعه. فسبحان الله!! أما استحي من الله ومن رسوله في هذه المقالة التي لم يسبقه إليها عالم ولا جاهل؟ لا من أهل الحديث، ولا من غيرهم؟ ولا ذكر أحد موسى بن هلال ولا غيره من رواة

حديثه هذا بالوضع، ولا اتهمه به فيما علمنا! فكيف يستجيز مسلم أن يطلق على كل الأحاديث التي هو واحد منها: «أنها موضوعة» ولم ينقل إليه ذلك عن عالم قبله، ولا ظهر على هذا الحديث شيء من الأسباب المقتضية للمحدثين للحكم بالوضع. ولا حكم منته مما يخالف الشريعة. فمن أي وجه يحكم بالوضع عليه لو كان ضعيفاً؟! فكيف وهو حسن أو صحيح؟! ولتقتصر على هذا القدر مما يتعلق بسند هذا الحديث الأول.

دلالة الحديث

وأما منته فقوله: «وجبت» معناه حقت وثبتت ولزمت، وأنه لا بد منها؛ لوعده (صلى الله عليه وآله وسلم) تفضلاً منه. [صفحة ٧٠] وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «له» إما أن يكون المراد له بخصوصه؛ بمعنى أن الزائر ينحصون بشفاعته لا تحصل لغيرهم عموماً، ولا خصوصاً. وإما أن يكون المراد أنهم يفردون بشفاعته مما تحصل لغيرهم، ويكون أفرادهم لذلك تشریفاً وتنويهاً بهم بسبب الزيارة. وإما أن يكون المراد أنه ببركة الزيارة، يجب دخوله في عموم من تناله الشفاعته، وفائدة ذلك البشري بأنه يموت مسلماً. وعلى هذا التقدير الثالث يجب إجراء اللفظ على عمومه؛ لأننا لو أضمرنا فيه شرط الوفاء على الإسلام، لم يكن لذكر الزيارة معنى؛ لأن الإسلام وحده كاف في نيل هذه الشفاعته. وعلى التقديرين الأولين يصح هذا الإضمار. فالحاصل: أن أثر الزيارة إما الوفاء على الإسلام مطلقاً لكل زائر، وكفى بها نعمه، وأما شفاعته خاصية بالزائر أخص من الشفاعته العامية للمسلمين. وقوله: «شفاعتي» في الإضافة إليه تشریف لها؛ فإن الملائكة والأنبياء والمؤمنين يشفعون، والزائر لقبره (صلى الله عليه وآله وسلم) له نسبة خاصة منه، فيشفع فيه هو بنفسه، والشفاعة تعظم بعظم الشافع، فكما أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أفضل من غيره، كذلك شفاعته أفضل من شفاعته غيره. ويحتاج هنا إلى ذكر الشفاعته الأخروية، ولكني أؤخر الكلام فيها [٨٨]؛ لئلا يمل الناظر قبل كمال مقصوده من الزيارة. [صفحة ٧١]

من زار قبري حلت له شفاعتي

(سند الحديث) رواه الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده [٨٩]، قال: حدّثنا فتية، ثنا عبد الله بن إبراهيم، ثنا عبد الرحمن بن زيد، عن أبيه، عن ابن عمر رضی الله عنهما، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «من زار قبري حلت له شفاعتي». وهذا هو الحديث الأول بعينه، ولذلك عزاه عبد الحق (رحمه الله) إلى الدارقطني والبزار جميعاً، إلا أن في الحديث الأول: «وجبت» وفي هذا: «حلت» فلذلك أفردته. وقد نقلته من نسخته معتمدة سمعها الحافظ القاضي أبو علي الحسين بن محمد الصدفي على الشيخ الفقيه صاحب الأحكام؛ أبو محمد عبد الله بن محمد بن إسماعيل ابن فورثش في سنة ثمانين وأربعمائة بسرقطة، وعليها خط أبي محمد عبد الله بن فورثش بسماع الصدفي عليه، وأنه حدّثه بها عن الشيخ أبي عمر أحمد بن محمد المقرئ الظلمنكي إجازة: أنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى بن معرج [٩٠]، ثنا أبو الحسين محمد بن أيوب بن حبيب بن يحيى الرقي الصموت، ثنا أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار. وعلى هذه النسخة: أنها قوبلت بأصل القاضي أبي عبد الله بن معرج الذي فيه سماعه على الرقي محمد بن أيوب، وأكثر أصل ابن معرج بخط الرقي. وقد حدّث القاضي أبو علي الصدفي بهذه النسخة مرّات، وعليها الطباقي [صفحة ٧٢] عليه، وممن قرأها على الصدفي محمد بن خلف بن سليمان بن فتحون في سنة ثلاث وخمسمائة. وقد حدّث بهذه النسخة أيضاً الفقيه العالم المتقن أبو محمد بن حوط الله، قرأها عليه محمد بن محمد بن سماعه في سنة ست وستمائة بمرسية. وفورثش بضم الفاء بعدها واو ساكنة، ثم راء ساكنة، ثم تاء مثناة من فوق، ثم شين معجمة. وقتيبة شيخ البزار هو ابن المرزبان، روى عنه أحاديث غير هذا. وعبد الله بن إبراهيم هو الغفاري يقال: إنه من ولد أبي ذر (رضي الله عنه) روى له أبو داود والترمذي، قال أبو داود: منكر الحديث. وقال ابن عدي: عامية ما يرويه لا يتابعه عليه الثقات [٩١]. وقال البزار عقب ذكره هذا الحديث: عبد الله بن إبراهيم حدّث بأحاديث لم يتابع عليها، وإنما يكتب من حديثه ما لا يحفظ إلا عنه. وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم روى له الترمذي وابن ماجه،

وضَعفه جماعة [٩٢]، وقال ابن عدى: إنه له أحاديث حسان، وإنه ممن احتمله الناس وصدقه بعضهم، وإنه ممن يكتب حديثه [٩٣]. وصحح الحاكم رحمه الله تعالى حديثاً من جهته سند ذكره في التوسل بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم). وإذا كان المقصود من هذا الحديث تقوية الأول به وشهادته له، لم يضر ما قيل في هذين الرجلين؛ إذ ليس راجعاً إلى تهمة كذب، ولا فسق، ومثل هذا يحتمل في المتابعات والشواهد [٩٤]. [صفحة ٧٣]

من جاءني زائراً لا يعمله حاجة إلا زيارتي، كان حقاً على أن أكون له شفيعاً يوم القيامة

(سند الحديث) رواه الطبراني في معجمه الكبير [٩٥]، والدارقطني في أماليه [٩٦]، وأبو بكر ابن المقرئ في معجمه، وصححه سعيد بن السكن [٩٧]. وهو من رواية مسلمة الجهني عن عبيد الله العمري، ففيه متابعة لموسى بن هلال في شيخه، وبيان لأنّه لم يتفرد بالحديث، وكان ينبغي لأجل ذلك أن نذكره مع الأول، لكن لما تضمن زيادة معنى أفردناه. وقد ورد في بعض الروايات: «لا يعمله» وفي بعضها: «لا ينزعه». واختلف على مسلمة في عبيد الله وعبد الله، كما اختلف على موسى بن هلال، فرواه عبد الله بن محمد العبدي البصري عن مسلمة، عن عبيد الله مصغراً، عن نافع والعبدي بضم العين المهملة، وفتح الباء المخففة المنقوطة بواحدة، وفي آخره الدال، نسبة إلى عباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابه بن صعب بن علي بن بكر. قال أبو سعد ابن السمعي: والمشهور بالنسبة إليهم: عبد الله بن محمد [صفحة ٧٤] العبدي، يروي عن الحسن بن حبيب بن ندبة، حدث عنه عبدان وغيره [٩٨]. وقال الصوري: بتشديد الباء. قال ابن ماكولا: ما نعرفه إلا مخففاً. أخبرنا أبو الفضل إسحاق بن أبي بكر بن إبراهيم ابن النحاس الأسدي بقراءة عليه بجامع دمشق في عاشر صفر سنة ثمان وسبعمئة، قلت له: أخبرك الحافظ أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله الدمشقي قراءة عليه وأنت تسمع، أنا أبو عبد الله بن أبي زيد بن حميد [٩٩] بن نصر الكرائي، أنا أبو منصور محمود بن إسماعيل بن محمد الصيرفي، أنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن الحسين بن فاذشاه، أنا أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني، ثنا عبدان بن أحمد، ثنا عبد الله بن محمد العبدي البصري، ثنا مسلمة بن سالم الجهني، حدثني عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن سالم، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من جاءني زائراً لا يعمله حاجة إلا زيارتي، كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة» [١٠٠]. وأخبرنا به أيضاً علي بن أحمد العراقي [١٠١] في كتابه: أنا ابن عماد، أنا ابن [صفحة ٧٥] رفاعه، أنا الخلعبي (ح). وكتب إلي عثمان بن محمد: أنه قرأ على الحافظ يحيى بن علي القرشي: أنا عبد الله بن محمد وابن عماد قالاً: أنا ابن رفاعه، أنا الخلعبي، أنا أبو النعمان تراب بن عمر بن عبيد بن محمد بن عتياس العسقلاني، ثنا أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد ابن مهدي الدرقي البغدادي إملاءً بمصر، ثنا يحيى بن محمد بن صاعد، ثنا أبو محمد عبد الله بن محمد العبدي من بني عباد بن ربيعة في بني مرة بالبصرة سنة خمسين ومائتين، حدثنا مسلمة بن سالم الجهني إمام مسجد بني حرام ومؤدبهم، ثنا عبيد [١٠٢] الله بن عمر، عن نافع، عن سالم، عن أبيه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من جاءني زائراً لم تنزعه حاجة إلا زيارتي، كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة». وأخبرنا أيضاً عبد المؤمن وغيره إذنا عن أبي نصر، أنبأنا ابن عساكر، أنا خالي أبو المعالي محمد بن يحيى بن علي، أنا علي بن الحسن بن الحسين الخلعبي... فكذره بإسناده ومنته. وفي هذين الطريقين - أعني طريق عبدان، وطريق يحيى بن محمد بن صاعد - «نافع، عن سالم». ورواه غيرهما فقال فيه: عن نافع وسالم، كذلك قرئ علي أبي الفضل إسحاق بن أبي بكر بن إبراهيم بن هبة الله بن طارق بن سالم بن النحاس الأسدي الحنفي في معجم ابن المقرئ وأنا أسمع بدمشق، أن الحافظ أبا الحجاج يوسف بن خليل الدمشقي أخبره قراءة عليه وهو يسمع بحلب، أنا أبو مسلم المؤيد بن عبد الرحيم بن أحمد ابن الإخوة، وزوجته عين الشمس بنت أبي سعيد بن الحسن قالاً: أنا أبو الفرح سعيد بن أبي الرجاء الصيرفي - قال المؤيد: سماعاً، وقالت زوجته: إجازة - قال: أنا الشيخان أبو طاهر أحمد بن محمود الثقفي، وأبو الفتح [صفحة ٧٦] منصور بن الحسين بن علي بن القاسم، قالاً: أنا أبو بكر محمد بن إبراهيم ابن علي ابن عاصم بن المقرئ. (ح) وأخبرنا عبد المؤمن بن خلف وغيره إذنا، عن أبي نصر، أنا علي بن الحسن بن هبة الله، أخبرنا أبو

الفرج سعيد بن أبي الرجاء الأصبهاني، أنا منصور ابن الحسين وأبو طاهر بن محمود، قالوا: أنا أبو بكر ابن المقرئ، ثنا محمد بن أحمد ابن محمد الشطوي ببغداد، ثنا عبدالله بن يزيد الخثعمي، ثنا عبدالله بن محمد، حدثني مسلمة بن سالم الجهني إمام مسجد بني حرام ومؤدبهم بالبصرة قال: حدثني عبيدالله بن عمر العمرى، عن نافع وسالم، عن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من جاءني زائراً لا ينزعه إلا - زيارتي، كان حقاً على الله عز وجل أن أكون له شفيعاً يوم القيامة». وفي رواية ابن عساكر «حق» بالرفع. وهذه الطرق كلها متفقاً عن عبدالله بن محمد العبادي، عن مسلمة، عن «عبيدالله» مصغراً. ورواه مسلم بن حاتم الأنصاري، عن مسلمة، عن «عبدالله» أخبرنا بذلك ابن خلف وغيره إذناً، عن ابن هبة الله، أنا الدمشقي، أنا أبو علي الحداد في كتابه، ثم حدثني عبدالرحيم بن علي أبو مسعود عنه، أنا أبو نعيم الحافظ، حدثنا أبو محمد بن حيان، ثنا محمد بن أحمد بن سليمان الهروي، ثنا مسلم ابن حاتم الأنصاري، ثنا مسلمة بن سالم الجهني، حدثني عبدالله - يعني العمرى - حدثني نافع، عن سالم، عن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من جاءني زائراً لم تنزعه حاجة إلا زيارتي، كان حقاً على أن أكون له شفيعاً يوم القيامة». هذه طرق هذا الحديث. وقد ذكره الإمام الحافظ أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن [صفحة ٧٧] البغدادي المصري البزار (توفي بمصر ٣٥٣) في كتابه المسمى بـ «السنن الصحاح المأثورة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)» وهو كتاب محذوف الأسانيد، قال في خطبته: أما بعد، فإنك سألتني أن أجمع لك ما صح عندي من السنن المأثورة التي نقلها الأئمة من أهل البلدان، الذين لا يطعن عليهم طاعن فيما نقلوه، فتدبرت ما سألتني عنه، فوجدت جماعة من الأئمة قد تكلفوا ما سألتني من ذلك، وقد وعيت جميع ما ذكره، وحفظت عنهم أكثر ما نقلوه، واقتديت بهم، وأجبتك إلى ما سألتني من ذلك، وجعلته أبواباً في جميع ما يحتاج إليه من أحكام المسلمين. فأول من نصب نفسه لطلب صحيح الآثار البخاري، وتابعه مسلم، وأبو داود، والنسائي، وقد تصفحت ما ذكره، وتدبرت ما نقلوه، فوجدتهم مجتهدين فيما طلبوه، فما ذكرته في كتابي هذا مجملاً فهو مما أجمعوا على صحته، وما ذكرته بعد ذلك مما يختاره أحد من الأئمة الذين سميتهم، فقد بينت حجته في قبول ما ذكره، ونسبته إلى اختياره دون غيره، وما ذكرته مما يتفرد به أحد من أهل النقل للحديث فقد بينت علته، ودلت على انفراده دون غيره، وبالله التوفيق. قال في هذا الكتاب في آخر كتاب الحج: «باب ثواب من زار قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)» عن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من جاءني زائراً لم تنزعه حاجة إلا زيارتي، كان حقاً على أن أكون له شفيعاً يوم القيامة». ولم يذكر ابن السكن في هذا الباب غير هذا، وذلك منه حكم بأنه مجمع على صحته؛ بمقتضى الشرط الذي شرطه في الخطبة [١٠٣]. [صفحة ٧٨] وابن السكن هذا إمام حافظ ثقة، كثير الحديث، واسع الرحلة، سمع بالعراق والشام ومصر وخراسان وما وراء النهر من خلائق، وهو بغدادي سكن مصر، ومات بها في النصف من المحرم سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة. (دلالة الحديث) وتوبى ابن السكن يدل على أنه فهم منه أن المراد بعد الموت، أو أن ما بعد الموت داخل في العموم، وهو صحيح. [١٠٤]. [صفحة ٧٩]

من حج فزار قبري بعد وفاتي فكانما زارني في حياتي

رواه الدارقطني في سننه وغيرها، ورواه غيره أيضاً: أخبرنا عبدالمؤمن بن خلف الحافظ، أنا يوسف بن خليل الحافظ، أنا ناصر ابن محمد أبو برح، أنا إسماعيل بن الفضل بن الإخشيد، أنا أبو طاهر بن عبدالرحيم، أنا علي بن عمر الحافظ الدارقطني قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، ثنا أبو الربيع الزهراني. (ح) وقرأت على أبي محمد إسحاق بن يحيى بن إسحاق بن إبراهيم الآمدي - واللفظ له - أخبرك يوسف بن خليل الحافظ، أنا محمد بن أبي زيد الكرائي، أنا محمود الصيرفي، أنا ابن فاذشاه، أنبأنا الطبراني، ثنا الحسين بن إسحاق التستري، ثنا أبو الربيع الزهراني، ثنا حفص بن أبي داود، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي» [١٠٥]. وكتب إلي عثمان بن محمد، من مكة: أنه قرأ على الحافظ أبي الحسين بمصر قال: أنا أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن الشافعي، أنا أبو طاهر عبدالرحمان بن أحمد بن عبدالقادر

بن يوسف البغدادي، أنا أبو بكر محمد بن عبد الملك بن بشران، أنا أبو الحسن الدارقطني، حدّثنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز، ثنا أبو الربيع، ثنا حفص بن أبي داود، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من حجّ فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي». وأخبرناه عبد المؤمن وغيره إذناً عن الشيرازي، أنا الحافظ الدمشقي، أنا أبو عبد الله الخلال، أنا إبراهيم بن منصور، أنا أبو بكر ابن المقرئ، أنا أبو يعلى الموصلي، ثنا أبو الربيع، ثنا حفص بن أبي داود، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن [صفحة ٨٠] عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من حجّ فزارني بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي» [١٠٦]. وكذلك رواه أبو أحمد بن عدى في «الكامل»: أخبرنا أبو محمّد التونسي - هو الحافظ الدمياطي - وآخرون إذناً، عن أبي الحسن النخّار، عن أبي الكرم المبارك ابن الحسن الشهرزوري، أنا إسماعيل بن مسعدة الإسماعيلي، أنا حمزة بن يوسف السهمي، أنا أبو أحمد عبد الله بن عدى الجرجاني، أنا الحسن بن سفيان، ثنا عليّ ابن حجر. وثنا عبد الله بن محمد البغوي، ثنا أبو الربيع الزهراني. قال عليّ: ثنا حفص بن سليمان، وقال أبو الربيع: ثنا حفص بن أبي داود. وقالوا: عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من حجّ فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي وصحبي». واللفظ لابن سفيان [١٠٧]. وذكر أبو بكر البيهقي في السنن رواية ابن عدى هذه من الطريقين، عن أبي سعد الماليني، عن ابن عدى. وذكر ابن عدى ذلك في ترجمه حفص بن سليمان الأسدي الغاضري القاري، وذلك حكم منه بأنه حفص بن أبي داود المذكور في الإسناد، وقال - أعني ابن عدى - إنّ أبا الربيع الزهراني يسميه حفص بن أبي داود؛ لضعفه، وهو حفص بن سليمان. وقال البيهقي: تفرد به حفص، وهو ضعيف [١٠٨]. [صفحة ٨١] وكذلك الحافظ الحافظ ابن عساكر، ورواه مسمّي: أخبرنا الدمياطي إذناً، أنبأنا ابن هبة الله الشيرازي، أنا ابن عساكر، أنا الخلال، أنا إبراهيم بن منصور السلمي، أنا أبو بكر ابن المقرئ، أنا أبو سعيد المفضل بن محمّد بن إبراهيم الجندی، ثنا مسلمة - وهو ابن شبيب - ثنا عبدالرزاق، ثنا أبو عمر حفص بن سليمان. (ح) قال ابن عساكر: وأنا أبو القاسم ابن السمرقندي، أنا أبو القاسم إسماعيل ابن مسعدة، أنا حمزة بن يوسف السهمي. قالوا: أنا أبو أحمد بن عدى، أنا الحسن بن سفيان، ثنا عليّ بن حجر. (ح) قال ابن عساكر: وأنا أبو القاسم الشحامي، أنا أبو بكر البيهقي، أنا عليّ ابن أحمد بن عبدان، ثنا أحمد بن عبيد، حدّثني محمّد بن إسحاق الصّفّار، ثنا ابن بكّار، ثنا حفص بن سليمان، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من حجّ فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي». زاد السهمي: «وصحبي» [١٠٩]. ورواه البيهقي في السنن بدون هذه الزيادة، عن عبد الله بن يوسف، أنا محمّد ابن نافع الخزاعي، ثنا المفضل الجندی - فذكره سنداً ومتناً، كما ذكره ابن عساكر من طريق ابن المقرئ [١١٠]. وكتب إلّی عثمان بن محمّد التوزري من مكّة شرفها الله تعالى: أنّه قرأ عليّ أبي اليمن ابن عساكر بها قال: أنا الحسن بن محمّد، أنا عليّ بن الحسن، أنا أبو القاسم إسماعيل بن محمّد، أنا أحمد بن عبدالغفار بن أشته، أنا أبو سعيد النقاش، أنا أبو بكر محمّد بن عبد الله بن إبراهيم الجوزجاني، ثنا الحسن بن الطيّب البلخي، [صفحة ٨٢] ثنا عليّ بن حجر، ثنا حفص بن سليمان، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من زار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي». وقال ابن النّجار الحافظ البغدادي في كتاب «الدرّة الثمينه في أخبار المدينة» [١١١]: أنبأنا عبدالرحمان بن عليّ، أنا أبو الفضل الحافظ، عن أبي عليّ الفقيه، أنبأنا أبو القاسم الأزهرري، أنا القاسم بن الحسن، ثنا الحسن بن الطيّب، ثنا عليّ ابن حجر، ثنا حفص بن سليمان، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من حجّ فزار قبري بعد موتي، كان كمن زارني في حياتي وصحبي». قال أبو اليمن ابن عساكر (رحمه الله) بالإسناد المتقدّم إليه: وقد روى هذا الحديث الحسن بن الطيّب عن عليّ بن حجر، فزاد فيه زيادة منكرة، قال فيه: «من حجّ فزار قبري بعد موتي، كان كمن زارني في حياتي وصحبي» تفرد بقوله «وصحبي» الحسن بن الطيّب، وفيه نظر. قلت: وقد ذكرنا هذه الزيادة من طريق الحسن بن سفيان، فلا تفرد فيها. وعبدالرحمان الذي روى عنه ابن النّجار هو ابن الجوزي (رحمه الله) وقد رأيت بخطه في كتابه «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» بالإسناد المذكور [١١٢]. وقد روى هذا الحديث من وجه آخر عن حفص بن سليمان، عن كثير بن شظير، عن ليث بن أبي سليم: أخبرنا بذلك

الحافظ أبو محمد الدميطي إجازة، أنبأنا أبو نصر مكاتبه، أنا ابن عساكر سماعاً، أنا الشحامي، أنا الجزرودي، أنا ابن حمدان، أنا أبو يعلى الموصلي، ثنا يحيى بن أيوب، ثنا حسيان بن إبراهيم، ثنا حفص بن سليمان، عن كثير بن سنظير، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال [صفحة ٨٣] رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من حجّ فرارني بعد وفاتي عند قبري، فكأنما زارني في حياتي». وأشار ابن عساكر إلى أن الصواب الأول [١١٣]. أمّا كون حفص بن سليمان القاري الغاضري، هو حفص بن أبي داود، فكذلك قال البخاري، وابن أبي حاتم، وابن عدي، وابن حبان، وغيرهم. وأمّا كونه هو الراوي لهذا الحديث، فكذلك قاله ابن عدي، وابن عساكر، وأشار إليه البيهقي، وهو السابق إلى الذهن. لكن ابن حبان في كتاب «الثقات» ذكر ما يقتضي التوقف في ذلك، فإنه قال: حفص بن سليمان البصري المنقري يروي عن الحسن، مات سنة ثلاثين ومائة، وليس هذا بحفص بن سليمان البرزاز أبي عمر القاري، ذاك ضعيف، وهذا ثبت. ثم قال في الطبقة التي بعد هذه: حفص بن أبي داود يروي عن الهيثم بن حبيب، عن عون بن أبي جحيفة، روى عنه أبو ربيع الزهراني [١١٤]. هذا كلام ابن حبان، ومقتضاه أن حفص بن أبي داود المذكور في الطبقة الأخيرة ثقة، وأنه غير القاري الضعيف المذكور في الطبقة التي قبله على سبيل التمييز بينه وبين المنقري البصري، ولعلّ أبا ربيع الزهراني روى عنهما جميعاً؛ أعني حفص بن سليمان المنقري، وحفص بن أبي داود، وإن اختلفت طبقتهما. وقد ذكر ابن حبان حفص بن سليمان المنقري في كتاب المجروحين، وذكر ضعفه وقال: إنه ابن أبي داود [١١٥]. ويعد القول بأنه اشتبه عليه وجعلهما اثنين: أحدهما ثقة، والآخر ضعيف، على أن هذا الاستبعاد مقابل بأن ابن عدي ذكر في ترجمة حفص القاري حديثاً [صفحة ٨٤] من رواية أبي ربيع الزهراني، عن حفص بن أبي داود، عن الهيثم بن حبيب، عن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه قال: مرّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) برجل يصلي قد سدل ثوبه، فغطفه عليه [١١٦]. ويعد أيضاً أن يكونا اثنين، ويشته على ابن عدي فيجعلهما واحداً. والموضع موضع نظر، فإن صحّ مقتضى كلام ابن حبان زال الضعف فيه، ولا ينافي هذا كونه جاء مسمّى في رواية هذا الحديث؛ لجواز أن يكون قد وافق حفصاً القاري في اسم أبيه وكنيته. وإن كان هو القاري كما حكم به ابن عدي وغيره، وهو ابن امرأة عاصم، فقد أكثر الناس الكلام فيه، وبالغوا في تضعيفه، حتى قيل عن عبدالرحمان بن يوسف بن خراش: إنه كذاب متروك يضع الحديث. وعندى أن هذا القول سرف، فإنّ هذا الرجل إمام قراءة، وكيف يعتقد أنه يقدم على وضع الحديث والكذب، ويتفق الناس على الأخذ بقراءته؟! [١١٧]. وإمّا غايته أنه ليس من أهل الحديث، فلذلك وقعت المنكرات والغلط الكثير في روايته. [صفحة ٨٥] وقد قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: سألته - يعني أباه - عن حفص بن سليمان المنقري، فقال: هو صالح. وروى عثمان بن أحمد الدقاق عن حنبل بن إسحاق، قال: قال أبو عبدالله: وما كان بحفص بن سليمان المنقري بأس. وحسبك بهذين القولين من أحمد (رحمه الله) وهما مقدّمان على من روى عن أحمد خلاف ذلك فيه. (متابعات للحديث) ولو ثبت ضعفه - كما هو المشهور - فإنه لم يتفرّد بهذا الحديث. وقول البيهقي رحمه الله تعالى: إنه تفرّد به، (فهو) بحسب ما اطلع عليه. وقد جاء في معجمي الطبراني الكبير والأوسط متابعته: أخبرنا به في «المعجم الكبير» أبو محمد إسحاق بن يحيى الأمدّي بقراءتي عليه بسفح قاسيون في يوم السبت رابع عشر صفر سنة ثمان وسبعمائة، قلت له: أخبرك الحافظ أبو الحجاج قراءة عليه وأنت تسمع، أنا ابن أبي زيد الكرائي، أنا محمود الصيرفي، أنا ابن فاذشاه، أنا الطبراني (رحمه الله) ثنا أحمد بن رشد بن علي بن الحسن بن هارون الأنصاري، ثنا الليث بن بنت الليث بن أبي سليم قال: حدّثني جدّتي عائشة بنت يونس امرأة الليث، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من زار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي» [١١٨]. [صفحة ٨٦] وأخبرناه أيضاً عبدالمؤمن وغيره إذناً، عن ابن مميل، أنا الحافظ علي بن الحسن، أنا أبو الفتح أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد الحدّاد في كتابه، أنا عبدالرحمان بن محمد بن حفص الهمداني، ثنا سليمان بن أيوب، وهو الطبراني، فذكره. وقد روى بعضهم هذا الحديث فقال فيه: «جعفر بن سليمان الضبعي» كذلك وقع في جزء أبي بكر محمد بن السري، أخبرنا به عبدالمؤمن الحافظ إذناً، عن يوسف بن خليل الحافظ، أنا أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج بن علي الحصري، أنا أبو محمّد بن أحمد بن عبدالكريم التميمي، أنا أبو نصر محمد بن محمد بن علي الزينبي. (ح) وأنبأنا عبدالمؤمن أيضاً قال:

أنبأنا أبو نصر، أنا ابن عساكر، أنا أبو الفرج عبد الخالق بن أحمد بن عبد القادر بن محمّد بن يوسف، أنا الزينبيّ (ح) وأنبأنا علياً أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن سالم السلميّ المرديسيّ ابن الموازيّ [١١٩] مكاتبه ومشافهه قال: أنبأنا أبو القاسم الحسين بن هبة الله بن محفوظ بن صصري، أنا عبد الخالق بن يوسف وأبو المظفر بن الترنكيّ [١٢٠] كلاهما عن الزينبيّ (ح) ووجدته بخطّ إسماعيل ابن الأنماطيّ: أنا محمّد بن علوان، أنا سعيد بن محمّد، ثنا أبو سعد بن السمعانيّ إملاء بهراء، أنا المظفر بن أحمد ومحمّد بن القاسم قالوا: أنا الزينبيّ، أنا أبو بكر محمّد بن عمر بن خلف بن زبور الكاغذيّ، أنا أبو بكر محمّد بن السريّ بن عثمان التمار، ثنا نصر بن شعيب مولى العبديين، ثنا أبي، ثنا جعفر بن سليمان الضبعيّ، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر رضی الله [صفحة ٨٧] عنهما قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من حجّ بعد وفاتي وزار قبري كان كمن زارني في حياتي». قال ابن عساكر: كذا قال: «جعفر بن سليمان الضبعيّ» وهو وهم، وإنما هو حفص بن سليمان أبو عمر الأسديّ الغاضريّ القاريّ [١٢١].

من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني

اشاره

رواه ابن عدّي في «الكامل» وغيره [١٢٢]. أخبرناه إذناً ومشافهه عبد المؤمن وآخرون، عن أبي الحسن ابن المقيّر البغداديّ، عن أبي الكرم ابن الشهرزوريّ، أنا إسماعيل بن مسعدة الإسماعيليّ، أنا حمزة بن يوسف السهميّ، أنا أبو أحمد بن عدّي، ثنا عليّ بن إسحاق، ثنا محمّد بن محمّد بن النعمان، حدّثني جدّي قال: حدّثني مالك، عن نافع، عن ابن عمر رضی الله عنهما قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من حجّ البيت ولم يزرني فقد جفاني». وذكر ابن عدّيّ أحاديث النعمان ثمّ قال: هذه الأحاديث عن نافع، عن ابن عمر، يحدث بها النعمان بن شبل عن مالك، ولا أعلم رواه عن مالك غير النعمان بن شبل، ولم أر في أحاديثه حديثاً غريباً قد جاوز الحدّ فأذكره. وروى في صدر ترجمته عن عمران بن موسى الزجاجيّ: أنّه ثقّه، وعن موسى بن هارون: أنّه متّهم. وهذه التهمة غير مفسّره فالحكم بالتوثيق مقدّم عليها. وذكر أبو الحسن الدارقطنيّ (رحمه الله) هذا الحديث في أحاديث مالك بن أنس [صفحة ٨٨] الغرائب التي ليست في «الموطأ» وهو كتاب ضخم [١٢٣]. قال: ثنا أبو عبد الله الأيليّ وعبد الباقي قالوا: ثنا محمّد بن محمّد بن النعمان بن شبل، ثنا جدّي، ثنا مالك، عن نافع، عن ابن عمر رضی الله عنهما، عن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «من حجّ البيت ولم يزرني فقد جفاني». قال الدارقطنيّ: تفرد به هذا الشيخ، وهو منكر. هذه عبارة الدارقطنيّ، والظاهر أنّ هذا الإنكار منه بحسب تفردّه وعدم احتمالّه بالنسبة إلى الإسناد المذكور، ولا يلزم من ذلك أن يكون المتن في نفسه منكراً، ولا موضوعاً. وقد ذكره ابن الجوزيّ في «الموضوعات» [١٢٤] وهو سرف منه، ويكفي في الردّ عليه ما قاله ابن عدّي. وقال ابن الجوزيّ: عن الدارقطنيّ أنّ الحمل فيه على محمّد بن محمّد بن النعمان، لا على جدّه. وكلام الدارقطنيّ الذي ذكرناه محتمل لذلك، ولأنّ يكون المراد تفرد النعمان، كما قاله ابن عدّي. وأما قول ابن حبان: إنّ النعمان يأتي عن الثقات بالطامات [١٢٥]، فهو مثل كلام الدارقطنيّ، إلّا أنّه بالغ في الإنكار، وقد روى ابن حبان في كتاب «المجروحين» عن أحمد بن عبيد، عن محمّد بن محمّد بن النعمان [١٢٦]، فالذي حكيناه من كلام الدارقطنيّ (رحمه الله) هو الإنكار، لا التضعيف. فتحصل من هذا إبطال الحكم عليه بالوضع، لكنّه غريب، كما قال الدارقطنيّ، وهو لأجل كلام ابن عدّي صالح لأن يعترض به غيره. وهذا الحديث كان ينبغي تقديمه بعد الأوّل؛ لكونه من طريق نافع، ولكنّا أخرناه لأجل ما وقع فيه من الكلام. ومما يجب أن يتنبه له: أنّ حكم المحدّثين بالإنكار والاستغراب، قد يكون بحسب تلك الطريق، فلا يلزم من ذلك ردّ متن الحديث، بخلاف إطلاق الفقيه «أنّ الحديث موضوع» فإنّه حكم على المتن من حيث الجملة، فلا جرم قبلنا كلام الدارقطنيّ، ورددنا كلام ابن الجوزيّ، والله أعلم.

و حديث آخر: من رواية ابن عمر

ذكره الدارقطني في «العلل» في مسند ابن عمر في حديث: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليفعل» [١٢٧]. قال: ثنا جعفر بن محمد الواسطي، ثنا موسى بن هارون، ثنا محمد بن الحسن الختلي، ثنا عبدالرحمان بن المبارك، ثنا عون بن موسى، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من زارني إلى المدينة كنت له شفيعاً وشهيداً». قيل للختلي: إنما هو سفيان بن موسى! قال: اجعلوه عن ابن موسى. [صفحة ٩٠] قال موسى بن هارون: ورواه إبراهيم بن الحجاج، عن وهب، عن أيوب، عن نافع مرسلاً عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا أدري أسمع من إبراهيم بن الحجاج أو لا؟ وإنما لم أفرد هذا الحديث بترجمة؛ لأن نسخة «العلل» للدارقطني التي نقلت منها سقيمة [١٢٨].

من زار قبري أو من زارني كنت شفيعاً له أو شهيداً

رواه أبو داود الطيالسي في مسنده [١٢٩]. وقد سمعت المسند المذكور كله متفرقاً على أصحاب ابن الخليل: أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي القاسم بن بدران بن أبان الدشتي بقرآتي عليه بالشام سنة سبع وسبعمئة قال: أنا الحافظ أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبدالله الدمشقي بحلب سنة ثلاث وأربعين وستمئة قال: أنا القاضي أبو [صفحة ٩١] المكارم أحمد بن محمد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالرحمان بن محمد بن قيس اللبان قراءة عليه وأنا أسمع غير مرة بأصبهان في سنة إحدى وتسعين وخمسائة، قيل له: أخبركم أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسن الحداد المقرئ قراءة عليه وأنت تسمع في محرم سنة اثنتي عشرة وخمسائة فأقر به، قال: أنا الإمام أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق الحافظ قراءة عليه وأنا أسمع، أنا أبو محمد عبدالله بن جعفر بن أحمد بن فارس، ثنا أبو بشر يونس بن حبيب، ثنا أبو داود الطيالسي، ثنا سوار بن ميمون أبو الجراح العبدي قال: حدثني رجل من آل عمر، عن عمر (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «من زار قبري» - أو قال: «من زارني» - «كنت له شفيعاً» - أو «شهيداً» - ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله عز وجل في الآمين يوم القيامة». وذكر البيهقي هذا الحديث في «السنن الكبير» [١٣٠] من جهة الطيالسي (رحمه الله). وذكره الحافظ ابن عساكر من جهته: [١٣١]. أنبأنا عبدالؤمن وغيره، عن ابن الشيرازي، أنا ابن عساكر، أنا أبو علي الحداد إجازة، ثم أنا ابن السمرقندي، أنا يوسف بن الحسن التفكري قالوا: أنا أبو نعيم ثنا ابن فارس. (ح) وبه إلى ابن عساكر قال: وأخبرنا الشحامي، أنا أبو بكر البيهقي، أنا ابن فورك، أنا ابن فارس، فذكره. وسوار بن ميمون روى عنه شعبة؛ لما سذكركه في الحديث السابع، ورواية شعبة عنه دليل على ثقته عنده، فلم يبق في الإسناد من ينظر فيه إلا الرجل الذي من آل عمر، والأمر فيه قريب، لا سيما في هذه الطبقة التي هي طبقة التابعين [١٣٢]. [صفحة ٩٢] وأما قول البيهقي: هذا إسناد مجهول. فإن كان سببه جهالة الرجل الذي من آل عمر فصحيح، وقد بينا قرب الأمر فيه. وإن كان سببه عدم علمه بحال سوار بن ميمون، فقد ذكرنا روايته شعبة عنه، وهي كافية. وقد روى البيهقي أيضاً رواية شعبة عنه في غير السنن، كما سذكركه في الحديث السابع. وذكر البيهقي في موضع آخر: أنه اختلف فقيل: سوار بن ميمون، وقيل: ميمون بن سوار، من رواية وكيع عنه.

من زارني متعمداً كان في جوارى يوم القيامة

رواه أبو جعفر العقيلي [١٣٣] وغيره من رواية سوار بن ميمون المتقدم على وجه آخر غير ما سبق: أخبرنا الحافظ أبو محمد إذناً، أنا ابن الشيرازي في كتابه، أنا ابن عساكر سماعاً، أنا الشحامي، أنا البيهقي، أنا أبو عبدالله الحافظ، أخبرني علي بن عمر الحافظ، ثنا أحمد بن محمد الحافظ، حدثني داود بن يحيى. (ح) قال ابن عساكر: وأنا أبو البركات ابن الأنماطي، أنا أبو بكر الشامي، أنا أبو الحسن، أنا أبو الحسن العتيقي، أنا ابن الدخيل، ثنا أبو جعفر محمد بن عمرو العقيلي، ثنا محمد بن موسى، قالوا: ثنا أحمد بن الحسن الترمذي، ثنا

عبد الملك بن [صفحہ ٩٣] إبراهيم الجدّي، ثنا شعبه، عن سوار بن ميمون، عن.. [١٣٤]. وفي حديث الشحامي: ثنا هارون بن قزعة، عن رجل من آل الخطاب، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «من زارني متعمداً كان في جوارى يوم القيامة». زاد الشحامي: «ومن سكن المدينة وصبر على بلائها، كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة». وقالوا: «ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله في الآمين». وقال الشحامي: «من الآمين يوم القيامة». وهارون بن قزعة: ذكره ابن حبان في «الثقات» [١٣٥] والعقيلي لما ذكره في كتابه [١٣٦] لم يذكر فيه أكثر من قول البخاري: إنه لا يتابع عليه، فلم يبق فيه إلا الرجل المبهم، وإرساله وقوله فيه: «من آل الخطاب»، كذا وقع في هذه الرواية، وهو يوافق قوله في رواية الطيالسي: من آل عمر، وقد أسنده الطيالسي عن عمر، كما سبق. لكنني أخشى أن يكون «الخطاب» تصحيفاً من «حاطب» فإن البخاري لما ذكره في التاريخ قال: هارون أبو قزعة، عن رجل من ولد حاطب، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «من مات في أحد الحرمين...» روى عنه ميمون بن سوار، لا يتابع عليه. وقال ابن حبان: إن هارون بن قزعة يروي عن رجل من ولد حاطب المراسيل. وعلى كلا التقديرين فهو مرسل جيد. وأما قول الأزدي: إن هارون متروك الحديث؛ لا يحتج به. فلعل مستنده فيه ما ذكره البخاري والعقيلي، وبالغ في إطلاق هذه العبارة؛ لأنها إنما تطلق حيث يظهر من حال الرجل ما يستحق به الترك. [صفحہ ٩٤] وقد عرفت أن ابن حبان ذكره في الثقات، وابن حبان أعلم من الأزدي وأثبت. وقد روى عن هارون بن قزعة أيضاً مسنداً بلفظ آخر، وهو:

من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي

في تلخيص الحبير (٧/ ٤١٥) رواه الدارقطني، وفي طريق آخر بلفظ «وفاتي» بدل «موتي» ورواه أبو يعلى في مسنده، وابن عدي في كامله. ورواه الطبراني في الأوسط، ورواه العقيلي عن حديث ابن عباس. وقال الممدوح: وأخرجه البيهقي والمحاملي والساجي كما في الميزان، وعلقه ابن عبد البر في الاستذكار، ورواه البخاري في تاريخه بلفظ: «من مات...» لاحظ رفع المنارة (ص ٣٣٠). رواه الدارقطني وغيره. أخبرناه الحافظ أبو محمد الدمياطي سماعاً عليه في كتاب «السنن» للدارقطني قال: أنا الحافظ أبو الحجاج يوسف بن خليل، أنا أبو برح، أنا ابن [١٣٧] الإخشيد، أنا ابن عبد الرحيم، أنا الدارقطني، ثنا أبو عبيد والقاضي أبو عبدالله وابن مخلد قالوا: ثنا محمد بن الوليد البصري، ثنا وكيع، ثنا خالد بن أبي خالد وأبو عون، عن الشعبي والأسود بن ميمون [١٣٨]، عن هارون بن قزعة، عن رجل من آل حاطب، عن حاطب (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي، ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمين يوم القيامة». هكذا هو في «سنن الدارقطني» [١٣٩]. وأنبأنا به أيضاً عبد المؤمن، أنبأنا ابن الشيرازي، أنا ابن عساكر، أنا فراتكين التركي، أنا الجوهرى، أنا علي بن محمد بن لؤلؤ، أنا زكريا الساجي. [صفحہ ٩٥] (ح) قال ابن عساكر: وأنا أحمد بن محمد البغدادي، أنا ابن شكرويه ومحمد بن أحمد الشمار [١٤٠] قالوا: أنبأنا إبراهيم بن عبدالله، أنا المحاملي قالوا: ثنا محمد بن الوليد البصري، ثنا وكيع، ثنا خالد بن أبي خالد وابن عون، عن الشعبي والأسود بن ميمون، عن هارون بن قزعة، به. وأنبأنا عبد المؤمن أيضاً، أنبأنا أبو نصر، أنا ابن عساكر، أنا علي بن إبراهيم الحسيني، أنا رشأ بن نظيف المقرئ، أنا الحسن بن إسماعيل الفرات، ثنا أحمد بن مرواه المالكي، ثنا زكريا بن عبدالرحمان البصري، ثنا محمد بن الوليد، ثنا وكيع بن الجراح، عن خالد وابن عون، عن هارون بن قزعة مولى حاطب، عن حاطب (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي، ومن مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة من الآمين» [١٤١]. كذا وقع في رواية أحمد بن مروان المالكي، وهو صاحب المجالسة، عن هارون، عن حاطب، والذين رووا عن رجل عن حاطب - كما تقدم - أولى بأن يكون الصواب معهم.

من حج حجة الإسلام، وزارى قبري، و غزا غزوة، و صلى ...

«من حج حجة الإسلام، وزارى قبرى، وغزا غزوة، وصلى على فى بيت المقدس، لم يسأله الله عزوجل فيما افترض عليه» رواه الحافظ أبو الفتح الأزدى فى الجزء الثانى من «فوائده»: [١٤٢]. أخبرنا به أبو النجم شهاب بن على المحسنى قراءة عليه وأنا أسمع، بالقرافة الصغرى فى سنة سبع وسبعمائه، وأبو الفتح بن إبراهيم بقراءة على سنة ثلاث وعشرين، قال: أنا أبو محمد عبد الوهاب بن ظافر بن على بن فتوح الأزدى [صفحة ٩٦] المعروف بـ «ابن رواج» قال الأول: سماعاً، وقال الثانى: إجازة، قال: أنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سلفه الأصبهاني قراءة عليه وأنا أسمع، أنا أبو طالب عبد القادر بن محمد بن يوسف ببغداد، ثنا أبو إسحاق بن إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكى، أنا أبو الفتح محمد بن الحسين بن أحمد الأزدى الحافظ، ثنا النعمان بن هارون بن أبى الدلهات، ثنا أبو سهل بدر بن عبد الله المصيصى، ثنا الحسن بن عثمان الرمادى [١٤٣]، ثنا عمارة بن محمد، حدثنى خالى سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن عمر [١٤٤] رضى الله عنهما قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من حج حجة الإسلام، وزار قبرى، وغزا غزوة، وصلى على فى بيت المقدس، لم يسأله الله عزوجل فيما افترض عليه». عمارة بن محمد ابن أخت سفيان الثورى: روى له مسلم. والحسن بن عثمان الرمادى: قال الخطيب [١٤٥]: كان أحد العلماء الأفاضل، من أهل المعرفة والثقة والأمانة، ولى قضاء الشرقية فى خلافة المتوكل، وروى عنه طلحة بن محمد بن جعفر، وذكره غير الخطيب أيضاً، وكان صالحاً ديناً فهماً، قد عمل الكتب، كانت له معرفة بأيام الناس، وله تأريخ حسن، وكان كريماً واسعاً مفضلاً. وأبو سهل بدر بن عبد الله المصيصى: ما علمت من حاله شيئاً. والنعمان بن هارون بن أبى الدلهات: حدّث ببغداد عن جماعة كثيرين، [صفحة ٩٧] وروى عنه محمد بن المظفر، وعلى بن عمر السكرى، قال الخطيب: وما علمت من حاله إلا خيراً. وصاحب الجزء ابو الفتح محمد بن الحسين بن أحمد بن الحسين بن عبد الله بن بريدة [١٤٦] بن النعمان الأزدى الموصلى: من أهل العلم والفضل، كان حافظاً، صنّف كتاباً فى علوم الحديث، ذكره الخطيب فى «التأريخ» [١٤٧] وابن السمعانى فى «الأنساب» أثنى عليه محمد بن جعفر بن علان، وذكره بالحفظ وحسن المعرفة بالحديث. وقال أبو النجيب الأرموى: رأيت أهل الموصل يوهنونه جداً، ولا يعدونه شيئاً، وسئل البرقانى عنه فأشار إلى أنه كان ضعيفاً، وذكر غيره كلاماً أشد من هذا [١٤٨].

من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى وأنا حى

رواه أبو الفتوح سعيد بن محمد بن إسماعيل اليعقوبى فى «جزء له فيه فوائد» مشتملة على بعض شمائل سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وآثاره، وما ورد فى فضل زيارته، ودرجة زواره. وهذا الجزء رواية المحدث إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن الأنصارى المالكى المشهور بـ «ابن الأنماطى» ونقلت من خطه قال: أنا أبو محمد عبد الله بن علوان بن هبة الله بن ريحان الحوطى التكريتى الصوفى قراءة عليه وأنا أسمع، بالحرم الشريف على دكة الصوفية بجانب باب بنى شيبه تجاه الكعبة المعظمة زادها الله شرفاً، قال: ثنا أبو الفتوح [١٤٩] سعيد بن محمد [صفحة ٩٨] بن إسماعيل اليعقوبى فى ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وخمسائة قال: ثنا الإمام ابن السمعانى، ثنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن الحافظ إملاء فى الروضة بين قبر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ومنبره فى الزورة الثانية، أنا أبو الحسين أحمد بن عبد الرحمان الذكوانى، أنا أحمد بن موسى بن مردويه الحافظ، ثنا الحسن بن محمد السوسى، ثنا أحمد بن سهل بن أيوب، ثنا خالد بن يزيد، ثنا عبد الله بن عمر العمرى قال: سمعت سعيد المقبرى يقول: سمعت أبا هريرة (رضى الله عنه) يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى وأنا حى، ومن زارنى كنت له شهيداً وشفيحاً يوم القيامة». خالد بن يزيد: إن كان هو العمرى، فقد قال ابن حبان: إنه منكر الحديث [١٥٠]. وأحمد بن سهل بن أيوب: أهوازى، قال الصريفينى: مات بالأهواز يوم التروية سنة إحدى وتسعين ومائتين.

من زارنى بالمدينة محتسباً كنت له شفيحاً وشهيداً

وفي رواية: «من زارني محتسباً إلى المدينة كان في جوارى يوم القيامة». أنبأنا الدمايطي وابن هارون وغيرهما قالوا: أنبأنا محمد بن هبة الله قال: أنا علي بن الحسن الحافظ سماعاً، أنا زاهر، أنا البيهقي، أنا أبو سعيد بن أبي عمرو. (ح) قال الحافظ: وأنا أبو سعد ابن البغدادي، أنا أبو نصر محمد بن أحمد بن سيويه [١٥١] أنا أبو سعيد الصيرفي، أنا محمد بن عبد الله الصفار، ثنا ابن أبي الدنيا، حدثني سعيد بن عثمان الجرجاني، ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك، أخبرني [صفحة ٩٩] أبو المثنى سليمان بن يزيد الكعبي [١٥٢]، وفي حديث زاهر: العتكي. (ح) قال الحافظ: وأنا ابن السمرقندي، أنا ابن مسعدة، أنا حمزة، ثنا أبو بكر ابن محمد بن أحمد بن إسماعيل بجرجان، ثنا أبو عوانة موسى بن يوسف القطان، ثنا عباد بن موسى الختلي، ثنا ابن أبي فديك، عن سليمان بن يزيد الكعبي، عن أنس ابن مالك (رضى الله عنه): أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شافعياً وشهيداً». وفي حديث عبادة: «كنت له شهيداً» أو «شفيعاً». وقالوا: «يوم القيامة» [١٥٣]. وذكره ابن الجوزي في «مثير العزم الساكن» [١٥٤] ومن خطه نقلت بسنده إلى ابن أبي الدنيا بإسناده المذكور. وبالإسناد إلى البيهقي: أنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا علي بن عيسى، ثنا أحمد بن عبدوس بن حمدويه الصفار النيسابوري، ثنا أيوب بن الحسن، ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك بالمدينة، ثنا سليمان بن يزيد الكعبي، عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من مات في أحد الحرمين بعث من الأميين يوم القيامة، ومن زارني محتسباً إلى المدينة كان في جوارى يوم القيامة». هذه الأسانيد الثلاثة دارت على محمد بن إسماعيل بن أبي فديك، وهو مجمع عليه. وسليمان بن يزيد: ذكره ابن حبان في الثقات [١٥٥]، وقال أبو حاتم الرازي: إنه [صفحة ١٠٠] منكر الحديث، ليس بقوي [١٥٦].

ما من أحد من امتي له سعة ثم لم يزرنى، فليس له عذر

قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود بن النجار في كتاب «الدرّة الثمينه في فضائل المدينة»: أنبأنا أبو محمد بن علي، أنا أبو يعلى الأزدي، أنا أبو إسحاق البجلي، أنا سعيد بن أبي سعيد النيسابوري، أنبأنا إبراهيم بن محمد المؤدب، أنا إبراهيم بن محمد، ثنا محمد بن محمد، ثنا محمد بن مقاتل، ثنا جعفر بن هارون، ثنا سمعان بن المهدي، عن أنس (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من زارني ميتاً فكأنما زارني حياً، ومن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة، وما من أحد من امتي له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر».

من زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً أو قال: شافعياً

ذكره الحافظ أبو جعفر العقيلي في كتاب الضعفاء في ترجمه «فضالة بن سعيد ابن زميل المازني» [١٥٧]، قال: ثنا سعيد بن محمد الحضرمي، ثنا فضالة بن سعيد بن زميل المازني، ثنا محمد بن يحيى المازني، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي، ومن زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً» أو قال: «شفيعاً». [صفحة ١٠١] وذكره الحافظ ابن عساكر [١٥٨] من جهته أيضاً: أنبأنا به أبو محمد الدمايطي، عن ابن هبة الله بسماعه منه، أنا أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي، أنا أبو بكر محمد بن المظفر الشامي، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد العتيقي، أنا يعقوب بن يوسف بن أحمد الصيدلاني، ثنا أبو جعفر محمد بن عمرو العقيلي... فذكره بإسناده، إلا أنه قال: «من رآني في المنام كان كمن رآني في حياتي» والباقي سواء. ووقع في روايته أيضاً شعيب بن محمد الحضرمي، ولعله تصحيف. وفضالة بن سعيد: قال العقيلي في ترجمته: حديثه غير محفوظ، لا يعرف إلا به، هكذا رأيت في كتاب العقيلي، وذكر الحافظ ابن عساكر عنه أنه قال: لا يتابع على حديثه من جهة تثبت، ولا يعرف إلا به. ومحمد بن يحيى المازني: ذكره ابن عدي في «الكامل» [١٥٩] وقال: إن أحاديثه مظلمة منكرة. ولم يذكر ابن عدي هذا الحديث في أحاديثه، ولم يذكر فيه ولا العقيلي في فضالة شيئاً من

الجرح سوى التفرد والنعارة.

من لم يزِر قبري فقد جفاني

قال أبو الحسين يحيى بن الحسن بن جعفر الحسيني [١٦٠] في كتاب «أخبار المدينة»: ثنا محمد بن إسماعيل، حدّثني أبو أحمد الهمداني، ثنا النعمان بن شبل، ثنا محمد بن الفضل - مديني - سنة ست وسبعين، عن جابر، عن محمد بن عليّ، عن عليّ (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي، ومن لم يزرنى فقد جفاني». [صفحة ١٠٢] وقال الحافظ أبو عبدالله ابن النجار في «الدرّة الثمينة» [١٦١]: روى عن عليّ (رضي الله عنه) أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من لم يزِر قبري فقد جفاني». وقال أبو سعيد عبدالملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي الواعظ في كتاب «شرف المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)»: روى عن عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال: قال نبيّ الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من زار قبري بعد موتي فكأنما زارني في حياتي، ومن لم يزِر قبري فقد جفاني» [١٦٢]. وهذا الكتاب في ثمان مجلدات، ومصنّفه عبدالملك النيسابوري، صنّف في علوم الشريعة كتباً، توفّي سنة ست وأربعمائة بنيسابور، وقبره بها مشهور يزار ويتبرك به، وشيخه في الفقه أبو الحسن الماسرجسي. وقد روى حديث عليّ (رضي الله عنه) من طرق أخرى ليس فيها تصريح بالرفع، ذكرها ابن عساكر: [١٦٣]. أنبأنا عبدالمؤمن وآخرون، عن ابن الشيرازي، أنا ابن عساكر، أنا أبو العزّ أحمد بن عبيدالله، أنا أبو محمد الجوهري، أنا عليّ بن محمد بن أحمد بن نصير بن عرفه، ثنا محمد بن إبراهيم الصلحي، ثنا منصور بن قدامة الواسطي، ثنا المضيئي ابن أبي الجارود، ثنا عبدالملك بن هارون بن عنترة، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ بن أبي طالب قال: «من سأل لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الدرجة الوسيلة حلّت له شفاعتي يوم القيامة، ومن زار قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان في جوار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)». عبدالملك بن هارون بن عنترة: فيه كلام كثير، رماه يحيى بن معين وابن حبان، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال أحمد: ضعيف الحديث. [صفحة ١٠٣]

من أتى المدينة زائراً...

قال يحيى الحسيني في «أخبار المدينة» في باب ما جاء في زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي السلام عليه: ثنا محمد بن يعقوب، ثنا عبدالله بن وهب، عن رجل، عن بكر ابن عبدالله، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «من أتى المدينة زائراً لي وجبت له شفاعتي يوم القيامة، ومن مات في أحد الحرمين بعث آمناً» [١٦٤]. وقد وردت أحاديث أخر في ذلك فيها: «من لم يمكنه زيارتي فليزر قبر إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام». وسأذكر ذلك إن شاء الله تعالى في الكلام عن زيارة سائر الأنبياء والصالحين [١٦٥]. [صفحة ١٠٤]

في ما ورد من الأخبار والأحاديث دالا على فضل الزيارة وإن لم يكن فيه لفظ الزيارة

إشارة

رؤينا في «سنن أبي داود السجستاني» [١٦٦] عن أبي هريرة (رضي الله عنه): أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «ما من أحد يسلم عليّ إلّا ردّ الله عليّ روي حتى أردّ عليه السلام» [١٦٧]. [صفحة ١٠٥] أنا بذلك وبجميع «سنن أبي داود» شيخنا الحافظ أبو محمد الدميّاطي بقراءتي عليه لبعضها، وقراءة عليه وأنا أسمع لباقيها قال: أنا بجميعها أبو الحسن بن أبي عبدالله بن أبي الحسن البغدادي قراءة عليه وأنا أسمع، عن أبي المعالي الفضل بن سهل بن بشر الأسفراييني، عن الخطيب أبي بكر أحمد بن عليّ بن ثابت

الحافظ. قال شيخنا: وأنا أيضاً أبو الحسن، عن الحافظ أبي الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي الفارسي الأصل السلامي، وقال: أخبر الشيخان أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عمر بن السمرقندي المقرئ، والعدل الفقيه أبو الحسين محمد بن محمد بن الحسين بن محمد الفراء الحنبلي قالوا: أنا الخطيب - وفات ابن السمرقندي الجزء السابع والعشرين، فرواه عن الخطيب بالإجازة - قال ابن ناصر: وقرأت هذا الكتاب مراراً على الشيخ الصالح؛ أبي غالب محمد بن الحسن بن علي البصري الماوردي. قالوا: أنا أبو علي بن أحمد بن علي التستري قال: أنا أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبدالواحد الهاشمي، أنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي، ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني قال: ثنا محمد بن عوف، ثنا المقرئ، ثنا حيوة، عن أبي صخر حميد بن زياد، عن يزيد بن عبدالله بن قسيط، عن أبي هريرة... فذكره بلفظه. وهذا إسناد صحيح؛ فإن محمد بن عوف - شيخ أبي داود - جليل حافظ لا يسأل عنه، وقد رواه معه عن المقرئ عيسى بن عبدالله الترقفي، رواه من جهته أبو بكر البيهقي [١٦٨]. والمقرئ، وحيوة، ويزيد بن عبدالله بن قسيط: متفق عليهم. وحميد بن زياد: روى له مسلم، وقال أحمد: ليس به بأس، وكذلك قال أبو [صفحة ١٠٦] حاتم، وقال يحيى بن معين: ثقة ليس به بأس. وروى عن ابن معين فيه رواية: أنه ضعيف. ورواية التوثيق ترجح عليها؛ لموافقها أحمد، وأبا حاتم، وغيرهما. وقال ابن عدي: هو عندي صالح الحديث، وإنما أنكرت عليه حديثين: «المؤمن يألف» وفي القدرية، وسائر حديثه أرجو أن يكون مستقيماً [١٦٩]. وأما قول الشيخ زكي الدين فيه: إنه أنكر عليه شيئاً من حديثه، فقد بينا عن ابن عدي تعيين ما أنكر عليه، وليس منه هذا الحديث، وبمقتضى هذا يكون هذا الحديث صحيحاً إن شاء الله تعالى. وقد اعتمد جماعة من الأئمة على هذا الحديث في مسألة الزيارة، وصدر به أبو بكر البيهقي «باب زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)»، وهو اعتماد صحيح، واستدلال مستقيم؛ لأن الزائر المسلم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يحصل له فضيلة رد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) السلام عليه، وهي رتبة شريفة، ومنقبة عظيمة، ينبغي التعرض لها، والحرص عليها؛ لينال بركة سلامه (صلى الله عليه وآله وسلم). فإن قيل: ليس في الحديث تخصيص بالزائر، فقد يكون هذا حاصلًا لكل مسلم؛ قريباً كان أو بعيداً، وحينئذ تحصل هذه الفضيلة بالسلام من غير زيارة، والحديث عام. قلت: قد ذكره ابن قدامة من رواية أحمد [١٧٠]، ولفظه: «ما من أحد يسلم عليّ عند قبري» وهذه زيادة مقتضاها تخصيص. فإن ثبت فذاك، وإن لم يثبت فلا - شك أن القريب من القبر يحصل له ذلك؛ لأنه في منزلة المسلم بالتحية التي تستدعي الرد، كما في حال الحياة، فهو بحضوره عند القبر قاطع بنيل هذه الدرجة على مقتضى الحديث، متعرض لخطاب [صفحة ١٠٧] النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) له برد السلام عليه، وفي المواجهة بالخطاب فضيلة زائدة على الرد على الغائب. (أنواع السلام على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واعلم: أن السلام على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على نوعين: أحدهما: المقصود به الدعاء [١٧١]، كقولنا: «صلى الله عليه وسلم» فهذا دعاء منّا له بالصلاة والتسليم من الله تعالى، ويقال للعبد: «مسلم» لدعائه بالسلام، كما يقال له: «مصل» إذا دعا بالصلاة. قال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (الآية ٥٦) سورة الأحزاب (٣٣)). وسئل (صلى الله عليه وآله وسلم) - كما ثبت في الصحيحين [١٧٢] وغيرهما - قيل: قد عرفنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم». قال العلماء: معناه كما قد علمتم في التشهد «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته». وقد يأتي هذا القسم بلفظ الغيبة، كما روى عن فاطمة بنت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ورضي عنها قالت: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إذا دخلت المسجد فقولي: بسم الله، والسلام على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، واغفر لنا، [صفحة ١٠٨] وسهّل لنا أبواب رحمتك، فإذا فرغت فقولي مثل ذلك غير أن قولي: وسهّل لنا أبواب فضلك». رواه القاضي إسماعيل بهذا اللفظ، ورواه ابن ماجه في سننه [١٧٣] عن فاطمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا دخل المسجد يقول: «بسم الله، والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك» وإذا خرج قال: «بسم الله، والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب

فضلك». والإسناد إلى فاطمة رضي الله عنها عن الطريقتين فيه انقطاع. والمختار أن يقول في ذلك أيضاً: السلام عليك أيها النبي، كما في التشهد. والمقصود من هذه الأحاديث: بيان هذا النوع من السلام على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بلفظ الخطاب والغيبة جميعاً، ولا فرق في ذلك بين الغائب عنه، والحاضر عنده (صلى الله عليه وآله وسلم). وهذا النوع هو الذي قيل باختصاصه بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الأئمة؛ حتى لا يسلم على غيره من الأئمة إلا تبعاً له، كما لا يصلى على غيره من الأئمة إلا تبعاً له. النوع الثاني: ما يقصد به التحيّة، كسلام الزائر إذا وصل إلى حضرته الشريفه عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) في حياته وبعد وفاته. وهذا غير مختص، بل هو عام لجميع المسلمين، ولهذا كان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يأتي إلى القبر ويقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه، وورد عنه بلفظ الخطاب ولفظ الغيبة. إذا عرف هذان النوعان، فالنوع الثاني لا شك في استدعائه الرد، وأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يردّ على المسلم عليه، كما اقتضاه الحديث؛ سواء أوصل بنفسه إلى القبر، أم أرسل رسولاً؟ كما كان عمر بن عبدالعزيز يرسل البريد من الشام إلى [صفحة ١٠٩] المدينة ليسلم له على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). ففي هذين القسمين من هذا النوع يحصل الردّ من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، كما هو عادة الناس في السلام. وأمّا النوع الأوّل فالله أعلم، فإن ثبت الردّ فيه أيضاً - وحيداً، لتشملنا بركة ذلك كلما سلّمنا - فلا شك أن الحاضر عند القبر له مزية القرب والخطاب، وإن كان الردّ مختصاً بالنوع الثاني حرم من لم يزر هذه الفضيلة، لا حرم الله مؤمناً خيراً. وقد روى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «أتاني ملك فقال: يا محمّد، ربك يقول: أما يرضيك أن لا يصلى عليك أحد من أمتك إلا صلّيت عليه عشراً، ولا يسلم عليك إلا سلّمت عليه عشراً»، رواه القاضي إسماعيل. والظاهر أن هذا في السلام بالنوع الأوّل. وقد ورد تفسير هذا الحديث عن الإمام الجليل؛ أبي عبد الرحمان عبد الله بن يزيد المقرئ، بما يوافق النوع الثاني: أخبرنا بذلك سليمان بن حمزة قاضي القضاة الحنبلي بالشام بقراءتي عليه بسفح جبل قاسيون، أخبرنا جعفر الهمداني، أخبرنا السلفي، أخبرنا الشراح، أخبرنا أبو محمّد الحسن بن محمّد الخلال الحافظ، حدثنا عبدالله بن محمّد بن الحسن بن محمّد الشراحيّ قدم علينا قال: سمعت أبا عبدالله أحمد بن خالد الجروزيّ قال: سمعت أبا عبدالله محمّد بن زيد يقول: سمعت المقرئ عبدالله بن يزيد يقول في قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «ما من أحد يسلم عليّ إلا ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام» وقال: هذا في الزيارة إذا زارني فسلم عليّ «حتى ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه» [صفحة ١١٠]

في علم النبي بمن يسلم عليه

روى عن عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه)، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض؛ يبلغوني من أمتي السلام». رواه النسائي [١٧٤] وإسماعيل القاضي وغيرهما من طرق مختلفة بأسانيد صحيحة لا ريب فيها إلى سفيان الثوري، عن عبدالله بن السائب، عن زاذان، عن عبدالله، وصرح الثوري بالسمع فقال: حدّثني عبدالله بن السائب، هكذا في كتاب القاضي إسماعيل [١٧٥]. وعبدالله بن السائب وزاذان: روى لهما مسلم، ووثقهما ابن معين، فالإسناد إذن صحيح. ورواه أبو جعفر محمّد بن الحسن الأسدي، عن سفيان الثوري، عن عبدالله بن السائب، عن زاذان، عن عليّ (رضي الله عنه)، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «إنّ لله ملائكة يسبحون في الأرض؛ يبلغوني صلاة من صلّى عليّ من أمتي». قال الدارقطني [١٧٦]: المحفوظ عن زاذان، عن ابن مسعود: «يلغوني عن أمتي السلام». وقال بكر بن عبدالله المزني: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «حياتي خير لكم؛ [صفحة ١١١] تحدّثون، ويحدّث لكم، فإذا متّ كانت وفاتي خيراً لكم؛ تعرض عليّ أعمالكم، فإن رأيت خيراً حمدت الله، وإن رأيت غير ذلك استغفرت الله لكم» [١٧٧]. قال أيوب السخيتاني: بلغني - والله أعلم - أنّ ملكاً موكّلاً بكلّ من صلّى على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى يبلغه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). وفي كتاب «فضل الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)» للقاضي إسماعيل، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وصلّوا عليّ وسلّموا حيث كنتم، فسيلغني سلامكم وصلاتكم». وهذا الحديث في «سنن أبي داود» [١٧٨] من غير ذكر السلام، وفي هذه الرواية زيادة: «السلام». وروى ابن عساكر [١٧٩] من طرق مختلفة

عن نعيم بن ضمضم العامري (عن عمران) بن حميري الجعفي قال: سمعت عمار بن ياسر رضى الله عنهما يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن الله أعطاني ملكاً من الملائكة يقوم على قبري إذا أنا مت، فلا يصلي عليّ عبد صلاة إلا قال: يا أحمد، فلان بن فلان بن فلان يصلي عليك، يسميه باسمه واسم أبيه، فيصلّي الله عليه مكانها عشراً». وفي رواية: «إن الله أعطى ملكاً من الملائكة أسماء الخلائق» - وفي رواية: «أسماع الخلائق» - فهو قائم على قبري إلى يوم القيامة... وذكر الحديث. وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: ليس أحد من أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) يصلي [صفحة ١١٢] عليه صلاة إلا - وهي تبلغه؛ يقول له الملك: فلان بن فلان يصلي عليك كذا وكذا صلاة [١٨٠]. وما تضمنته هذه الأحاديث والآثار من تبليغ الملائكة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، تبين ما ورد من كون الصلاة عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) تعرض عليه، كما جاء ذلك في أحاديث: منها في «سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه» [١٨١] عن أوس بن أوس (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه، فإنّ صلاتكم معروضه عليّ». قال: فقالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ - قال يقولون: بليت - قال: «إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء» [١٨٢]. [صفحة ١١٣] قال الشيخ الحافظ زكي الدين المنذري (رحمه الله): وله علمه دقيقة أشار إليها البخاري وغيره، وقد جمعت طرقه في «جزء الحديث المذكور» من رواية حسين الجعفي، عن عبدالرحمان بن يزيد بن جابر، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن أوس ابن أوس، وهؤلاء ثقات مشهورون، وعلته أن حسين بن عليّ الجعفي لم يسمع من عبدالرحمان بن يزيد بن جابر، وإنما سمع من عبدالرحمان بن يزيد بن تميم، وهو ضعيف، فلما حدث به الجعفي غلط في اسم الجد فقال: ابن جابر. قلت: وقد رواه أحمد في مسنده [١٨٣] عن حسين الجعفي، عن عبدالرحمان بن يزيد بن جابر، هكذا بالعنعنة، وروى حديثين آخرين بعد ذلك قال فيهما: حسين، ثنا عبدالرحمان بن يزيد بن جابر، وذلك لا ينافي الغلط إن صحّ أنّه لم يسمع منه. وروى ابن ماجه الحديث المذكور من طريق آخر ذكره في آخر كتاب الجنائز [١٨٤]، وفي متنه زيادة. أنا أقضى القضاء أبو بكر محمد بن عبدالعظيم بن عليّ الشافعي المعروف بـ «ابن السقطي» بقراءتي عليه، بجميع «سنن ابن ماجه» قال: أنا أبو بكر عبدالعزيز بن أحمد بن أبي الفتح بن ياقا، إجازة، قال: أنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي سماعاً، إلا ما عتني في الكتاب بإجازته من أبي زرعة، وهذا الحديث من المسموع، قال: أنا أبو منصور محمد بن الحسين بن أحمد بن الهيثم المقومى، إجازة إن لم يكن سماعاً - ثم ظهر سماعه منه - أنا أبو طلحة القاسم بن أبي المنذر الخطيب، أنا أبو القاسم عليّ بن إبراهيم بن سلمة بن بحر القطان، ثنا أبو عبدالله محمد بن يزيد ابن ماجه، ثنا عمرو بن سواد المصري، ثنا عبدالله بن وهب، عن [صفحة ١١٤] عمرو بن الحارث [١٨٥]، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أيمن، عن عبادة بن نسي، عن أبي الدرداء (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة؛ فإنه مشهود تشهد الملائكة، وإنّ أحداً لن يصلي عليّ إلاّ عرضت عليّ صلاته حتى يفرغ منها». قال قلت: وبعد الموت؟ قال: «وبعد الموت، إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام، فنبيّ الله حي يرزق». هذا لفظ ابن ماجه، وفيه زيادة قوله: «حين يفرغ منها» [١٨٦] وفي الأصل: «حتى» التي هي حرف غاية، وعليه تضييب، وفي الحاشية: «حين» التي هي ظرف زمان. فإن كانت هي الثابتة استفيد منها أنّ وقت عرضها على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حين الفراغ من غير تأخير. وإن كان الثابت «حتى» كما في الأصل دلّ على عرضها عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) وقت قوله، فيدلّ على عدم التأخير أيضاً. وفيه زيادة أيضاً، وهي قوله: «وبعد الموت» بحرف العطف، وذلك يقتضى أنّ عرضها عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) في حالتي الحياة والموت جميعاً. وفي إسناد الحديث المذكور: «زيد بن أيمن عن عبادة بن نسي» مرسل، إلاّ أنّه يتقوى باعتضاده بغيره. وقد روينا من جهة القاضي إسماعيل عن الحسن بن الحسين بن عليّ (صلى الله عليه وآله وسلم) مرسلًا قال: «أكثروا عليّ الصلاة يوم الجمعة، فإنّها تعرض عليّ». وروى الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق بن السنّي في كتاب «عمل [صفحة ١١٥] يوم وليلة» عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة» [١٨٧]. وأنبأنا عبدالؤمن وآخرون، أنبأنا ابن الشيرازي، أنا ابن عساكر، أنا أبو الحسين، أنا جدّي أبو بكر البيهقي، أنا عليّ بن أحمد الكاتب، ثنا

أحمد بن عبيد، ثنا الحسين بن سعيد، ثنا إبراهيم بن الحجاج، ثنا حماد بن سلمة، عن برد بن سنان، عن مكحول الشامي، عن أبي أمامة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أكثروا علي من الصلاة في كل يوم جمعة، فإن صلاة أمتي علي في كل يوم جمعة؛ فمن كان أكثرهم علي صلاة كان أقربهم مني منزلة». وهذا إسناد جيد. وعن حصين بن عبدالرحمان، عن يزيد الرقاشي قال: إن ملكاً موكل يوم الجمعة بمن صلى على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، يبلغ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: إن فلاناً من أمتك صلى عليك. وعن أبي طلحة (رضي الله عنه)، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «أتاني جبرئيل (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: بشر أمتك؛ من صلى عليك صلاة واحدة كتب الله له بها عشر حسنات، وكفر عنه بها عشر سيئات، ورفع له بها عشر درجات، ورد الله عليه مثل قوله، وعرضت علي يوم القيامة». رواه ابن عساكر [١٨٨]. ولا تنافي بين هذه الأحاديث، فقد يكون العرض عليه مرّات: وقت الصلاة، ويوم الجمعة، ويوم القيامة. وحديث أبي هريرة، وحديث ابن مسعود مصرحان: بأنه يبلغه سلام كل من سلم عليه، وهما صحيحان إن شاء الله. [صفحة ١١٦] وحديث أوس بن أوس وما في معناه يدل على أن الموت غير مانع من ذلك. وكان مقصودنا بجمع هذه الأحاديث بيان العرض على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأن مراده التبليغ من الملائكة له (صلى الله عليه وآله وسلم) كما تضمّنه حديث أبي هريرة، وحديث ابن مسعود، وهذا في حق الغائب بلا إشكال. (سماع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للمصلي عليه عند قبره) وأما في حق الحاضر عند القبر، فهل يكون كذلك، أو يسمعه (صلى الله عليه وآله وسلم) بغير واسطة؟ ورد في ذلك حديثان: أحدهما: «من صلى علي عند قبري سمعته، ومن صلى علي نائياً بلغته». وفي رواية: «نائياً منه أبلغت». وفي رواية: «نائياً من قبري». وفي رواية: «عن قبري». والحديث الثاني: «ما من عبد يسلم علي عند قبري إلا وكل بها ملك ليبلغني، وكفى أمر آخرته وديناه، وكنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة». وفي رواية: «من صلى علي عند قبري وكل الله بها ملكاً يبلغني، وكفى أمر ديناه وآخرته، وكنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة». وفي رواية: «ما من عبد صلى علي عند قبري إلا وكل الله به» وفيها: «شفيعاً وشهيداً». وهذان الحديثان كلاهما من رواية محمد بن مروان السدي الصغير، وهو ضعيف، وهو الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «أما الحديث الأول الذي فيه: «من صلى علي عند قبري سمعته». فرواه أحمد بن علي الحبراني، ويوسف بن الضحّاك الفقيه، ومحمد بن [صفحة ١١٧] عثمان ابن أبي شيبة، وأحمد بن إبراهيم بن ملحان، وعيسى بن عبدالله الطيالسي، وليث ابن نصر الصاغانّي، والحسن [١٨٩] بن عمر بن إبراهيم الثقفي، كلهم عن العلاء بن عمرو الحنفي، عن محمد بن مروان السدي بالسند المذكور. وفي رواية عيسى الطيالسي: ثنا العلاء بن عمرو الحنفي، ثنا أبو عبدالرحمان عن الأعمش. قال ابن عساكر: قال لنا أبو الحسن سبط البيهقي: قال لنا جدّي أبو بكر: أبو عبدالرحمان هذا هو محمد بن مروان السدي فيما أرى، وفيه نظر. القائل: «وفيه نظر» هو البيهقي، كذا رأيت في جزء «حياة الأنبياء» من تصنيفه. وأما الحديث الثاني: فرواه محمد بن عبدالله بن إبراهيم الشافعي، وأبو الحسين أحمد بن عثمان الآدمي، وأبو عبدالله الصفّار، ومحمد بن عمر بن حفص النيسابوري، كلهم عن محمد بن يونس بن موسى الكديمي - وفي بعض هذا عن محمد بن موسى؛ نسبة إلى جدّه - عن الأصمعي عبدالملك بن قريب، عن محمد بن مروان السدي، عن الأعمش بالسند الأول. وهذا الحديث أضعف من الأول؛ لأنه انضم فيه ضعف الكديمي إلى ضعف السدي، والأول ليس فيه إلا ضعف السدي خاصة. فإن ثبت ذلك فكفى بها شرفاً، وإن لم يثبت فهو مرجو، فينبغي الحرص عليه، والتعرض لإسماعه (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك بالحضور عند قبره، والقرب منه. وسنذكر [١٩٠] في الأحاديث والآثار والأدلة ما يدل على أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) يسمع من يسلم عليه عند قبره، ويردّ عليه عالماً بحضوره عنده، وكفى بهذا فضلاً حقيقةً أن ينفق فيه ملك الدنيا حتى يتوصل إليه من أقطار الأرض. [صفحة ١١٨] وسنفرّد باباً [١٩١] لحياة الأنبياء (عليهم السلام) بعد تمام المقصود من إقامة الدلائل على الزيارة، وبإثبات الحياة تتأكد الزيارة، ولكنّي رأيت ذكره بعدد، لئلا يجادل فيه جدل متطرق به إلى المجادلة في الزيارة. عن سليمان بن سحيم قال: رأيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في النوم فقلت: يا رسول الله، هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك، أتعلم سلامهم؟ قال: «نعم، وأردّ عليهم». وعن إبراهيم بن بشّار قال: حججت في بعض السنين، فجت المدينة، فتقدّمت إلى قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

فسلمت عليه، فسمعت من داخل الحجر: «وعليك السلام». فإن قيل: ما معنى قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إلا- ردّ الله عليّ روحى؟». قلت: فيه جوابان: أحدهما: ذكره الحافظ أبو بكر البيهقي [١٩٢]؛ أن المعنى إلا وقد ردّ الله عليّ روحى؛ يعنى أن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بعدما مات ودفن ردّ الله عليه روحه؛ لأجل سلام من يسلم عليه، واستمرت في جسده (صلى الله عليه وآله وسلم). والثاني: يحتمل أن يكون ردّاً معنوياً، وأن تكون روحه الشريفه مشتغلة بشهود الحضرة الإلهية والملا الأعلى من هذا العالم، فإذا سلم عليه أقبلت روحه الشريفه على هذا العالم، فيدرك سلام من يسلم عليه، ويردّ عليه. [صفحة ١١٩]

في ما ورد في السفر إلى زيارته صريحا وبيان أن ذلك لم يزل قديما وحديثا

إشارة

وممن روى ذلك عنه من الصحابة؛ بلال بن رباح مؤذن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سافر من الشام إلى المدينة لزيارة قبره (صلى الله عليه وآله وسلم). روينا ذلك بإسناد جيد إليه، وهو نصّ في الباب، وممن ذكره الحافظ أبو القاسم ابن عساكر (رحمه الله) بالإسناد الذي سنذكره. وذكره الحافظ أبو محمد عبدالغني المقدسي (رحمه الله) في «الكمال» في ترجمة بلال فقال: ولم يؤذن لأحد بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما روى إلا مرة واحدة في قدمه قدمها المدينة لزيارة قبر النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) طلب إليه الصحابة ذلك، فأذن ولم يتم الأذان. وقيل: إنه أذن لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) في خلافته، وممن ذكر ذلك أيضاً الحافظ أبو الحجاج المزني أبقاه الله. وها أنا أذكر إسناد ابن عساكر في ذلك [١٩٣]، أنبأنا عبدالمؤمن بن خلف، وعليّ ابن محمد بن هارون وغيرهما قالوا: أنا القاضي أبو نصر بن هبة الله بن محمد بن ميميل الشيرازي، إذنا، أنا الحافظ أبو القاسم عليّ بن الحسن [١٩٤] بن هبة الله بن عساكر الدمشقي قراءة عليه وأنا أسمع قال: أنا أبو القاسم زاهر بن طاهر قال: أنا أبو سعيد محمد بن عبدالرحمان قال: أنا أبو أحمد محمد بن محمد، أنا أبو الحسن محمد بن الفيض الغساني بدمشق قال: ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سليمان ابن بلال بن أبي الدرداء، حدثني أبي محمد بن سليمان، عن أبيه سليمان بن بلال، عن أمّ الدرداء، عن أبي الدرداء قال: لما دخل [١٩٥] عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) من فتح بيت المقدس، فصار إلى الجابية، سأل بلال أن يقرّه بالشام، [صفحة ١٢١] ففعل ذلك، قال: وأخى أبو رويحه الذي آخى بيني وبينه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). فنزل دارياً في خولان، فأقبل هو وأخوه إلى قوم من خولان فقال لهم: قد أتيناكم خاطبين، وقد كنا كافرين فهدانا الله، ومملوكين فأعتقنا الله، وفقيرين فأغنانا الله، فان تزوجونا فالحمد لله، وإن تردونا فلا حول ولا قوة إلا بالله! فزوجهما. ثم إن بلالاً رأى في منامه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يقول له: «ما هذه الجفوة يا بلال؟! أميا أن لك أن تزورني يا بلال!». فانتبه حزينا وجلا خائفاً، فركب راحلته وقصد المدينة، فأتى قبر النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فجعل يبكي عنده، ويمرغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما فجعل يضمهما ويقبلهما. فقال له: نستهي نسمع أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المسجد، ففعل، فعلا سطح المسجد، فوقف موقفه الذي كان يقف فيه. فلمّا أن قال: الله أكبر، الله أكبر، ارتجت المدينة. فلمّا أن قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ازداد رجتها. فلمّا أن قال: أشهد أن محمداً رسول الله، خرجت العواتق من خدورهنّ، وقالوا: أبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فما رثى يوم أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من ذلك اليوم. كذا ذكره ابن عساكر في ترجمة بلال (رضي الله عنه) [١٩٦]. وذكره أيضاً في ترجمة إبراهيم بسند آخر إلى محمد بن الفيض: أنبا جماعة عن ابن عساكر قال: أنبا أبو محمد ابن الأكفاني، ثنا عبدالعزيز بن أحمد، ثنا تمام بن محمد، ثنا محمد بن سليمان، ثنا محمد بن الفيض فذكره سواء، إلا أنه سقط منه «من فتح بيت المقدس»، وقال: آخى بينه وبينني، ولم يقل «خاطبين» [١٩٧]. [صفحة ١٢٢] أبو رويحه: اسمه عبدالله بن عبدالرحمان الخثعمي، وفي «الطبقات»: أن مؤاخاته لبلال لم يثبتها محمد بن عمر، وأثبتها ابن إسحاق وغيره، وأختار أنس أن يجعل ديوانه معه، فضمه عمر إليه، وضمّ ديوان

الحبشة إلى خثعم؛ لمكان بلال منهم. وسليمان بن بلال بن أبي الدرداء: روى عن جدّه وأبيه بلال، روى عنه ابنه محمّد، وأيوب بن مدرك الحنفى، ذكر له ابن عساكر حديثاً، ولم يذكر فيه تجريحاً [١٩٨]. وابنه محمّد بن سليمان بن بلال: ذكره مسلم في الكنى [١٩٩]، وأبو بشر الدولابى [٢٠٠]، والحاكم أبو أحمد، وابن عساكر [٢٠١]، كنيته أبو سليمان، قال ابن حاتم: سألت أبي عنه فقال: ما بحديثه بأس. وابنه إبراهيم بن محمد بن سليمان أبو إسحاق: ذكره الحاكم أبو أحمد، وقال: كناه لنا محمّد بن الفيض، وذكره ابن عساكر؛ وذكر حديثه، ثم قال: قال ابن الفيض: توفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين [٢٠٢]. ومحمّد بن الفيض بن محمّد بن الفيض أبو الحسن الغسانيّ دمشقى: روى عن خلائق، روى عنه جماعة منهم: أبو أحمد بن عدى، وأبو أحمد الحاكم، وأبو بكر ابن المقرئ في معجمه، ذكره ابن زبر وابن عساكر في التاريخ [٢٠٣]، توفي سنة خمس عشرة وثلاثمائة، ومولده سنة تسع عشرة ومائتين، ومدار هذا الإسناد عليه، فلا حاجة إلى النظر في الإسنادين اللذين رواه ابن عساكر بهما وإن كان رجالهما [صفحة ١٢٣] معروفين مشهورين. وليس اعتمادنا في الاستدلال بهذا الحديث على رؤيا المنام فقط، بل على فعل بلال، وهو صحابى، لا سيما في خلافة عمر (رضى الله عنه)، والصحابة متوافرون، ولا يخفى عنهم هذه القصّة. ومنام بلال ورؤياه للنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) الذى لا يتمثل به الشيطان، وليس فيه ما يخالف ما ثبت في اليقظة، فيتأكد به فعل الصحابى.

ابراء عمر بن عبد العزيز بالسلام على الرسول

وقد استفاض عن عمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه): أنّه كان يبرّد البريد من الشام يقول: سلّم لى على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) [٢٠٤]. وممن ذكر ذلك ابن الجوزى، ونقلته من خطّه فى كتاب «مثير العزم الساكن» وقد ضبطه بإسكان الباء الموحدة، وكسر الراء المخففة، وهو كذلك، يقال: أبرد فهو مُبرّد. وذكره أيضاً الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبى عاصم النبيل، ووفاته سنة سبع وثمانين ومائتين فى «مناسك» له لطيفة جرّدها من الأسانيد، ملتزماً فيها الثبوت، قال فيها: وكان عمر بن عبد العزيز يبعث بالرسول قاصداً من الشام إلى المدينة؛ ليقرىء النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم يرجع. وهذه المناسك رواية شيخنا الديمياطى: أنا ابن خليل، أنا الطرطوسى [٢٠٥] والكرانى، أنا الصيرفى، ثنا أبو بكر محمّد بن عبدالله بن شاذان، ثنا القباب، ثنا ابن أبى عاصم. فسفر بلال فى زمن صدر الصحابة، ورسول عمر بن عبد العزيز فى زمن [صفحة ١٢٤] صدر التابعين من الشام الى المدينة، لم يكن إلا للزيارة والسلام على النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يكن الباعث على السفر غير ذلك؛ لا من أمر الدنيا، ولا من أمر الدين، لا من قصد المسجد، ولا من غيره، وإنما قلنا ذلك لئلا يقول بعض من لا علم له: إنّ السفر لمجرّد الزيارة ليس بسنة! وستكلم على بطلان ذلك فى موضعه. وأما من سافر الى المدينة لحاجة، وزار عند قدومه، أو اجتمع فى سفره قصد الزيارة مع قصد آخر فكثير. وقد ورد عن يزيد بن أبى سعيد مولى المهريّ قال: قدمت على عمر بن عبد العزيز، فلما ودّعته قال: لى إليك حاجة، إذا أتيت المدينة سترى قبر النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فأقرئه منى السلام. وورد هذا عن غير عمر بن عبد العزيز أيضاً: قال أبو الليث السمرقندى الحنفى فى «الفتاوى» فى باب الحجّ: قال أبو القاسم: لما أردت الخروج إلى مكة قال القاسم بن غسان: إنّ لى إليك حاجة، إذا أتيت قبر النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فأقرئه منى السلام. فلما وضعت رجلى فى مسجد المدينة ذكرت. قال الفقيه: فيه دليل أنّ من لم يقدر على الخروج، فأمر غيره ليسلم عنه، فإنّه ينال فضيلة السلام إن شاء الله تعالى، انتهى. وفى «فتوح الشام» [٢٠٦]: أنّه لما كان أبو عبيدة منازل بيت المقدس، أرسل كتاباً إلى عمر مع ميسرة بن مسروق (رضى الله عنه) يستدعيه الحضور، فلما قدم ميسرة مدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، دخلها ليلاً، ودخل المسجد، وسلّم على قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى قبر أبى بكر (رضى الله عنه). وفيه أيضاً: أنّ عمر لما صالح أهل بيت المقدس، وقدم عليه كعب الأخبار وأسلم، وفرح عمر بإسلامه، قال عمر (رضى الله عنه): له هل لك أن تسير معى إلى المدينة [صفحة ١٢٥] وتزور قبر النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وتمتع بزيارته؟ فقال لعمر: يا أمير المؤمنين، أنا أفعل ذلك. ولما قدم عمر المدينة أول ما بدأ بالمسجد، وسلّم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وقد ذكر المؤرّخون والمحدّثون -

منهم أبو عمر بن عبد البرّ في «الاستيعاب» [٢٠٧] وأحمد بن يحيى البلاذريّ في «تاريخ الأشراف» [٢٠٨] وابن عبد ربّه في «العقد» [٢٠٩] - أن زياد بن أبيه أراد الحجّ، فأتاه أبو بكره (رضى الله عنه) وهو لا يكلمه، فأخذ ابنه فأجلسه في حجره ليخاطبه ويسمع زياداً فقال: إن أباك فعل وفعل، وإنّه يريد الحجّ، وأمّ حبيبة زوج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هناك، فإن أذنت له فأعظم بها مصيبة وخيانة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن هي حجته فأعظم بها حجة عليه. فقال زياد: ما تدع النصيحة لأخيك، وترك الحجّ تلك السنة، هكذا حكاه البلاذريّ. وحكى ابن عبد البرّ ثلاثة أقوال: أحدها: أنّه حجّ، ولم يزر من أجل قول أبي بكره. والثاني: أنّه دخل المدينة وأراد الدخول على أمّ حبيبة رضي الله عنها فذكر قول أبي بكره فانصرف عن ذلك. والثالث: أن أمّ حبيبة حجته ولم تأذن له. والقصة على كلّ تقدير تشهد لأنّ زيارة الحجّ كانت معهودة من ذلك الوقت، وإلاّ فكان زياد يمكنه أن يحجّ من غير طريق المدينة، بل هي أقرب إليه؛ لأنّه كان بالعراق، والإتيان من العراق إلى مكّة أقرب، ولكن كان إتيان المدينة عندهم أمراً لا يترك. [صفحة ١٢٦]

البدء بمكّة أو بالمدينة، في سفر الحجّ؟

واختلف السلف رحمهم الله في أنّ الأفضل البداء بالمدينة قبل مكّة، أو بمكّة قبل المدينة. وممن نصّ على هذه المسألة وذكر الخلاف فيها؛ الإمام أحمد (رحمه الله) في كتاب «المناسك الكبير» من تأليفه، وهذه المناسك رواها الحافظ أبو الفضل محمّد بن ناصر، عن الحاجب أبي الحسن عليّ بن محمّد العلاف، عن أبي الحسن عليّ بن أحمد بن عمر الحمّامي، عن إسماعيل بن عليّ الخطيب [٢١٠]، عن عبد الله بن أحمد، عن أبيه. في هذه المناسك: سئل عمّن يبدأ بالمدينة قبل مكّة؟ فذكر بإسناده عن عبد الرحمان بن يزيد وعطاء ومجاهد قالوا: إذا أردت مكّة فلا تبدأ بالمدينة، وأبدأ بمكّة، وإذا قضيت حجّك فامرر بالمدينة إن شئت. وذكر بإسناده عن الأسود قال: أحبّ أن يكون نفقتي وجهازي وسفري أن أبدأ بمكّة. وعن إبراهيم النخعي: إذا أردت مكّة فاجعل كلّ شيء لها تبعاً. وعن مجاهد: إذا أردت الحجّ أو العمرة فابدأ بمكّة، واجعل كلّ شيء لها تبعاً. وعن إبراهيم قال: إذا حججت فابدأ بمكّة، ثم مرّ بالمدينة بعد. وذكر الإمام أحمد أيضاً بإسناده عن عدى بن ثابت: أنّ نقرأ من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كانوا يبدأون بالمدينة إذا حجّوا، يقولون: نهّل من حيث أحرم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). [صفحة ١٢٧] وذكر ابن أبي شيبة في مصنّفه هذا الأثر أيضاً [٢١١]، وذكر بإسناده عن علقمة والأسود وعمرو بن ميمون: أنّهم بدأوا بالمدينة قبل مكّة [٢١٢]. وقال الموقّ بن قدامة: قال - يعني أحمد - وإذا حجّ للذي لم يحجّ قطّ - يعني من غير طريق الشام - لا يأخذ على طريق المدينة؛ لأنّي أخاف أن يحدث به حدث، فينبغي أن يقصد مكّة من أفصّر الطرق، ولا يتشاغل بغيره. قلت: وهذا في العمرة متّجه؛ لأنّه يمكنه فعلها متى وصل إلى مكّة، وأمّا الحجّ فله وقت مخصوص، فإذا كان الوقت متّسعاً لم يفت عنه بمروره بالمدينة شيء. وممن نصّ على هذه المسألة من الأئمة أبو حنيفة (رحمه الله) وقال: الأحسن أن يبدأ بمكّة، روى ذلك الحسن بن زياد عنه فيما حكاه أبو الليث السمرقندي. فانظر كلام السلف والخلف في إتيان المدينة إمّا قبل مكّة، وإمّا بعدها. ومن أعظم ما تؤتى له المدينة الزيارة، ألا ترى أنّ بيت المقدس لا يأتيه إلاّ القليل من الناس وإن كان مشهوداً له بالفضل، والصلاة فيه مضاعفة؟! فتوفّر الهمم خلفاً عن سلف على إتيان المدينة إنّما هو لأجل الزيارة، وإن اتفق معها قصد عبادات أخر فهو مغمور بالنسبة إليها. وأمّا ما نقل من تعليل بعض الصحابة بالإهلال من ميقات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فذلك أمر مقصود، وليس هو كلّ المقصود، ولعلهم رضي الله عنهم رأوا أنّه ميقاتهم الأصليّ لما كانوا بالمدينة مع نبيهم (صلى الله عليه وآله وسلم) فأحبّوا أن لا يغيّروا ذلك، وإلاّ فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقت لأهل كلّ بلد ميقاتاً، ولعلّ الإحرام منه أولى، إلاّ أن يعارضه معارض. والتابعون الكوفيون الذين اختاروا البداء بالمدينة لم يُنقل عنهم تعليل، [صفحة ١٢٨] فلعلّ سببه عندهم إثارة الزيارة، ولو كانت العلّة الإحرام من ميقات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يأتوها إذا اتفق لهم البداء بمكّة؛ لفوات الإحرام، فلما اتفقوا على إتيانها - وإنما اختلفوا في البداء - دلّ على أنّ العلّة غيره، وهي ما فيها من المشاهد، وأعظمها الزيارة،

فهي إما كل المقصود، أو معظمه، وغيرها منغم فيها. وممن اختار البداء بمكة ثم إتيان المدينة والقبر؛ الإمام أبو حنيفة، كما سنحكيه عنه في الباب الرابع.

الفقهاء يقررون السفر لزيارة القبر الشريف

وقال أبو بكر محمد بن الحسين الآجري في كتاب «الشريعة» [٢١٣] في باب دفن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ما أحد من أهل العلم قديماً ولا حديثاً - ممن رسم لنفسه كتاباً نسبة إليه من فقهاء المسلمين، فرسم كتاب المناسك - إلا وهو يأمر كل من قدم المدينة ممن يريد حجاً أو عمرة، أو لا يريد حجاً ولا عمرة، وأراد زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمقام بالمدينة لفضلها إلا - وكل العلماء قد أمره ورسموه في كتبهم، وعلموه كيف يسلم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكيف يسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: علماء الحجاز قديماً وحديثاً، وعلماء أهل العراق قديماً وحديثاً، وعلماء أهل الشام قديماً وحديثاً، وعلماء أهل خراسان قديماً وحديثاً، وعلماء أهل اليمن قديماً وحديثاً، وعلماء أهل مصر قديماً وحديثاً، فله الحمد على ذلك. وقال قريباً من هذا الكلام أبو عبدالله عبيدالله بن محمّد بن حميد بن حمدان بن بطّة العكبري الحنبلي في كتاب «الإبانه عن شريعة الفرقه الناجية ومجانبة الفرق المذمومة» [٢١٤] في باب دفن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً قال: بحسبك دلالة على إجماع المسلمين واتفقهم على دفن أبي بكر وعمر [صفحة ١٢٩] مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وألهم من علماء المسلمين وفقهه من فقهاءهم، ألف كتاباً في المناسك، ففصله فصولاً، وجعله أبواباً، يذكر في كل باب فقهه، ولكل فصل علمه، وما يحتاج الحاج إلى علمه والعمل به قولاً وفعلاً: من الإحرام، والطواف، والسعي، والوقوف، والنحر، والحلق، والرمي، وجميع ما لا يسع الحاج جهله، ولا غنى بهم عن علمه، حتى يذكر زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيصف ذلك فيقول: ثم تأتي القبر فتستقبله، وتجعل القبلة وراء ظهرك وتقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، حتى يصف السلام والدعاء. ثم يقول: وتقدم على يمينك قليلاً - وتقول: السلام عليك يا أبا بكر وعمر. وإن الناس يحجون البيت من كل فج عميق وبلد سحيق، فإذا أتوا البيت لا يشكون أنه بيت الله المحجوج إليه، وكذلك ما يأتونه من أعمال المناسك وفرائض الحج وفضائله ينادى بعضه بعضاً، حتى يأتوا قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيسلمون عليه وعلى صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقد أدركنا الناس ورأيانهم، وبلغنا عن من نزه أن الرجل إذا أراد الحج فسلم عليه أهله وصحابته قالوا له: وتقرأ على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله وسلم) وأبي بكر وعمر منّا السلام، فلا ينكر ذلك أحد ولا يخالفه. هذا كلام ابن بطّة رحمه الله تعالى، وقد أنبأنا به جماعة من شيوخنا عن الحافظ أبي الحجاج يوسف بن خليل بسنده إلى ابن بطّة. ومقصوده ومقصود الآجري الرد على بعض الملحده في إنكار دفن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأما زيارته (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم ينكرها أحد، وإنما جاءت في كلامهما على سبيل التبع؛ لأنه لم يظن أحد أن يقع فيها أو في السفر إليها نزاع في قرن الثمانمائة. واستفيد من كلامهما أن سفر الحجيج إليها لم يزل في السلف والخلف، وأنها تابعة للمناسك. [صفحة ١٣٠] وأبو بكر الآجري هذا قديم، توفي في المحرم سنة ستين وثلاثمائة، وكان ثقة صدوقاً ديناً، وله تصانيف كثيرة، وحدث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلاثمائة، انتقل إلى مكة فسكنها حتى توفي بها. وابن بطّة المذكور توفي في المحرم سنة سبع وثمانين وثلاثمائة بعكبري، من فقهاء الحنابلة، كان إماماً فاضلاً عالماً بالحديث، وفقهه أكثر من الحديث، وصنّف التصانيف المفيدة. وهكذا قال غيرهما: قال القاضي عياض [٢١٥]: قال إسحاق بن إبراهيم الفقيه: ومما لم يزل من شأن من حجّ المرور بالمدينة والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والتبرك برؤية روضته، ومنبره، وقبره، ومجلسه، وملامس يديه، ومواطن قدميه، والعمود الذي كان يستند إليه، وينزل جبرئيل بالوحي فيه عليه، وبمن عمره وقصده من الصحابة وأئمة المسلمين، والاعتبار في ذلك كله. وقد ذكرنا في باب نصوص العلماء على استحباب الزيارة قول الباجي المالكي: إن الغرباء قصدوا لذلك؛ يعني قصدوا المدينة من أجل القبر والتسليم. ذكر هذا في معرض الفرق بين أهل

المدينة والغرباء لما فرق مالك رحمه الله بينهم، كما سبق. وسنذكر في الباب الرابع من كلام العبدى المالكى في «شرح الرسالة» أن المسير إلى المدينة لزيارة قبر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس. وأكثر عبارات الفقهاء أصحاب المذاهب ممن حكينا كلامهم في باب الزيارة، يقتضى استحباب السفر؛ لأنهم استحبوا للحاج بعد الفراغ من الحج الزيارة، ومن ضروريها السفر. [صفحة ١٣١]

حكاية العتبي عن الأعرابي

وحكاية الأعرابي المشهورة التي ذكر المصنفون في مناسكهم، وفي بعض طرقها: أن الأعرابي ركب راحلته وانصرف، وذلك يدل أنه كان مسافراً. والحكاية المذكورة ذكرها جماعة من الأئمة عن العتبي، واسمه محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان؛ صخر بن حرب، كان من أفصح الناس، صاحب أخبار ورواية للآداب، حدث عن أبيه، وسفيان ابن عيينة [٢١٦] توفي سنة ثمان وعشرين ومائتين، يكتنى أبا عبد الرحمان. وذكرها ابن عساكر في تأريخه [٢١٧]، وابن الجوزي في «مثير العزم الساكن» وغيرهما بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهلالي قال: دخلت المدينة، فأتيت قبر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فزرتة وجلست بحذاءه، فجاء أعرابي فزاره، ثم قال: يا خير الرسل، إن الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً وَإِنِّي جئتُكَ مستغفراً ربك من ذنوبي، مستشفعاً فيها بك. وفي رواية: وقد جئتُكَ مستغفراً من ذنبي، مستشفعاً بك إلى ربى. ثم بكى وأنشأ يقول: يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكمنفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم ثم استغفر وانصرف فرأيت النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) في نومي وهو يقول: «الحق الرجل، وبشره أن الله قد غفر له بشفاعتي» فاستيقظت فخرجت أطلبه فلم أجده. [صفحة ١٣٢] وقد نظم أبو الطيب أحمد بن عبدالعزيز بن محمد المقدسى (رحمه الله) وسأله بعضهم الزيادة على هذين البيتين وتضمينهما، فقال - ورواها ابن عساكر (رحمه الله) عنه - : [٢١٨]. أقول والدمع من عينى منسجم لما رأيت جدار القبر يُستلمو الناس يغشونه باك ومنقطع من المهابة أو داع فملتممما تمالكت أن ناديت من حرق في الصدر كادت له الأحشاء تضطرميا خير من دُفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكمنفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم وفيه شمس التقى والدين قد غربت من بعد ما أشرق من نورها الظلمحاشا لوجهك أن يبلى وقد هُديت في الشرق والغرب من أنواره الأمم وإن تمسك أيدي التراب لأمس وأنت بين السماوات العلى علمليقت ربك والإسلام صارمه ماض وقد كان بحر الكفر يلتطمفقت فيه مقام المرسلين إلى أن عز فهو على الأديان يحتكملمن رأيناها قبراً إن باطنه لروضة من رياض الخلد تبتسمطافت به من نواحيه ملائكة تغشاه في كل ما يوم وتزدحمو كنت أبصرته حياً لقلت له: لا- تمش إلا- على خدى لك القدمهدى به الله قوماً قال قائلهم بطن يثرب [٢١٩] لما ضمه الرجم: إن مات أحمد فالرحمن خالقه حي ونعبده ما أورد السلمقال الجوهرى (رحمه الله): الرجم - بالتحريك - القبر، والله تعالى أعلم. [صفحة ١٣٥]

في نصوص العلماء على استحباب زيارة قبر سيدنا رسول الله وبيان أن ذلك مجمع عليه بين المسلمين

إشارة

قال القاضي عياض (رحمه الله): وزيارة قبره (صلى الله عليه وآله وسلم) سنة بين المسلمين مجمع عليها، وفضيلة مرغّب فيها [٢٢٠]. وقال القاضي أبو الطيب: ويستحب أن يزور النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد أن يحج ويعتمر. وقال المحاملى في «التجريد»: ويستحب للحاج إذا فرغ من مكة أن يزور قبر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم). وقال أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحلیمی في كتابه المسمى بـ «المنهاج في شعب الإيمان في تعظيم النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)» فذكر جملة من ذلك، ثم قال: وهذا كان من الذين رزقوا

مشاهدته وصحبته، فأما اليوم فمن تعظيمه زيارته. وقال الماوردي في «الحاوي»: أما زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأمور بها، و مندوب إليها. وذكر الماوردي في «الأحكام السلطانية» باباً في الولاية على الحجيج قال: ولاية الحج ضربان: أحدهما: على تسيير الحجيج. والثاني: على إقامة الحج. فأما الأول: فشرط المتولّي أن يكون مطاعاً ذا رأى وشجاعة، وعليه في هذه الولاية عشرة أشياء... فذكرها. ثم قال: فإذا قضى الناس حجهم أمهلهم الأيام التي جرت عاداتهم بها، فإذا رجعوا سار بهم على طريق مدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليجمع لهم بين حج بيت الله، وزيارة قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رعايةً لحرمة، وقياماً بحقوق طاعته، وذلك وإن لم يكن من فروض الحج فهو من مندوبات الشرع المستحبة، وعادات الحجيج [صفحة ١٣٦] المستحسنة [٢٢١]. وقال صاحب «المهذب»: ويستحب زيارة قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وقال القاضي حسين: إذا فرغ من الحج فالتسنة أن يقف بالملتزم ويدعو، ثم يشرب من ماء زمزم، ثم يأتي المدينة ويزور قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). وقال الروياني: يستحب إذا فرغ من حجه أن يزور قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). ولا حاجة إلى تتبع كلام الأصحاب في ذلك، مع العلم بإجماع سائر العلماء عليه. والحنفية قالوا: إن زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من أفضل المندوبات والمستحبات، بل تقرب من درجته الواجبات. وممن صرح بذلك منهم أبو منصور محمد بن مكرم الكرماني في «مناسكه»، وعبدالله بن محمود بن بلدح في «شرح المختار» [٢٢٢]. وفي «فتاوى أبي الليث السمرقندي» في باب أداء الحج: روى الحسن بن زياد عن أبي حنيفة أنه قال: الأحسن للحاج أن يبدأ بمكة، فإذا قضى نسكه مرّ بالمدينة، وإن بدأ بها جاز، فيأتي قريباً من قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقوم بين القبر والقبلة، فيستقبل القبلة، ويصلي على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويترحم عليهما. وقال أبو العباس السروجي في «الغاية»: إذا انصرف الحاج والمعتمرون من مكة، فليتوجهوا إلى طيبة مدينة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وزيارة قبره؛ فإنها من أنجح المساعي. [صفحة ١٣٧]

نصوص الحنابلة

وكذلك نصّ عليه الحنابلة أيضاً؛ قال أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن [٢٢٣] الكلواذاني الحنبلي في كتاب «الهداية» في آخر باب صفه الحج: وإذا فرغ من الحج استحب له زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقبر صاحبيه. وقال أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن الحسين بن أحمد بن القاسم بن إدريس السامري في كتاب «المستوعب»: باب زيارة قبر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإذا قدم مدينة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) استحب له أن يغتسل لدخولها، ثم يأتي مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ويقدم رجله اليمنى في الدخول، ثم يأتي حائط القبر، فيقف ناحية، ويجعل القبر تلقاء وجهه، والقبلة خلف ظهره، والمنبر عن يساره... وذكر كيفية السلام والدعاء إلى آخره. ومنه: اللهم إني أتيتك في كتابك لنبيتك (عليه السلام): وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ... الآية، وإني قد أتيت نبيتك مستغفراً، فأسألك أن توجب لي المغفرة، كما أوجبتها لمن أتاه في حياته، اللهم إني أتوجه إليك بنيتك (صلى الله عليه وآله وسلم)... وذكر دعاء طويلاً. ثم قال: وإذا أراد الخروج عاد إلى قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فودع. وانظر هذا المصنف من الحنابلة - الذين الخصم متمذهب بمذهبهم - [٢٢٤]. [صفحة ١٣٨] كيف نصّ على التوجه بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وابن حبان، يستشفع بك إلى ربك بالرحمة والمغفرة، فاشفع له. وسنجد لذلك باباً في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى. وقال نجم الدين بن حمدان الحنبلي في «الرعاية الكبرى»: ويسن لمن فرغ من نسكه زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقبر صاحبيه رضي الله عنها، وله ذلك بعد فراغ حجه، وإن شاء قبل فراغه. وقد عقد ابن الجوزي في كتابه المسمى «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» [٢٢٥] باباً في زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وذكر فيه حديث ابن عمر وحديث أنس رضي الله عنهم. وقال الشيخ موفق الدين بن قدامة المقدسي في كتاب «المغني» [٢٢٦] وهو من أعظم كتب الحنابلة التي يعتمدون عليها: فصل: يستحب زيارة قبر

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وذكر حديث ابن عمر من طريق الدارقطني ومن طريق سعيد بن منصور عن حفص، وحديث أبي هريرة (رضي الله عنه) من طريق أحمد: «ما من أحد يسلم عليّ عند [صفحة ١٣٩] قبري...» [٢٢٧]. وكذلك نصّ عليه المالكية، وقد تقدّم حكاية القاضي عياض الإجماع. وفي كتاب «تهذيب المطالب» [٢٢٨] لعبد الحقّ الصقلّي عن الشيخ أبي عمران المالكي: أنّ زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واجبة [٢٢٩]. قال عبد الحقّ: يعني من السنن الواجبة. وقال عبد الحقّ أيضاً في هذا الكتاب: رأيت في بعض المسائل التي سئل عنها الشيخ أبو محمّد بن أبي زيد: قيل له في رجل استوجر بمال ليحجّ به، [صفحة ١٤٠] وشرطوا عليه الزيارة: لم يستطع تلك السنة أن يزور لعذر منعه من تلك؟ قال: يردّ من الأجرة بقدر مسافة الزيارة. قال الحاكي عنه ذلك: وقال غيره من شيوخنا: عليه أن يرجع ثانياً [٢٣٠] حتّى يزور. قال عبد الحقّ: انظر، إن استوجر للحجّ لسنة بعينها، فها هنا يسقط من الأجرة ما يخصّ الزيارة، وإن استوجر على حجّة مضمونة في ذمّته فها هنا يرجع ويزور، وقد اتفق النقلان. وعبد الحقّ هذا هو: عبد الحقّ بن محمّد بن هارون السهمي القروي، صقلّي، تفقّه بشيوخ القيروان، وتفقّه بالصقلّيين أيضاً، منهم: أبو عمران وغيره، وحجّ ولقي عبد الوهاب (رحمه الله)، وحجّ ثانياً فلقى إمام الحرمين، فباحته في أشياء، وسأله عن مسائل أجابه عنها، وكان مليح التأليف، ألف كتباً كثيرة في مذهب مالك، توفّي بالإسكندرية سنة ست وستين وأربعمائة. وهذا الفرع الذي ذكره في الاستتجار على الزيارة فرع حسن. والذي ذكره أصحابنا: أنّ الاستتجار على الزيارة لا يصحّ؛ لأنّه عمل غير مضبوط، ولا مقدّر بشرع، والجعالة إن وقعت على نفس الوقوف لم يصحّ أيضاً؛ لأنّ ذلك ممّا لا يصحّ فيه النيابة عن الغير، وإن وقعت الجعالة على الدعاء عند قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت صحيحة؛ لأنّ الدعاء ممّا يصحّ النيابة فيه، والجهل بالدعاء لا يبطلها، قال ذلك الماورديّ في «الحاوي» في كتاب الحجّ [٢٣١]. وبقي قسم ثالث لم يذكره الماورديّ: وهو إبلاغ السلام، ولا شكّ في جواز الإجارة والجعالة عليه، كما كان عمر بن عبد العزيز يفعل. والظاهر أنّ مراد المالكية هذا، وإلا فمجرد الوقوف من الأجير لا يحصل [صفحة ١٤١] للمستأجر غرضاً، وسيأتي في كتاب ابن المواز من نصّ مالك ما يقتضي أنّه يقف ويدعو عند قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما يفعل عند وداع البيت. وفي كتاب «النوادر» لابن أبي زيد - بعد أن حكى في زيارة القبور من كلام ابن حبيب، وعن المجموعة عن مالك، ومن كلام ابن القرظي - ثمّ قال عقبيه: ويأتي قبور الشهداء بأحد ويسلم عليهم، كما يسلم على قبره (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى ضجيعيه. وفيه أيضاً من كلام ابن حبيب: ويدلّ على التسليم على أهل القبور ما جاء من السنّة في التسليم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبي بكر وعمر مقبورين. وقال أبو الوليد محمّد بن رشد المالكيّ في شرح «العيّتيّة» المسمّى بكتاب «البيان والتحصيل» [٢٣٢] في كتاب الجامع، في سلام الذي يمرّ بقبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). وسئل عن المارّ بقبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أترى أن يسلم كلّما مرّ؟ قال: نعم، أرى ذلك عليه أن يسلم عليه إذا مرّ به، وقد أكثر الناس من ذلك، فأما إذا لم يمرّ به فلا أرى ذلك، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «اللهمّ لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتدّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». فقد أكثر الناس من هذا، فإذا لم يمرّ عليه فهو في سعة من ذلك. قال: وسئل عن الغريب يأتي قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كلّ يوم؟ فقال: ما هذا من الأمر، ولكن إذا أراد الخروج. قال محمّد بن رشد: المعنى في هذا، أنّه يلزمه أن يسلم عليه كلّما مرّ به متى ما مرّ، وليس عليه أن يمرّ به ليسلم عليه إلاّ للوداع عند الخروج، ويكره له أن يكثر المرور به، والسلام عليه، والإتيان كلّ يوم إليه؛ لئلاّ يجعل القبر بفعله ذلك كالمسجد الذي يؤتى كلّ يوم للصلاة فيه، وقد نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن ذلك؛ لقوله: «اللهمّ لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتدّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور [صفحة ١٤٢] أنبيائهم مساجد» انتهى كلام ابن رشد. وانظر كيف جعل عليه أن يأتيه للوداع، وبطريق الأولى السلام، وإنّما كراهة الإكثار لما ذكره، وأصل الاستحباب متّفق عليه.

مناظرة الإمام مالك وأبي جعفر المنصور

وقد روى القاضي عياض في «الشفاء» [٢٣٣] قال: ثنا القاضي أبو عبد الله محمّد بن عبد الرحمان الأشعريّ، وأبو القاسم أحمد بن بقّي

(الحاكم)، وغير واحد فيما أجازوا به [٢٣٤]، قالوا: ثنا أحمد بن عمر بن دلهات، ثنا علي بن فهر، ثنا محمد بن أحمد ابن الفرج، ثنا عبدالله بن المنتاب، ثنا يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل، ثنا ابن حميد قال: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال له مالك: يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد؛ فإن الله تعالى أدب قوماً فقال: لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ... الآية، ومدح قوماً: إِنَّ الَّذِينَ يَعُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ... الآية، وذم قوماً، فقال: إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ... الآية، وإن حرمة ميتاً كحرمة حياً. فاستكان لها أبو جعفر وقال: يا أبا عبدالله، أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه؟ وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم (عليه السلام) إلى الله تعالى يوم القيامة؟! [صفحة ١٤٣] بل استقبله واستشفع به، فيشفعه الله تعالى، قال الله تعالى: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَعْظَمُوا... الآية. فانظر هذا الكلام من مالك (رحمه الله) وما اشتمل عليه من الزيارة والتوسل بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وحسن الأدب معه. وقال القاضي عياض: قال ابن حبيب: وتقول إذا دخلت مسجد الرسول: بسم الله، وسلام على رسول الله، السلام علينا من ربنا، وصلى الله وملائكته على محمد، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك، واحفظني من الشيطان الرجيم. ثم اقصد إلى الروضة، وهي ما بين القبر والمنبر، فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر. ثم تقف بالقبر متواضعاً متواقراً، فتصلى عليه، وتثنى بما يحضرك، وتسلم على أبي بكر وعمر رضی الله عنهما وتدعو لهما. ولا تدع أن تأتي مسجد قباء وقبور الشهداء. وقال مالك في «كتاب محمد»: ويسلم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا دخل وخرج؛ يعنى في المدينة وفيما بين ذلك. وقال محمد: وإذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر، وكذلك من خرج مسافراً. وقال مالك في «المبسوط»: وليس يلزم من دخل المسجد أو خرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر، وإنما ذلك للغرباء. وقال فيه أيضاً: لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيصلى عليه، ويدعو له ولأبي بكر وعمر. فقيل له: فإن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر، ولا يريدونه، يفعلون ذلك في اليوم مرّة أو أكثر، وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرّة والمرتين أو [صفحة ١٤٤] أكثر عند القبر، فيسلمون ويدعون ساعة. فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا، وتركه واسع، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدورها أنهم كانوا يفعلون ذلك، ويكرهه إلا لمن جاء من سفر أو أراد. قال ابن القاسم: ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوها، أتوا القبر فسلموا، قال: وذلك رأيي. قال الباجي: ففرق بين أهل المدينة والغرباء؛ لأنّ الغرباء قصدوا لذلك، وأهل المدينة مقيمون بها، لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم. انتهى ما حكاه القاضي عياض. وانظر قول الباجي: إنّ الغرباء قصدوا لذلك، ودلائله على أنّ الغرباء قصدوا المدينة من أجل القبر والتسليم. والمتلخص من مذهب مالك (رحمه الله): أنّ الزيارة قرينة، ولكنه على عادته في سدّ الذرائع يكره منها الإكثار الذي قد يفضي إلى محذور. والمذاهب الثلاثة يقولون باستحبابها واستحباب الإكثار منها؛ لأنّ الإكثار من الخير خير، وكلّهم مجمعون على استحباب الزيارة. وفي كتاب «النوادر»: ويأتي قبور الشهداء بأحد، ويسلم عليهم كما يسلم على قبره (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى ضجيعه. وقال أبو محمد عبد الكريم بن عطاء الله بن عبد الرحمان بن عبدالله بن محمد بن عيسى بن الحسن المالكي في «مناسكه» التي التزم فيها مشهور مذهب مالك: فصل: إذا كمل لك حجك وعمرتك على الوجه المشروع، لم يبق بعد ذلك إلا إتيان مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للسلام على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والدعاء عنده، والسلام على صاحبيه، والوصول إلى البقيع، وزيارة ما فيه من قبور الصحابة والتابعين، والصلاة في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا ينبغي للقادر على ذلك تركه. [صفحة ١٤٥] وقال العبدى في «شرح الرسالة»: وأما النذر للمشى إلى المسجد الحرام، أو المشى إلى مكة، فله أصل في الشرع، وهو الحجّ والعمرة، وإلى المدينة لزيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس، وليس عندهما حج ولا عمرة، فإذا نذر المشى إلى هذه الثلاثة لزمه، فالكعبة متفق عليها، واختلف أصحابنا وغيرهم في المسجدين الآخرين. قلت: الخلاف الذي أشار إليه في نذر إتيان المسجدين، لا في الزيارة.

فهذه نقول المذاهب الأربعة، وكذلك غيرهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم. فقد صحَّ من وجوه كثيرة عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أنه كان يأتي القبر، فيسلم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أنا عبدالمؤمن بن خلف، أنا إبراهيم بن أبي الخير، وأبو عبدالله محمّد بن المنى، منفردين في الرحلة الأولى، قالوا: أنا شهدة، أنا الحسن بن أحمد بن سليمان، أنا الحسن بن أحمد بن شاذان، أنا دعلج، أنا محمّد بن عليّ بن زيد الصائغ، ثنا سعيد ابن منصور، ثنا مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر: أنه كان يأتي القبر فيسلم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى أبي بكر وعمر. وقال دعلج: هذا الحديث في «الموطأ» [٢٣٥] عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر، وأنا به إسحاق بن النخاس من طريق آخر إلى سعيد بن منصور ثنا مالك به. وروى عن ابن عون قال: سألت رجل نافعاً: هل كان ابن عمر يسلم على القبر؟ [صفحة ١٤٦] قال: نعم، لقد رأيته مائة مرّة أو أكثر من مائة مرّة؛ كان يأتي القبر فيقوم عنده فيقول: السلام على النبي، السلام على أبي بكر، السلام على أبي. وفي «الموطأ» من رواية يحيى بن يحيى الليثي عن ابن عمر: كان يقف على قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيصلّي على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى أبي بكر وعمر. وعن ابن القاسم والقعبي: ويدعو لأبي بكر وعمر. وقال في رواية ابن وهب: يقول المسلم: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. قال في «المبسوط»: ويسلم على أبي بكر وعمر. قال القاضي أبو الوليد الباجي: وعندى أنه يدعو للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بلفظ «الصلاة» ولأبي بكر وعمر؛ لما في حديث ابن عمر من الخلاف. وقال عبدالرزاق في مصنّفه: باب السلام على قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) [٢٣٦]، وروى فيه آثاراً، منها بإسناد صحيح أن ابن عمر كان إذا قدم من سفر، أتى قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه. وروى عبدالرزاق في هذا الباب أيضاً أن سعيد بن المسيّب رأى قوماً يسلمون على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: ما مكث نبي في الأرض أكثر من أربعين يوماً. ثم روى عبدالرزاق فيه قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «مررت بموسى ليلة أسرى بي وهو قائم يصلّي في قبره» [٢٣٧]. [صفحة ١٤٧] كأنه قصد بذلك ردّ ما روى عن ابن المسيّب، وهو ردّ صحيح، وما ورد عن ابن المسيّب ورد فيه حديث نذكره في باب حياة الأنبياء. وقد وروى عن عثمان بن عفان (رضى الله عنه) أنه لمّا حُصر، أشار بعض الصحابة عليه بأن يلحق بالشام فقال: لن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيها. وهو مخالف لما قال ابن المسيّب (رحمه الله) وهو الصحيح، وكذلك ما ذكرناه عن ابن عمر. ثم لو صحّ قول ابن المسيّب، لم يمنع من استحباب زيارة القبر؛ لشرفه بحلولة فيه، ونسبته إليه، كما قال الشاعر: أمر على الديار ديار ليلي أقبل ذا الجدار وذا الجدارا وما حبّ الديار شغفن قلبي ولكن حبّ من سكن الديارا وابن المسيّب (رحمه الله) لم ينكر التسليم، وإنّما ذكر عدم الفائدة. وقال القاضي عياض في «الشفاء» [٢٣٨]: قال بعضهم: رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فوقف فرفع يديه، حتى ظننت أنه افتتح الصلاة، فسلم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم انصرف.

استقبال القبر الشريف عند السلام عليه

وفي «مسند الإمام أبي حنيفة (رحمه الله)» [٢٣٩] تصنيف أبي القاسم طلحة بن محمّد بن جعفر الشاهد العدل، قال: ثنا محمّد بن مخلد، حدّثني محمّد بن يعقوب بن إسحاق ابن حكيم، حدّثني أحمد بن الخليل، حدّثني الحسن، ثنا ابن المبارك، ثنا [صفحة ١٤٨] وهب، عن أبي حنيفة قال: جاء أيوب السخيتاني فدنا من قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاستدبر القبلة، وأقبل بوجهه إلى القبر، فبكى بكاء غير متباك. وقال إبراهيم الحربي في «مناسكه»: تولى ظهر ك القبلة، وتستقبل وسطه - يعنى القبر - وتقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. وقال ابن بطال في «شرح البخاري» قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة» - بعد أن حكى القولين المشهورين - قال: واستدلّ الثاني بقوله: «ارتعوا في رياض الجنة» يعنى حلق الذكر والعلم، قال: ويكون معناه التحريض على زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والصلاة في مسجده، انتهى. ولو استوعبنا الآثار وأقوال العلماء في ذلك،

لخرجنا إلى حدّ الطول والملل.

كراهة مالك لفظ: الزيارة

فإن قلت: قد كره مالك (رحمه الله) أن يقال: «زرنا قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)». قلت: قال القاضي عياض: قد اختلف في معنى ذلك. فقيل: كراهية الأسم؛ لما ورد من قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لعن الله زوّارات القبور». وهذه يرده قوله: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها» وقوله: «من زار قبري...» فقد أطلق اسم «الزيارة». وقيل: لأن ذلك ما قيل: «إنّ الزائر أفضل من المزور». وهذا أيضاً ليس بشيء، إذ ليس كلّ زائر بهذه الصفة، وليس عموماً، وقد ورد في حديث أهل الجنّة «لزيارتهم لرّبهم»، ولم يمنع هذا اللفظ في حقّه والأولى عندي: أن منعه وكراهة مالك له؛ لإضافته إلى قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأنه لو قال: «زرنا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)» لم يكرهه؛ لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» فحمي إضافة هذا اللفظ [صفحة ١٤٩] إلى القبر والتشبيه بفعل أولئك؛ قطعاً للذريعة، وحسماً للباب، والله أعلم. هذا كلام القاضي [٢٤٠]، وما اختاره يشكل عليه قوله: «من زار قبري» فقد أضاف الزيارة إلى القبر، إلا أن يكون هذا الحديث لم يبلغ مالكا، فحيثُذ يحسن ما قاله القاضي في الاعتذار عنه، لا- في إثبات هذا الحكم في نفس الأمر. ولعله يقول: إن ذلك من قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا محذور فيه، والمحذور إنما هو في قول غيره. وقد قال عبدالحق (الصقلي)، عن أبي عمران المالكي: إنّه قال: إنّما كره مالك أن يقال: «زرنا قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)» لأنّ الزيارة من شاء فعلها، ومن شاء تركها، وزيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واجبة- قال عبدالحق: يعني من السنن الواجبة- ينبغي أن لا تذكر الزيارة فيه، كما تذكر في زيارة الأحياء الذين من شاء زارهم، ومن شاء ترك، والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أشرف وأعلى من أن يسمّى أنّه يزار. وهذا الجواب بينه وبين جواب القاضي بون في شيئين: أحدهما: أنّه يقتضى تأكّد نسبة معنى الزيارة إلى القبر، وإن تجنّب لفظها، وجواب القاضي يقتضى عدم نسبتها إلى القبر. والثاني: أنّه يقتضى التسوية في كراهية اللفظ بين قوله: «زرت القبر» وقوله: «زرت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)» وجواب القاضي يقتضى الفرق بينهما. وقد قال أبو الوليد محمد بن رشيد في «البيان والتحصيل»: قال مالك: أكره أن يقال: «الزيارة» لزيارة البيت الحرام، وأكره ما يقول الناس: «زرت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)» وأعظم ذلك أن يكون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يزار. قال محمد بن رشد: ما كره مالك هذا- والله أعلم- إلا من وجه أن كلمة أعلى من كلمة، فلمّا كانت الزيارة تستعمل في الموتى، وقد وقع فيها من الكراهة ما [صفحة ١٥٠] وقع، كره أن يذكر مثل هذه العبارة في النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما كره أن يقال: «أيام التشريق» واستحبّ أن يقال: «الأيام المعدودات» كما قال الله تعالى، وكما كره أن يقال: «العمّة» ويقال: «العشاء الأخيرة» ونحو هذا. وكذلك طواف الزيارة كأنّه يستحبّ أن يسمّى بـ «الإفاضة» كما قال الله تعالى في كتابه فإذا أفَضْتُمْ مِنْ عَرَافَاتٍ فاستحبّ أن يشقّ له الأسم من هذا. وقيل: إنّه كره لفظ «الزيارة» في الطواف بالبيت والمضىّ إلى قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنّ المضىّ إلى قبره (عليه السلام) ليس ليصله بذلك، ولا لينفعه به، وكذلك الطواف بالبيت، وإنّما يفعل تادياً لما يلزمه من فعله، ورغبته في الثواب على ذلك من عند الله عزّوجلّ، وبالله التوفيق، انتهى كلام ابن رشد. وقد وقع فيه كراهية مالك قول الناس: «زرت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)» وهو يرده ما قاله القاضي عياض. فأما كراهية إسناد الزيارة إلى القبر، فيحتمل أن تكون العلّة فيه ما قاله القاضي عياض، ويحتمل أن تكون العلّة ما قاله أبو عمران وابن رشد. وأما إضافة الزيارة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إن ثبت ذلك عن مالك- فيعتين أن تكون العلّة فيه ما قاله أبو عمران وابن رشد. والمختار في تأويل كلام مالك (رحمه الله) ما قاله ابن رشد، دون ما قاله القاضي عياض؛ لأنّ ابن المواز حكى في كتابه في كتاب الحجّ في باب ما جاء في الوداع قال أشهب: قيل لمالك: في من قدم معتمراً، ثمّ أراد أن يخرج إلى رباط، أعليه أن يودّع؟ قال: هو من ذلك في سعه. ثم قال: إنّه لا يعجبني أن يقول أحد: «الوداع» وليس هو من الصواب، وإنّما هو «الطواف» قال الله تعالى وَليَطُوفُوا بِبَيْتِ الْعَتِيقِ. قال: وأكره أن يقال: «الزيارة» وأكره ما يقول الناس: «زرت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)»

عليه وآله وسلم)» [صفحة ١٥١] وأعظم ذلك أن يكون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يزار! وقال مالك في وداع البيت: ما يعرف في كتاب الله ولا سنة رسوله (عليه السلام) «الوداع»، إنما هو «الطواف بالبيت». قلت لمالك: أفترى هذا الطواف الذي يودع به أهو الالتزام؟ قال: بل الطواف، وإنما قال فيه عمر: آخر النسك الطواف بالبيت. قيل لمالك: فالذي يلتزم أترى له أن يتعلّق بأستار الكعبة عند الوداع؟ قال: لا، ولكن يقف ويدعو. قيل له: وكذلك عند قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قال: نعم، انتهى، ما أردت نقله من «الموازية» وهي من أجل كتب المالكية القديمة المعتمد عليها. وسياقة حكاية أشهب عن مالك ترشد إلى المراد؛ وأن مالكاً (رحمه الله) إنما كره اللفظ، كما كرهه في طواف الوداع. أفترى يتوهم مسلم أو عاقل أن مالكاً كره طواف الوداع؟! وانظر في آخر كلام مالك، كيف اقتضى أنه يقف ويدعو عند القبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما يقف ويدعو عند الكعبة في طواف الوداع. فأى دليل أبين من هذا في أن إتيان قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والوقوف والدعاء عنده من الأمور المعروفة، التي لم تزل قبل مالك وبعده؟! ولو عرف مالك (رحمه الله) أن أحداً يتوهم عليه ذلك من هذا اللفظ، لما نطق به! ولا لوم على مالك، فإن لفظه لا إبهام فيه، وإنما يتلبس على جاهل أو متجاهل! [٢٤١]. [صفحة ١٥٢]

عدم كراهة ذلك هو الحق

والمختار عندنا أنه لا يكره إطلاق هذا اللفظ أيضاً؛ لقوله: «من زار قبري» وقد تقدّم الاعتذار عن مالك فيه. ولا يرد عليه قوله: «زوروا القبور» لأن زيارة قبور غير الأنبياء لينفعهم ويصلحهم بها وبالذعاء والاستغفار. ولهذا قال أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمان المالكي المعروف بـ «الشارمسي» في كتاب «تلخيص محصول المدونة من الأحكام» الملقب بـ «نظم الدرر» في كتاب الجامع في الباب الحادي عشر في السفر: إن قصد الانتفاع بالميت بدعة، إلا في زيارة قبر المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) وقبور المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين. وهذا الذي ذكره في الانتفاع بقبور المرسلين صحيح، وكذلك سائر الأنبياء، وأما ما ذكره في غير الأنبياء فستكلم عليه إن شاء الله تعالى في قبور غير الأنبياء. وأما زيارة أهل الجنة لله تعالى، فإن صحّ الحديث فيها! فلا ترد على شيء من المعاني التي قالها عبد الحق وابن رشد؛ لأنها ليست واجبة، فإن الآخرة ليست دار تكليف، وقد انقطع الإلحاق بزيارة الموتى في توهم الكراهة. فقد بان لك بهذا وجه كلام مالك (رحمه الله) وأنه: على جواب القاضى عياض إنما كره زيارة القبر، لا زيارة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). وعلى جواب غيره إنما كره اللفظ فقط، دون المعنى. وكذلك أكثر ما حكيناه من كلام أصحابه أتوا فيه بمعنى الزيارة، دون لفظها. فمن نقل عن مالك «أن الحضور عند قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) - لزيارة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) والسلام عليه والدعاء عنده - ليس بقربة»، فقد كذب عليه. ومن فهم عنه ذلك فقد أخطأ في فهمه وضلّ، وحاشا مالكاً وسائر علماء الإسلام، بل وعوامهم ممن قرأ الإيمان في قلبه. [صفحة ١٥٣]

نسبة المنع من الزيارة إلى أهل البيت

فإن قلت: فقد روى عبد الرزاق في مصنفه [٢٤٢] بسنده إلى الحسن بن الحسن بن علي: أنه رأى قوماً عند القبر فنهاهم، وقال: إن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ حيث ما كنتم، فإن صلواتكم تبلغني». قلت: قد روى القاضى إسماعيل في كتاب «فضل الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)» بسنده إلى علي بن الحسين بن علي - وهو زين العابدين - أن رجلاً كان يأتي كل غداة، فيزور قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويصلي عليه، ويصنع من ذلك ما انتهره عليه علي بن [صفحة ١٥٤] الحسين، فقال له علي بن الحسين: ما يحملك على هذا؟ قال: أحبّ التسليم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه وآله وسلم. فقال له علي بن الحسين: نعم. فقال له علي بن الحسين: أخبرني أبي، عن جدّي أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا تجعلوا قبري عيداً، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ وسلّموا حيث ما كنتم،

فسيبلغني سلامكم وصلاتكم» [٢٤٣]. وهذا الأثر يبين لنا أن ذلك الرجل زاد في الحدّ، وخرج عن الأمر المسنون، فيكون كلام علي بن الحسين موافقاً لما تقدّم عن مالك، وليس إنكاراً لأصل الزيارة، أو يكون أراد تعليمه: أن السلام يبلغ من الغيبة، لما رآه يتكلّف الإكثار من الحضور. وعلى ذلك يحمل ما ورد عن حسن بن حسن وغيره من ذلك. ولم يذكر هذا الأثر ليحتجّ به، بل للتأنيس بأمر يحتمل في ذلك الأثر المطلق، وإبداء وجه من وجوه التأويل. وكيف يتخيل في أحد من السلف منعهم من زيارة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم مجمعون على زيارة سائر الموتى؟! أو سذك ذلك، وما ورد من الأحاديث والآثار في زيارتهم. فالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسائر الأنبياء الذين ورد فيهم أنهم أحياء، كيف يقال فيهم هذه المقالة؟!

حديث: لا تجعلوا بيتي عيداً

وأما قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا تجعلوا قبري عيداً» فرواه أبو داود السجستاني [٢٤٤]، وفي [صفحة ١٥٥] سننه عبد الله بن نافع الصائغ، روى له الأربعة ومسلم. قال البخاري: تعرف حفظه وتنكر. وقال أحمد بن حنبل: لم يكن صاحب حديث؛ كان ضعيفاً فيه، ولم يكن في الحديث بذاك. وقال أبو حاتم الرازي: ليس بالحافظ؛ هو لئيم تعرف حفظه وتنكر. ووثقه يحيى بن معين، وقال أبو زرعة: لا بأس به. وقال ابن عدى: روى عن مالك غرائب، وهو في رواياته مستقيم الحديث [٢٤٥]. فإن لم يثبت هذا الحديث فلا كلام، وإن ثبت - وهو الأقرب - فقال الشيخ زكي الدين المنذري: يحتمل أن يكون المراد به الحث على كثرة زيارة قبره (صلى الله عليه وآله وسلم) وأن لا يهمل حتى لا يزار إلا في بعض الأوقات، كالعيد الذي لا يأتي في العام إلا مرتين. قال: ويؤيد هذا التأويل ما جاء في الحديث نفسه: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً» أي لا تتركوا الصلاة في بيوتكم حتى تجعلوها كالقبور التي لا يصلّى فيها. قلت: ويحتمل أن يكون المراد لا تتخذوا له وقتاً مخصوصاً لا تكون الزيارة إلا فيه، كما ترى كثيراً من المشاهد، لزيارتها يوم معين كالعيد، وزيارة قبره (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس فيها يوم بعينه، بل أي يوم كان. ويحتمل أيضاً أن يراد أن يجعل كالعيد في العكوف عليه، وإظهار الزينة والاجتماع، وغير ذلك مما يعمل في الأعياد، بل لا يؤتى إلا للزيارة والسلام والدعاء، ثم ينصرف عنه. والله أعلم بمراد نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) [٢٤٦]. [صفحة ١٥٧]

في تقرير كون الزيارة قربة

إشارة

وذلك بالكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس: [صفحة ١٥٨]

أما الكتاب العزيز

أمّا الكتاب: فقوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَحِّدُوا اللَّهَ، تَوَابًا رَحِيمًا. دَلَّت الآية على الحث على المجيء إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والاستغفار عنده، واستغفاره لهم، وذلك وإن كان ورد في حال الحياة فهي رتبة له (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تنقطع بموته؛ تعظيماً له. فإن قلت: المجيء إليه في حال الحياة ليستغفر لهم، وبعد الموت ليس كذلك؟ قلت: دلت الآية على تعليق وجدانهم الله تعالى تواباً رحيماً بثلاثة أمور: المجيء، واستغفارهم، واستغفار الرسول. فأما استغفار الرسول: فإنه حاصل لجميع المؤمنين؛ لأنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) استغفر للمؤمنين والمؤمنات، لقوله تعالى: «وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ. ولهذا قال عاصم بن سليمان - وهو تابعي - لعبد الله بن سرجس الصحابي (رضي الله عنه): استغفر لك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فقال: نعم، ولك، ثم تلا هذه الآية، رواه مسلم [٢٤٧]. [صفحة ١٥٩] فقد ثبت أحد الأمور

الثلاثة؛ وهو استغفار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لكل مؤمن ومؤمنة، فإذا وُجِدَ مجيئهم، واستغفارهم؛ تكملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ورحمته. وليس في الآية ما يعين أن يكون استغفار الرسول بعد استغفارهم، بل هي مجمله [٢٤٨]. والمعنى يقتضى بالنسبة إلى استغفار الرسول أنه سواءً تقدّم أم تأخر؟ فإن المقصود إدخالهم لمجيئهم واستغفارهم تحت من يشمله استغفار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). وإنما يحتاج إلى المعنى المذكور إذا جعلنا واستغفروا لهم الرسول معطوفاً على فاستغفروا الله أما إن جعلناه معطوفاً على جأؤوك لم يحتج إليه. هذا كله، إن سلمنا أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يستغفر بعد الموت، ونحن لا نسلم ذلك؛ لما سنذكره من حياته (صلى الله عليه وآله وسلم) واستغفاره لأُمَّته بعد موته. وإذا أمكن استغفاره، وقد علم كمال رحمته وشفقته على أُمَّته، فيعلم أنه لا يترك ذلك لمن جاءه مستغفراً ربّه تعالى. فقد ثبت على كل تقدير أن الأمور الثلاثة المذكورة في الآية، حاصلة لمن يجيء إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) مستغفراً في حياته وبعد مماته. والآية وإن وردت في أقوام معينين في حالة الحياة، فتعمّ بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف في الحياة وبعد الموت. ولذلك فهم العلماء من الآية العموم في الحالتين، واستحبوا لمن أتى إلى قبره (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يتلو هذه الآية، ويستغفر الله تعالى. وحكاية العتبي في ذلك مشهورة، وقد حكاها المصنّفون في المناسك من جميع المذاهب، والمؤرخون، وكلّهم استحسوها، ورأوها من آداب الزائر، وما ينبغي له أن يفعله، وقد ذكرناها في آخر الباب الثالث. [صفحة ١٦٠]

و اما السنة

وأما السنّة: فما ذكرناه في الباب الأوّل والثاني من الأحاديث، وهي أدلّة على زيارة قبره (صلى الله عليه وآله وسلم) بخصوصه، وفي السنّة الصحيحة المتفق عليها الأمر بزيارة القبور. وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها». وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «زوروا القبور، فإنها تذكركم الآخرة». وقال الحافظ أبو موسى الأصبهاني في كتابه «آداب زيارة القبور»: ورد الأمر بزيارة القبور من حديث بريدة، وأنس، وعليّ، وابن عباس، وابن مسعود، وأبي هريرة، وعائشة، وأبي بن كعب، وأبي ذر رضي الله عنهم، انتهى كلام أبي موسى الأصبهاني. فقبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) - سيد القبور - داخل في عموم القبور المأمور بزيارتها. (وأما الإجماع) [٢٤٩]. وأما الإجماع: فقد حكاه القاضي عياض؛ على ما سبق في الباب الرابع [٢٥٠]. وأعلم: أن العلماء مجمعون على أنه يستحب للرجال زيارة القبور، بل قال بعض الظاهرية بوجوبها؛ للحديث المذكور. وممن حكى إجماع المسلمين على الاستحباب أبو زكريا النووي. وقد رأيت في «مصنّف ابن أبي شيبه» [٢٥١] عن الشعبي قال: لولا أن [صفحة ١٦١] رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نهى عن زيارة القبور، لزرت قبر بنتي. وهذا إن صحّ، يحمل على أن الشعبي لم يبلغه الناسخ، مع أن الشعبي لم يصرح بقول له، ومثل هذا لا يقدر. وكذلك رأيت فيه: عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون زيارة القبور [٢٥٢]. وهذا لم يثبت عندنا، ولم يبين إبراهيم الكراهة عمّن؟ ولا كيف هي؟ فقد تكون محمولة على نوع من الزيارة مكروهة. ولم أجد شيئاً يمكن أن يتعلّق به الخصم غير هذين الأثرين [٢٥٣]، ومثلهما لا يعارض الأحاديث الصريحة الصحيحة، والسنن المستفيضة المعلومة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم. بل لو صحّ عن الشعبي والنخعي التصريح بالكراهة، لكان ذلك من الأقوال الشاذّة التي لا يجوز اتباعها والتعويل عليها؛ فإننا نقطع ونتحقّق من الشريعة بجواز زيارة القبور للرجال، وقبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) داخل في هذا العموم. ولكن مقصودنا إثبات الاستحباب له بخصوصه؛ للأدلة الخاصّة، بخلاف غيره ممّن لا يستحبّ زيارة قبره لخصوصه، بل لعموم زيارة القبور، وبين المعنيين فرق كما لا يخفى. فزيارته (صلى الله عليه وآله وسلم) مطلوبة بالعموم والخصوص. بل أقول: إنه لو ثبت خلاف في زيارة قبر غير النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يلزم من ذلك [صفحة ١٦٢] إثبات خلاف في زيارته؛ لأنّ زيارة القبر تعظيم، وتعظيم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) واجب. وأما غيره فليس كذلك.

زيارة النساء للقبور

ولهذا المعنى أقول - والله أعلم - إنه لا فرق في زيارته (صلى الله عليه وآله وسلم) بين الرجال والنساء لذلك، ولعدم المحذور في خروج النساء إليه. وأمّا سائر القبور فمحلّ الإجماع على استحباب زيارتها للرجال. وأمّا النساء ففي زيارتهن أربعة أوجه في مذهبنا: أشهرها: أنّها مكروهة، جزم به الشيخ أبو حامد، والمحاملي، وابن الصبّاح، والجرجاني، ونصر المقدسي، وابن أبي عصرون، وغيرهم. وقال الرافي: إن الأكثرين لم يذكروا سواه. وقال النووي: قطع به الجمهور، وصرّح بأنّها كراهة تنزيه. والثاني: أنّها لا تجوز، قاله صاحب «المهدّب» وصاحب «البيان». والثالث: لا تستحب ولا تكره، بل تباح، قاله الروياني. الرابع: إن كانت لتجديد الحزن والبكاء بالتعديد والنوح - على ما جرت به عاداتهنّ - فهو حرام، وعليه يحمل الخبر، وإن كانت للاعتبار بغير تعديد ولا نياحة كره، إلا أن تكون عجوزاً لا تُستهي فلا تكره، كحضور الجماعة في المساجد، قاله الشاشي، وفرّق بين الرجل والمرأة: بأنّ الرجل معه من الضبط والقوة بحيث لا يبكي ولا يجزع، بخلاف المرأة. واحتجّ المانعون بقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لعن الله زوّارات القبور» رواه الترمذي في حديث أبي هريرة، وقال: حسن صحيح، ورواه ابن ماجه من حديث حسان بن ثابت [٢٥٤]. [صفحة ١٦٣] واحتجّ المجوزون بأحاديث منها: قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها» [٢٥٥]. وأجاب المانعون بأنّ هذا الخطاب للذكور. ومنها: قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) للمرأة التي رآها عند قبر تبكي: «اتقى الله واصبري» ولم ينهها عن الزيارة. وهو استدلال صحيح. ومنها: قوله عائشة: كيف أقول؟ يا رسول الله! قال: «قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين» وسنذكره في خروج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للبقيع. وهو استدلال صحيح.

الاستدلال على استحباب زيارة النبي بالقياس

وقد خرجنا عن المقصود، فنرجع إلى غرضنا: وهو الاستدلال على أنّ زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قرينة. ومما يدلّ على ذلك القياس؛ وذلك على زيارة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) البقيع وشهداء أحد - وسنبيّن أنّ ذلك غير خاصّ به (صلى الله عليه وآله وسلم) بل مستحبّ لغيره - وإذا استحبتّ زيارة [صفحة ١٦٤] قبر غيره (صلى الله عليه وآله وسلم) فقبره أولى؛ لما له من الحقّ ووجوب التعظيم. فإن قلت: الفرق: أنّ غيره يزار للاستغفار له؛ لاحتياجه إلى ذلك، كما فعل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في زيارته أهل البقيع، والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مستغن عن ذلك؟ قلت: زيارته (صلى الله عليه وآله وسلم) إنّما هي لتعظيمه، والتبرّك به، ولتلانا الرحمة بصلاتنا وسلامنا عليه، كما أنّنا مأمورون بالصلاة عليه والتسليم، وسؤال الوسيلة، وغير ذلك ممّا يعلم أنّه حاصل له (صلى الله عليه وآله وسلم) بغير سؤالنا، ولكنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أرشدنا إلى ذلك؛ لنكون بدعائنا له متعرّضين للرحمة التي ربّها الله تعالى على ذلك. فإن قلت: الفرق أيضاً: أنّ غيره لا يخشى فيه محذور، وقبره (صلى الله عليه وآله وسلم) يخشى الإفراط من تعظيمه أن يُعبّد؟ قلت: هذا كلام تقشّر منه الجلود، ولولا خشية اغترار الجهّال به لما ذكرته، فإنّ فيه تركاً لما دلّت عليه الأدلّة الشرعية بالآراء الفاسدة الخيالية، وكيف تقدم - على تخصيص قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «زوروا القبور» وعلى ترك قوله: «من زار قبري وجبت له شفاعتي» وعلى مخالفة إجماع السلف والخلف - بمثل هذا الخيال الذي لم يشهد به كتاب ولا سنّة؟! بخلاف النهي عن اتخاذه مسجداً، وكون الصحابة احترزوا عن ذلك المعنى المذكور؛ لأنّ ذلك قد ورد النهي فيه. وليس لنا نحن أن نشرّع أحكاماً من قبلنا: أمّ لهم شرّكاء شرّعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله. فمن منع زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله! وقوله مردود عليه، ولو فتحنا باب هذا الخيال الفاسد لتركنا كثيراً من السنن، بل ومن الواجبات. والقرآن كلّه، والإجماع المعلوم من الدين بالضرورة، وسير الصحابة والتابعين، وجميع علماء المسلمين، والسلف الصالحين؛ على وجوب تعظيم [صفحة ١٦٥] النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمبالغة في ذلك. ومن تأمل القرآن العزيز، وما تضمّن من التصريح والإيماء إلى وجوب المبالغة في

تعظيمه وتوقيره والأدب معه، وما كانت الصحابة يعاملونه به من ذلك، امتلاً قلبه إيماناً، واحتقر هذا الخيال الفاسد، واستنكف أن يصغى إليه، والله تعالى هو الحافظ لدينه: وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وعلماء المسلمين متكفلون بأن يبينوا للناس ما يجب من الأدب والتعظيم، والوقوف عند الحد الذي لا يجوز مجاوزته؛ بالأدلة الشرعية، وبذلك يحصل الأمن من عبادة غير الله تعالى. ومن أراد الله ضلاله من أفراد الجهال، فلن يستطيع أحد هدايته. فمن ترك شيئاً من التعظيم المشروع لمنصب النبوة؛ زاعماً بذلك الأدب مع الربوبية، فقد كذب على الله تعالى، وضيع ما أمر به في حق رسله. كما أن من أفرط وجاوز الحد إلى جانب الربوبية فقد كذب على رسل الله، وضيع ما أمروا به في حق ربهم سبحانه وتعالى. والعدل حفظ ما أمر الله به في الجانبين. وليس في الزيارة المشروعة من التعظيم ما يفضى إلى محذور [٢٥٦].

اقسام الزيارة

واعلم: أن زيارة القبور على أقسام: [صفحة ١٦٦] القسم الأول: أن تكون لمجرد تذكار الموت والآخرة. وهذا يكفي فيه رؤية القبور من غير معرفة بأصحابها، ولا قصد أمر آخر من الاستغفار لهم، ولا من التبرك بهم، ولا من أداء حقوقهم، وهو مستحب؛ لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «زوروا القبور؛ فإنها تذكركم الآخرة». وذلك لأن الإنسان إذا شاهد القبر تذكّر الموت وما بعده، وفي ذلك عظة واعتبار. وهذا المعنى ثابت في جميع القبور، ودلالة القبور على ذلك متساوية، كما أن المساجد - غير المساجد الثلاثة - متساوية لا يتعين شىء منها بالتعيين بالنسبة إلى هذا الغرض. القسم الثاني: زيارتها للدعاء لأهلها، كما ثبت من زيارة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأهل البقيع. وهذا مستحب في حق كل ميت من المسلمين. القسم الثالث: للتبرك بأهلها إذا كانوا من أهل الصلاح والخير. وقد قال أبو محمّد الشارح المالكى: إن قصد الانتفاع بالميت بدعة، إلا في زيارة قبر المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) وقبور المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين. وهذا الذي استثناه من قبور الأنبياء والمرسلين صحيح. وأما حكمه في غيرهم بالبدعة ففيه نظر، ولا ضرورة بنا هنا إلى تحقيق الكلام فيه؛ لأن مقصودنا أن زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وغيره من الأنبياء والمرسلين للتبرك بهم مشروعة، وقد صرح به. القسم الرابع: لأداء حقهم، فإن من كان له حق على الشخص، فينبغي له برّه في حياته، وبعد موته، والزيارة من جملة البر؛ لما فيها من الإكرام، ويشبه أن تكون زيارة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قبر أمه من هذا القبيل، كما روى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): «أنه زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، فقال: «استأذنت ربي في أن استغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته [صفحة ١٦٧] في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور، فإنها تذكركم الموت» رواه مسلم [٢٥٧]. ويدخل في هذا المعنى الزيارة رحمة للميت ورقته له وتأسيساً، فقد روى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «أنس ما يكون الميت في قبره إذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا». وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن يعرفه في الدنيا فيسلم عليه، إلا عرفه وردّ عليه السلام». ذكره جماعة، وقال القرطبي في «التذكرة»: «إن عبد الحق صححه، ورؤيته في «الخلعيات» من حديث أبي هريرة (رضى الله عنه) أيضاً. والآثار في انتفاع الموتى بزيارة الأحياء، وما يصل إليهم منهم، وإدراكهم لذلك، لا تحصر.

اجتماع الأغراض الشرعية في زيارة النبي خير البرية

إذا عرف هذا، فنقول: زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثبت فيها هذه المعاني الأربعة: أمياً الأول: فظاهر. وأما الثاني: فلا تارة مأمورون بالدعاء له (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن كان هو غيباً بفضل الله عن دعائنا. وأما الثالث والرابع: لأنه لا أحد من الخلق أعظم بركة منه، ولا أوجب حقاً علينا منه، فالمعنى الذي في زيارة قبره لا يوجد في غيره، ولا يقوم غيره مقامه، كما أن المسجد الحرام لا يقوم غيره مقامه، ومن هنا شرع قصده بخصوصه ويتعين، بخلاف غيره من القبور، هذا لو لم يرد في زيارته دليل خاص، فكيف وقد ورد في زيارته بخصوصه ما سبق من الأحاديث! وغيره لم يرد فيه إلا الأدلة العامة. فزيارة قبره (صلى الله عليه وآله وسلم) مستحبة بعينها؛

لما ثبت من الأدلة الخاصة، ولما فيها من [صفحة ١٦٨] المعاني العامة التي لا- تجتمع في غيره. وأمّا زيارة قبر غيره؛ فهي مستحبة بالإطلاق. وقد تقدّمت النصوص الدالة على استحباب زيارة القبور، وحكاية الإجماع على ذلك، وأنّ من الناس من قال بوجوبها. وفي كتاب «النوادر» لابن زيد من «كتاب ابن حبيب»: ولا بأس بزيارة القبور، والجلوس إليها، والسلام عليها عند المرور بها، وقد فعل ذلك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد قدم ابن عمر من سفر وقد مات أخوه عاصم، فذهب إلى قبره فدعا له واستغفر - وفي غير «كتاب ابن حبيب» - ورثاه فقال: فإن تك أحزان وفانض دمعهُ جرين دماً من داخل الجوف منقعات تجرّعتها من عاصم واحتسيتها فأعظم منها ما احتسى وتجرّع عافيت المنايا كنّ خلفن عاصماً فعشنا جميعاً أو ذهبنا معادفنا بك الأيام حتى إذا أتت ترديدك لم نسطع لها عنك مدفعا قال ابن حبيب: وفعلته عائشة رضي الله عنها لما مات أخوها عبدالرحمان وهي غائبة، فلما قدمت أتت قبره، فدعت له واستغفرت. قال: وقد خرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى البقيع يستغفر لهم. وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا سلّم على أهل القبور يقول: «السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، يرحم الله المستقدمين منّا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم ارزقنا أجرهم، ولا تفتننا بعدهم». والقول في ذلك واسع بقدر ما يحضر منه. ويدلّ على التسليم على أهل القبور ما جاء من السنة في التسليم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبي بكر وعمر مقبورين. [صفحة ١٦٩] وقد أتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قبور شهداء أحد، فسلم عليهم، ودعا لهم. ومن «المجموع» عن مالك: أنّه سئل عن زيارة القبور؟ فقال: قد كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نهى عنه، ثمّ أذن فيه، فلو فعله إنسان ولم يقل إلاّ - خيراً، لم أر به بأساً، وليس من عمل الناس. وروى عنه أنّه كان يضعف زيارتها. قال ابن القرظي [٢٥٨]: وإنا أذن في ذلك ليعتبر بها، إلاّ لقادم من سفر، وقد مات وليه في غيبته، فليدع له وليترحم عليه، ويؤتى قبور الشهداء بأحد، ويسلم عليهم، كما يسلم على قبره (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى ضجيعيه، انتهى كلام ابن زيد في «النوادر». وما وقع في كلام ابن حبيب من قوله: «ولا بأس» قد يوهّم أنّه مباح، ولكن ذلك لا ينافي كونه سنّة، ولعلّ زيارة القبور عنده من قبيل عيادة المرضى ونحوها من القربات التي لم توضع بأصلها عبادة؛ على ما سيأتي عند الكلام في نذر الزيارة. وإذا أريد هذا المعنى فلا- يبعد الموافقة عليه، فإنّ زيارة الموتى كزيارة الأحياء، وزيارة الأحياء لا يقول: بأنّها وضعت عبادة، بل تفعل على قصد التقرب تارة، فيثاب عليها، وعلى غير قصد التقرب تارة، فلا يثاب، وتكون إمّا مباحة، أو غير مباحة بحسب قصده، وهكذا زيارة القبور.

جهة القربة في زيارة القبور

وجهة القربة فيها على أنواع: منها: الاعتبار، وهو مستحب لكلّ أحد. ومنها: الترحم والدعاء، وهو مؤكّد لمن مات قريبه في غيبته، كما فعل ابن عمر حين قدم بعد موت أخيه عاصم، وكان ابن عمر إذا قدم وقد مات بعض ولده قال: دلّوني على قبره، فيدلّونه عليه، فينطلق فيقوم عليه، ويدعو له، رواه ابن أبي [صفحة ١٧٠] شيبه [٢٥٩]. وكما فعلته عائشة حين مات أخوها عبدالرحمان، وكان قد مات بالحُبشيّ - والحُبشيّ على اثني عشر ميلاً من مكّة، هكذا في كتاب ابن أبي شيبه عن ابن جريج - فحُمِلَ حتى دُفِنَ بمكّة، فقدمت عائشة من المدينة، فأتت قبره فوفقت عليه، فتمثّلت بهذين البيتين: وكنا كندمانى جذيمة حقه من الدهر حتى قيل: لن يتصدّ عافلماً تفرّقنا كأني ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليلة معاً أيّاً والله لو شهدتك ما زرتك، ولو شهدتك ما دفتك إلاّ في مكانك الذي متّ فيه [٢٦٠]. وروى ابن سعد في «الطبقات» [٢٦١] بسنده إلى ابن أبي مليكة قال: رحمت من منزلي وأنا أريد منزل عائشة، فتلقتني على حمار، فسألت بعض من كان معها. قال: زارت قبر أخيها عبدالرحمان. وفي «السير الكبير» [٢٦٢] لمحمّد بن الحسن تصنيف شمس الأئمة السرخسيّ الحنفيّ: أنّها جاءت من المدينة حاجية أو معتمرة، فزارت قبره. وقال في قولها: «لو شهدتك ما زرتك» إنّما قالت ذلك لإظهار التأسّف عليه حين مات في الغربة، ولإظهار عذرها في زيارته، فإنّ ظاهر قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لعن الله زوّارات القبور» يمنع النساء من زيارة القبور. قال: والحديث وإن كان متأوّلاً، فلحشمه ظاهرة قالت ما قالت، انتهى. [صفحة ١٧١] ومقصودنا: أنّ زيارة ما عدا قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ممّا يثاب الشخص على فعله، وقد يتأكّد بحسب بعض الأحوال، فزيارة القريب أكد

من غيره، وتطلب لمعنى فيه مختص به؛ وهو القرابة، وزيارة غير القريب أيضاً مستحبة؛ للاعتبار والترحم والدعاء، وذلك عام في كل المسلمين، وسيأتي من نصوص المالكية في زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جملة أخرى في الباب السابع [٢٦٣]. وإذا زار قبراً معيناً، يكون مؤدياً للسنة بما تضمنه من زيارة جنس القبور، ولا نقول: إن زيارة ذلك القبر المعين بخصوصه سنة، حتى يرد فيها فضل خاص، أو نعرف صلاحه، فإن زيارة جميع الصالحين قريبه، كما يقولون: إن الصلاة في المسجد مطلوبة، ولا نقول: الصلاة في مسجد بعينه مطلوبة، إلا في الثلاثة التي شهد الشرع بها، ويقوم ما هو الأفضل منها، كالمسجد الحرام عن غيره. وإذا ظهر لك تنظير زيارة القبور بإتيان المساجد، فمتى كان المقصود بالزيارة تذكّر الموت، لا يشرع فيها قصد قبر بعينه، وإن صح عن أحد من العلماء أنه يمنع من شد الرحال إلى زيارة القبور - كما نقل عن ابن عقيل، وكما وقع في «شرح مسلم» - فليحمل على هذا القسم. وكذلك إذا كان المقصود التبرك ممن لا يقطع له بذلك؛ وإن كنا نستحب زيارة قبور الصالحين من حيث الجملة، ونرجو البركة بزيارتها أكثر مما يستحب زيارة مطلق القبور. وأما من يقطع ببركته - كقبور الأنبياء، ومن شهد الشرع له بالجنة، كأبي بكر وعمر - فيستحب قصده. ثم هم في ذلك على مراتب؛ أعظمهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما أن المساجد المشهود لها بالفضل على مراتب، أعظمها المسجد الحرام. ولا تشد الرحال في هذا القسم إلى قبر أحد غير الأنبياء. [صفحة ١٧٢] وإذا كان المقصود الدعاء من غير حق خاص لذلك الميت، فلا يتعين أيضاً. نعم، لو نذر الميت بعينه ممن يجوز الدعاء له، وجب الوفاء بالدعاء؛ لتعلق حقه به، ولا يقوم غيره مقامه، كما لو نذر الصدقة على فقير بعينه. وفي وجوب الوفاء بالزيارة مع الدعاء - كما (لو) نذر - نظراً، والأقرب وجوب الوفاء؛ لأن الدعاء عند القبور مقصود، كما في الدعاء لأهل البقيع، وحينئذ يجوز شد الرحل لأداء هذا الواجب بعد لزومه بالنذر، ولا يستحب شد الرحل لهذا الغرض قبل النذر، فإن الدعاء لذلك الميت بعينه عند قبره لم يطلبه الشارع، ولا تعلق به حق الميت. وأمّا الزيارة لأداء الحق، كزيارة قبر الوالدين، فيظهر أن قصد ذلك بعينه مشروع، ويجوز، بل يستحب شد الرحال إليه؛ تأدية لهذا الحق. وأعظم الحقوق حق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فيستحب شد الرحال إليه لذلك. هذا لو لم يرد فيه دليل خاص، فكيف، وقد قام الإجماع على فعله خلفاً عن سلف؟! فإن قلت: ما قولكم فيمن نذر زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، هل ينعقد نذره ويلزمه ذلك، أم لا؟ فإن مقتضى قولكم باستحبابها أن يلزم بالنذر. قلت: نعم، نقول بانعقاد نذره، ولزوم الزيارة به، وبه صرح القاضي ابن كج من أصحابنا، ولم نر لغيره من الأصحاب خلافه، وقد قدمنا في الباب الرابع [٢٦٤] عن العبدى المالكي لزومه، على أنه لا يلزم أن كل مستحب أو قرينة يلزم بالنذر، فإن القربات نوعان: أحدهما: قرينة لم توضع لتكون عبادة، وإنما هي أعمال وأخلاق مستحسنة، رغب الشارع فيها لعموم فائدها، وقد يتغى فيها وجه الله تعالى فينال الثواب، كعبادة المرضى، وزيارة القادمين، وإفشاء السلام، وما أشبه ذلك. [صفحة ١٧٣] فهذا النوع في لزومه بالنذر وجهان، أحدهما اللزوم؛ لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من نذر أن يطيع الله فليطعه» ومن هذا النوع تشييع الجنائز، وتشميت العاطس. والنوع الثاني: في العبادات المقصودة، وهي التي وضعت للتقرب بها، وعرف من الشرع الاهتمام بتكليف الخلق بإيقاعها عبادة، كالصلاة، والصوم، والصدقة، والحج، فهذا النوع يلزم بالنذر بالإجماع إلا فيما يستثنى. ومنهم من يعبر عن النوع الأول بـ «ما لم يوجب الشرع ابتداء» وعن الثاني بـ «ما أوجبه» وأدرجوا الاعتكاف في النوع الثاني وإن كان لم يجب ابتداء، وقالوا: الاعتكاف لبث في مكان مخصوص، ومن جنسه ما هو واجب شرعاً، وهو الوقوف بعرفات. وجعلوا من النوع الأول تجديد الوضوء، فإنه ليس في الشرع وضوء واجب بغير حدث، وليس الوضوء مقصوداً لنفسه، بل للصلاة، والأصح لزوم تجديده بالنذر. والمستثنى مما أجمع عليه صور: منها: ما إذا أفرد صفة الواجب بالإلزام، كتطويل القراءة، وإقامة الفرائض في جماعة، ففي لزومه بالنذر وجهان، أحدهما اللزوم. ومنها: ما فيه إبطال رخصة شرعية، كنذر صوم رمضان في السفر، ففي لزومه وجهان، أحدهما المنع، وكذلك نذر المريض القيام بتكليف المشقة في الصلاة، ونذر صوم بشرط أن لا يفطر في المرض، فلا يلزم بالشرط، على الأصح. وأجرى الرافعي الوجهين فيمن نذر القيام في النوافل، أو استيعاب الرأس بالمسح، أو التلث في الوضوء، أو أن يسجد للتلاوة والشكر ونحو ذلك، وجعل نذر فعل السنة الراتب - كالوتر، وسنة الفجر - على الوجهين فيما إذا أفردت الصفة بالنذر، والذي يتجه التسوية بين هذا وبين استيعاب الرأس

بالمسح ونحوه. وإذا نذر التيمم، لا ينعقد نذره على المذهب؛ لأنه إنما يؤتى به عند [صفحة ١٧٤] الضرورة. ولو نذر الصلاة في موضع لزمه الصلاة قطعاً، وهل يتعين ذلك الموضع؟ إن كان المسجد الحرام تعين، وإن كان مسجد المدينة تعين على الأصح هو أو المسجد الحرام، وإن كان المسجد الأقصى تعين على الأصح هو أو المسجدان، وإن كان ما سواها من المساجد والمواضع لم يتعين. ولو نذر إتيان المسجد الحرام لزمه، إلا على وجه ضعيف. ولو نذر إتيان مسجد المدينة والمسجد الأقصى، ففيه قولان للشافعي، أظهرهما عند الشافعية عدم اللزوم. قال الشافعي في «الأم» [٢٦٥]: لأن البرّ بإتيان بيت الله فرض، والبرّ بإتيان هذين نافله. واستدلوا لهذا القول بما روى أبو داود في «سننه» [٢٦٦] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رجلاً قام يوم الفتح فقال: يا رسول الله، إنني نذرت لله إن فتح الله عليك مكة أن أصلي في البيت المقدس ركعتين. قال: «صلّ ها هنا». ثم أعاد. قال: «صلّ ها هنا». ثم أعاد عليه. فقال: «صلّ ها هنا». ثم أعاد عليه. فقال: «شأنك إذن». وعن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، عن رجال من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا الخبر، زاد، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «والذي بعث محمداً بالحق، لو صلّيت ها هنا لأجزأ عنك صلاة في البيت المقدس». واعلم: أن الصلاة في مكة تجزئ عن الصلاة في بيت المقدس - كما قدمناه - بلا خلاف. وإن قلنا بتعيينه، فقد يقال: إن الحديث محمول على ذلك، وإنه لا دلالة له فيه [صفحة ١٧٥] على المدعى من عدم لزوم الإتيان. ووجه الدلالة: أن الصلاة في مكة تقوم مقام الصلاة في بيت المقدس؛ لأنهما جنس واحد، والصلاة بمكة أفضل، فالتضعيف الذي ألزمه في بيت المقدس يحصل له في مكة وزيادة، وأما المشى فأمر زائد على الصلاة، وهو عبادة أخرى، فلو لزم لما قامت الصلاة بمكة مقامه، فمن لزمه الصلاة ببيت المقدس من غير مشى - بأن كان وقت النذر ببيت المقدس - فلا شك أن الصلاة بمكة تجزيه. ومن نذر المشى إلى بيت المقدس والصلاة فيه، فهما عبادتان، فإن قلنا بعدم لزوم إتيانه لم يبق عليه إلا الصلاة، فتجزيه الصلاة بمكة، وإن قلنا يجب إتيانه فيظهر أن الصلاة لا تقوم مقامه، ولو مشى إلى مكة - من مسافة - مثل المسافة التي بينه وبين بيت المقدس - أجزاء. وصيغة الحديث، كما رؤينا، لم تصرح فيه بإتيان بيت المقدس، فيحتمل أن يقال: إنما التزم الصلاة، فلذلك قامت الصلاة في مكة مقامها. ويحتمل أن يقال: إن الناذر لما لم يكن في بيت المقدس، فهو بنذره للصلاة ملتزم بإتيانه؛ بناءً على أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وحينئذ يكون الإتيان ملتزماً، لو صرح به، فلما أفناه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالصلاة في مكة، دلّ على عدم لزوم الإتيان بالنذر، كما استدلل به الشافعي والأصحاب. وقد أطلنا في هذا الفصل أكثر ممّا يحتمله هذا المكان، وظهر لك منه أن القربات: منها: ما يلزم بالنذر بلا خلاف. ومنها: ما يلزم على الصحيح. ومنها: ما لا يلزم على الصحيح. وظهر لك مأخذ كل قسم منها، والصحيح عندنا أنه لا يشترط في المنذور أن يكون جنسه واجباً، وهو مذهب مالك، والوجه الثاني لأصحابنا اشتراطه، وينقل [صفحة ١٧٦] عن أبي حنيفة.

زيارة قبر النبي قرية

إذا عرفت هذا، فزيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قرية؛ لحث الشرع عليها، وترغيبه فيها، وقد قدمنا أن فيها جهتين: جهة عموم، وجهة خصوص: فأما من جهة الخصوص وكون الأدلة الخاصة وردت فيها بعينها، فيظهر القطع بلزومها بالنذر؛ إلحاقاً لها بالعبادات المقصودة التي لا يؤتى بها إلا على وجه العبادة، كالصلاة، والصدقة، والصوم، والاعتكاف. ولهذا المعنى - والله أعلم - قال القاضي ابن كعب (رحمه الله): إذا نذر أن يزور قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فعندى أنه يلزمه الوفاء وجهاً واحداً، ولو نذر أن يزور قبر غيره ففيه وجهان. قلت: وما قاله من القطع بلزوم الوفاء بها هو الحق؛ لما قدمناه من الأدلة الخاصة عليها، وتردده في قبر غيره: يحتمل أن يكون محلّه عند الإطلاق، وسواء لو عتّن أم لا؟ تشبيهاً لذلك بزيارة القادمين، وإفشاء السلام، ونحو ذلك ممّا لم يوضع قرية مقصودة وإن كان قرية، وعلى هذا يكون الأصح لزومه بالنذر، كما في تلك المسائل. ويحتمل أن يكون محلّه عند التعيين، فإن زيارة قبر معين من غير الأنبياء لا قرية فيها بخصوصها، كما سبق عند الكلام في أغراض الزيارة. وأما إذا نظرنا إلى زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من جهة العموم خاصة، واجتماع المعاني التي تقصد بالزيارة فيه، فيظهر أن يقال أيضاً: إنه يلزم بالنذر قولاً واحداً. ويحتمل على

بُعِد أن يقال: إنه كما لو نذر زيارة القادمين وإفشاء السلام، فيجری في لزومها بالنذر ذلك الخلاف، مع كونها قرية في نفسها قبل النذر وبعده. وقد بان لك بهذا: أنها تلزم بالنذر، وأنه على تقدير أن يقال: «لا تلزم بالنذر»، [صفحة ١٧٧] لا يخرجها ذلك عن كونها قرية. ومن يشترط في المنذور أن يكون ممًا وجب جنسه بالشعر، ويقول: إن الاعتكاف كذلك؛ لوجوب الوقوف، فقد يقول: إن زيارة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وجب جنسها، وهي الهجرة إليه في حياته. فقد ظهر بهذا: أن كل ما يلزم بالنذر قرية، وليس كل قرية تلزم، وزيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من القرب التي تلزم بالنذر، ولو ثبت عن أحد من العلماء أنه يقول: «لا تلزم بالنذر»، لم يكن في ذلك ما يقتضى أنه يقول: إنها ليست بقرية. وقد وقفت على كلام بعض المتعصبين للباطل قال فيه: إن القاضي إسماعيل قال في «المبسوط»: إنه روى عن مالك: أنه سئل عن نذر أن يأتي قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فليأته، وليصل فيه، وإن كان إنما أراد القبر فلا يفعل؛ للحديث الذي جاء «لا تعمل المطى إلا إلى ثلاثة مساجد». وهذه الرواية - إن صححت عن مالك! - يجب تأويلها على وجه لا يمنع كون الزيارة قرية؛ جمعاً بينها وبين ما ثبت عنه وعن جميع العلماء وجميع المسلمين. وهذه الرواية تحتل وجوهاً: أحدها: أن تكون من القرب التي لا تلزم بالنذر، كما أن إتيان مسجد قباء لمن كان في المدينة أو قريباً منها قرية عند جميع العلماء، ولا يلزم بالنذر عند جمهور العلماء، إلا ما روى عن محمد بن مسلمة المالكي: أنه قال بلزومه بالنذر. الثاني: الجواب المذكور، ولكن بالنسبة إلى البعيد خاصة، كما دل عليه بقيّة الكلام من الاستدلال بالحديث الذي جاء: «لا تعمل المطى إلا إلى ثلاثة مساجد» فيكون المراد أنه إذا نذر السفر إليه لا يلزم، ولا يمنع ذلك كون السفر إليه قرية بغير النذر، كمسجد قباء في حق القريب عند غير محمد بن مسلمة، ولا يمنع أيضاً من لزوم الزيارة في حق القريب، كما قاله محمد بن مسلمة في مسجد قباء، وهذا الوجه هو أقرب التأويلات على قواعد مالك رحمه الله تعالى. [صفحة ١٧٨] قال في «التهذيب للمسائل المدونة»: من قال: «علی أن آتی المدینة» أو «بيت المقدس» أو «المشى إلى المدینة» أو «بيت المقدس» فلا يأتها حتى ينوي الصلاة في مسجديهما، أو يسميها فيقول: «إلى مسجد الرسول» أو «مسجد إيلياء» وإن لم ينو الصلاة فيهما فليأتها راكباً، ولا هدى عليه، وكأنه لما سماهما قال: «الله على أن أصلي فيهما». ولو نذر الصلاة في غيرهما من مساجد الأمصار، صلى بموضعه، ولم يأتها. ومن نذر أن يربط أو يصوم بموضع يتقرب بإتيانه إلى الله تعالى - كعسقلان والإسكندرية - لزمه ذلك فيه، وإن كان من أهل مكة والمدينة، ولا يلزم المشى إلا من قال: «علی المشى إلى مكة» أو «بيت الله» أو «المسجد الحرام» أو «الكعبة» أو «الحجر» أو «الركن» انتهى كلام «التهذيب». وهو يدل على أنه إنما يلزم إتيان المدينة إذا سمى مسجدها، أو نوى الصلاة فيه، فما عدا هذا لا يلزم بالنذر، وإن كان قرية. الثالث: إننا قدّمنا أن زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مطلوبه بالخصوص؛ للأحاديث التي صدّرتنا بها هذا الكتاب، ولعمل السلف والخلف، ومطلوبه بالعموم؛ لاندراجها تحت الأحاديث الصحيحة المشهورة في زيارة القبور. واللزوم بالنذر ظاهر من الجهة الأولى، وأما من الجهة الثانية، فقد قدّمنا أن مقاصد الزيارة متعدّدة، وزيارة القبور - من حيث الجملة - كزيارة القادمين، وقد قدّمنا في لزوم زيارة القادمين بالنذر خلافاً مع القطع بكونها قرية، وزيارة القبور - من حيث الجملة - مثله. وزيارة قبر معين إن قصد بها الدعاء له أو أداء حقه، ظهر اللزوم؛ لحق الميت، وإن قصد التبرك ظهر اللزوم أيضاً في قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتعيينه دون غيره، وإن قصد الاعتاظ لم يتعين، وكان لزوم أصل الزيارة على الخلاف، وإن لم يقصد شيئاً فأبعد عن اللزوم. [صفحة ١٧٩] والسائل لمالك (رحمه الله) إنما ذكر مجرد الإتيان، فلعل مالكاً لم يلزمه لذلك، ولعل مالكاً (رحمه الله) لم تبلغه الأحاديث الخاصّة الواردة في زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على الخصوص، وإنما يدرجه تحت الأحاديث الواردة في زيارة القبور، وإن كان هو أشرفها وأحقّها بالزيارة، ولا يلزمه بالنذر لذلك في حقه، ولا في حق غيره. الرابع: أن إتيان القبر قد يقصد زيارة من فيه، وهو الذي نقول: بأنه قرية، وهو الذي يقصده الناس غالباً. وقد يقصد زيارة المكان في نفسه لشرفه، وهذا لا نقول بأنه قرية إلا فيما شهد الشرع به، فلعل مالكاً (رحمه الله) أجاب على ذلك. ويدل على أن هذا مراده استدلاله بالحديث الذي جاء «لا تعمل المطى إلا إلى ثلاثة مساجد». وسنبيّن بياناً واضحاً: أن الحديث إنما هو في السفر للأمكنة، لا للمقاصد التي فيها، ومالك أجل وأعلم وأوسع باعاً وأعلى كعباً من أن يخفى عليه ذلك، فاستدلّ به يدل على أنه

أراد المكان، فيكون مراده أن زيارة القبر من حيث هو تلك البقعة ليس بقربة، وهو يوافق ما حمل القاضي عياض عليه قوله: «زرت قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)». وحينئذ فإمّا أن نوافق مالكاً (رحمه الله) على ذلك؛ عملاً بقوله (رحمه الله): «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» ويحمل قوله: «من زار قبري» على أن المراد من زارني في قبري، كما هو الظاهر المتبادر إلى الفهم. وأما إن يقال: إن زيارة قبره أيضاً قربة بقوله: «من زار قبري» وهذا أخص من قوله: «لا تشد الرحال» فيخص به. إلا أن كلاً منهما أعم وأخص من وجه، فلا يقضى بتخصيص أحدهما للآخر. والأولى أن المراد بقوله: «من زار قبري»: من زارني في قبري، ويكون قصد [صفحة ١٨٠] البقعة نفسها ليس بقربة، كما اقتضاه كلام مالك (رحمه الله). فقد بان بهذا معنى كلام مالك (رحمه الله)، وأنه ليس فيه ما يقتضى أن الزيارة ليست بقربة، ولا أن السفر إليها ليس بقربة، بل هي قربة عند جميع العلماء، ولهذا لو نذر الإتيان إلى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قلنا: بأنه يلزمه، وأنه يشترط ضم قربة إلى الإتيان، قال الشيخ أبو علي السنجى من أصحابنا: إنه يكتفى بالزيارة، وقال الرافعي: إنه الظاهر، وتوقف فيه الإمام؛ من جهة أن الزيارة لا تتعلق بالمسجد وتعظيمه، وليس توقفه لكون الزيارة ليست قربة، هذا لم يقله أحد. وقد قدمنا في الباب الرابع [٢٦٧] من كلام العبدى المالكي التصريح بأن المشى إلى المدينة للزيارة، أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس. [صفحة ١٨٢]

في كون السفر إليها قربة

إشارة

وذلك من وجوه: أحدها: الكتاب العزيز: في قوله تعالى: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ... الآية. وقد تقدم تقريرها في الباب الخامس [٢٦٨]. والمجىء صادق على المجيء من قرب ومن بعد، بسفر وبغير سفر. ولا يقال: إن جأؤوك مطلق، والمطلق لا دلالة له على كل فرد، وإن كان صالحاً لها. لأننا نقول: هو في سياق الشرط فيعم، فمن حصل منه الوصف المذكور وجد الله تواباً رحيماً. الثاني: السنة: من عموم قوله: «من زار قبري» فإنه يشمل القريب والبعيد، والزائر عن سفر وعن غير سفر، كلهم يدخلون تحت هذا العموم، لا سيما قوله في الحديث الذي صححه ابن السكن: «من جاءني زائراً لا عمله حاجة إلا زيارتي» [٢٦٩] فإن هذا ظاهر في السفر، بل في تمحيض القصد إليه، وتجريده عما سواه. وقد تقدم [٢٧٠] أن حالة الموت مرادة منه إمّا بالعموم، وإمّا أنها هي المقصود. والثالث: من السنة أيضاً: لنصها على «الزيارة» ولفظ «الزيارة» يستدعي الانتقال من مكان الزائر [صفحة ١٨٣] إلى مكان المزور، كلفظ «المجىء» الذي نصت عليه الآية الكريمة. فالزيارة إمّا نفس الانتقال من مكان إلى مكان بقصدها، وإمّا الحضور عند المزور من مكان آخر. وعلى كل حال لا بد في تحقيق معناها من الانتقال، ولهذا إن من كان عند الشخص دائماً لا يحصل الزيارة منه، ولهذا تقول: «زرت فلاناً من المكان الفلاني» وتقول: «زرنا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من مصر» أو «من الشام» فتجعل ابتداء زيارتك من ذلك المكان، فالسفر داخل تحت اسم الزيارة من هذا الوجه. فإذا كانت كل زيارة قربة، كان كل سفر إليها قربة. وأيضاً: فقد ثبت خروج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من المدينة لزيارة القبور، وإذا جاز الخروج إلى القريب جاز إلى البعيد. فمما ورد في ذلك: خروجه إلى البقيع، كما هو ثابت في الصحيح، وقد ذكرته في الباب السابع من هذا الكتاب [٢٧١]. وخروجه (صلى الله عليه وآله وسلم) لقبور الشهداء روى أبو داود في سننه [٢٧٢] عن طلحة بن عبيد الله قال: خرجنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نريد قبور الشهداء، حتى إذا أشرفنا على حرة واقم، فلما تدلينا منها فإذا قبور مجنبة [٢٧٣]، قال قلنا: يا رسول الله، أقبور إخواننا هذه؟ قال: «قبور أصحابنا». فلما جئنا قبور الشهداء قال: «هذه قبور إخواننا». وإذا ثبت مشروعيتها الانتقال إلى قبر غيره، فقبره (صلى الله عليه وآله وسلم) أولى. [صفحة ١٨٤] الرابع: الإجماع: لإطباق السلف والخلف، فإن الناس لم يزالوا في كل عام إذا قضاوا الحج يتوجهون إلى زيارته (صلى الله عليه وآله وسلم) ومنهم من يفعل ذلك قبل الحج، هكذا شاهدناه، وشاهده من قبلنا، وحكاها العلماء عن الأعصار القديمة، كما ذكرناه في الباب الثالث،

وذلك أمر لا يرتاب فيه، وكلهم يقصدون ذلك، ويعرجون إليه وإن لم يكن طريقهم، ويقطعون فيه مسافة بعيدة، وينفقون فيه الأموال، ويبدلون فيه المهج، معتقدين أن ذلك قرينة وطاعة. وإطباق هذا الجمع العظيم من مشارق الأرض ومغاربها على ممر السنين - وفيهم العلماء والصلحاء وغيرهم - يستحيل أن يكون خطأ، وكلهم يفعلون ذلك على وجه التقرب به إلى الله عز وجل. ومن تأخر عنه من المسلمين فإتماً يتأخر بعجز، أو تعويق المقادير، مع تأسفه عليه، وودّه لو تيسر له. ومن ادعى أن هذا الجمع العظيم مجمعون على خطأ، فهو المخطيء. فإن قلت: إن هذا ليس مميّاً يسلمه الخصم؛ لجواز أن يكون سفرهم ضمّ فيه قصد عبادة أخرى إلى الزيارة، بل هو الظاهر، كما ذكر كثير من المصنّفين في المناسك: أنه ينبغي أن ينوى مع زيارته التقرب بالتوجه إلى مسجده (صلى الله عليه وآله وسلم) والصلاة فيه. والخصم ما أنكر أصل الزيارة، إنّما أراد أن يبين كيفية الزيارة المستحبة، وهي أن تضمّ إليها قصد المسجد، كما قاله غيره. قلت: أمّا المنازعة فيما يقصده الناس [٢٧٤]، فمن أنصف من نفسه، وعرف ما الناس عليه، علم أنّهم إنّما يقصدون بسفرهم الزيارة من حين يعرجون إلى طريق [صفحة ١٨٥] المدينة، ولا يخطر غير الزيارة من القربات إلاّ ببال قليل منهم، ثمّ مع ذلك: هو مغمور بالنسبة إلى الزيارة في حقّ هذا القليل، وغرضهم الأعظم هو الزيارة، حتّى لو لم يكن ربّما لم يسافروا، ولهذا قلّ القاصدون إلى بيت المقدس مع تيسر إتيانه وإن كان في الصلاة فيه من الفضل ما قد عرف. فالمقصود الأعظم في المدينة الزيارة، كما أن المقصود الأعظم في مكّة الحجّ أو العمرة، وهو المقصود - أو معظم المقصود - من التوجه إليها. وإنكار هذا: مكابرة، ودعوى كون هذا الظاهر أشدّ. وصاحب هذا السؤال إن شكّ في نفسه، فليسأل كلّ من توجه إلى المدينة، ما قصد بذلك؟ وأمّا ما ذكره المصنّفون في المناسك، فإنّهم لم يريدوا به أنه شرط في كون السفر للزيارة قرينة! ما قال هذا أحد منهم، ولا توهمه، ولا اقتضاه كلامه، وإنّما أرادوا أنه ينبغي أن يقصد قرينة أخرى ليكون سفرًا إلى قربتين، فيكثر الأجر بزيادة القرب، حتّى لو زاد من قصد القربات زادت الأجور، كأن يقصد مع ذلك زيارة شهداء أحد، وغير ذلك من القرب التي هناك. وأرادوا بالتنبيه على ذلك: أنه قد يتوهم أن قصد قرينة أخرى، قاذح في الإخلاص في نية الزيارة، فتهبوا بذلك على هذا المعنى. ولهذا قال أبو عمرو ابن الصلاح: ولا يلزم من هذا خلل في زيارته على ما لا يخفى. فمن تخيل أن مرادهم: أن شرط كون سفر الزيارة قرينة ضمّ قصد قرينة أخرى إليه، فقد أخطأ خطأ لا يخفى على أحد ممّن له فهم. وقوله: «إنّ الخصم إنّما أراد أن يبين كيفية الزيارة المستحبة، وهو أن يضمّ إليها قصد المسجد، كما قاله غيره». إنّ غيره لم يقل ذلك، ولا دلّ عليه كلامه، ولا أراد. [صفحة ١٨٦] الخامس: أن وسيلة القرينة قرينة: فإنّ قواعد الشرع كلّها تشهد بأنّ الوسائل معتبرة بالمقاصد. قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «ألا- أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا، وترفع به الدرجات؟». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط» رواه مسلم [٢٧٥]. والخطى إلى المساجد إنّما شرفت لكونها وسيلة إلى عبادة. وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثمّ خرج إلى المسجد لا تخرجه إلاّ الصلاة، لم يخط خطوة إلاّ رفعت له بها درجة، وحطّ عنه بها خطيئة» رواه البخاريّ ومسلم [٢٧٦]. وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «أعظم الناس أجراً في الصلاة، أبعدهم فأبعدهم ممشي» رواه البخاريّ ومسلم [٢٧٧]. وقال رجل: ما يسرّني أن منزلي إلى جنب المسجد، إنّي أريد أن يكتب ممشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «قد جمع الله لك ذلك كلّ» رواه مسلم [٢٧٨]. وقال جابر: كانت ديارنا نائية من المسجد، فأردنا أن نبيع بيوتنا فنقرب من المسجد، فنهانا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: «إنّ لكم بكلّ خطوة درجة» رواه مسلم [٢٧٩]. [صفحة ١٨٧] وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «من تطهّر في بيته، ثمّ مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضى فريضته من فرائض الله، كانت خطواته إحداهما تحطّ خطيئته، والأخرى ترفع درجة» رواه مسلم [٢٨٠]. وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «من غدا إلى المسجد أو راح، أعدّ الله له نزلاً - كلّما غدا أو راح» رواه البخاريّ ومسلم [٢٨١]. وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة، فأجره كأجر الحاجّ المحرم، ومن خرج إلى تسيح الضحى لا ينصبه إلاّ - إياه فأجره كأجر المعتمر» رواه أبو داود [٢٨٢]. وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة» رواه أبو داود والترمذيّ وابن ماجه

[٢٨٣]. وفي رواية: «أولئك الخواضون في رحمة الله». وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «من غسل واغتسل، وغدا وابتكر، ودنا من الإمام ولم يبلغ، كان له بكل خطوة عمل سنة صيامها وقيامها» رواه أبو داود [٢٨٤]. وفي رواية: «ومشى ولم يركب». وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «من أتى أخاه المريض عائداً مشى في مخرقة [٢٨٥] الجنة حتى [صفحة ١٨٨] يجلس، فإذا جلس غمرته الرحمة» [٢٨٦]. وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «من عاد مريضاً أو زار أحاً له في الله، ناداه مناد من السماء: أن طبت وطاب ممشاك، وتبوات من الجنة منزلاً» رواه الترمذى وابن ماجه [٢٨٧]. وقال الترمذى: حسن غريب. فهذه الأحاديث كلها تدل على أن وسائل القربة قربة، وكيف يتأتى نزاع في ذلك والشريعة كلها طافحة به؟ والقرآن ناطق به؟! قال تعالى: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ - وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَيَّغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [٢٨٨]. فهذه الأمور كلها إنما كتبت لهم وكتب لهم بها أجر؛ لأنها وسيلة إلى الجهاد في سبيل الله، بل الجهاد نفسه إنما شرف لكونه سبباً لإعلاء كلمة الله. وكذلك جميع ما طلبه الشرع مما هو معقول المعنى، فهو وسيلة لذلك المعنى المعقول منه، وبسببه طلب. وقد نقل الأصوليون الإجماع على أن من مشى من مكان بعيد حتى حج، كان أفضل ممن حج من مكة. وفي الحديث عن الله تعالى: «يعني ما يتحمل المتحملون من أجلي» [٢٨٩]. [صفحة ١٨٩] ولا شك أن المتوسل إلى قربة بمباح فيه مشقة - كالسفر وغيره - متحمل لتلك المشقة من أجل الله تعالى، فهو بعين الله تعالى، والله ناظر إليه، وجازيه على سعيه. بل المباح الذي لا مشقة فيه، وفيه راحة للنفس، إذا قصد به التوصل إلى قربة، حصل له به أجر، كمن نام ليتقوى على قيام الليل، أو أكل ليتقوى على الطاعة، ولهذا ورد في الأثر: «إني أحتسب نومتي كما احتسب قومتي» [٢٩٠]. وتكلم العلماء في أن الثواب في هذا القسم على القصد خاصة، أو على الفعل؟ والأقرب: الثاني، ويشهد له قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحديث الصحيح: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله - حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك إلا - ازددت رفعة ودرجة» [٢٩١]. فهذا يشهد لأنه يؤجر على المباح، إذا اقترن بالتيه. وكذلك الحديث الصحيح «إنه يضع شهوته في الحلال، وله فيها أجر»

اقسام العبادات

وحاصلها: أن العبادات أربعة أقسام: أحدها: ما وضعه الشرع عبادة إما تعبدًا، وإما لمعنى يحصل بها، كالصلاة، [صفحة ١٩٠] والصوم، والصدقة، والحج، فهذا متى صح كان قربة، ولا يمكن وجوده شرعاً على غير وجه القربة. وثانيها: ما طلبه الشرع من مكارم الأخلاق، كإفشاء السلام ونحوه؛ لما فيه من المصالح، وهذا مقصود الشارع، فإذا وجد منه الامتثال كان قربة، وإن وجد بدونها كان من جملة المباحات. وثالثها: ما لا يستقل بتحصيل مصلحة، ولا يفعل إلا على وجه التوصل به إلى غيره، كالمشى ونحوه، فهذا لا يقع غالباً إلا على وجه الوسيلة، فيكون بحسب ما يقصد به؛ إن قصد به حرام كان حراماً، أو مباح كان مباحاً، أو قربة كان قربة، وإن وقع من المكلف لا - بقصد أصلاً كان عبثاً، فيكون مكروهاً. ولا نزاع في هذا القسم أنه إذا قصد به القربة كان قربة، وهو القسم الذي نحن بصدده، وتصدينا لتقرير كونه قربة. ورابعها: ما وضع مباحاً مقصوداً لتحصيل المصالح الدنيوية، كالأكل والشرب والنوم لمصلحة الأبدان، فهذا إن حصل بغير تية أو بتية دنيوية، كان مستوى الطرفين، وإن حصل بتية دنيوية، حصل الأجر إما على التية وحدها، كما ذكره بعض العلماء، وإما على التية مع الفعل، وهو الحق لما سبق. وهذا القسم الرابع أخفض رتبة من الوسيلة، كما أن الوسيلة أخفض رتبة من القسمين الأولين. فقد تقرّر بهذا: أن وسيلة القربة قربة، والسفر بقصد الزيارة وسيلة إليها، فتكون قربة. فإن قلت: قد يقول الخصم: الزيارة قربة في حق القريب خاصة، أما البعيد الذي يحتاج إلى سفر فلا، وحينئذ لا يكون السفر إليها وسيلة إلى قربة في حقه، وإنما تكون الوسيلة قربة إذا كانت يتوصل بها إلى قربة مطلوبة من ذلك الشخص المتوسل. [صفحة ١٩١] قلت: الزيارة قربة مطلقاً في حق القريب والبعيد، فإن الأدلة الدالة عليها غير مفصلة، ومن ادعى تخصيص العام بغير دليل قطعنا بخطئه. فإن قلت: فالصلاة مطلقاً قربة،

والسفر إليها ليس بقربة إلا إلى المساجد الثلاثة. قلت: قد يكون الشيء قربة، وانضمامه إلى غيره ليس بقربة، فالصلاة في نفسها قربة، وكونها في مسجد بعينه غير الثلاثة ليس بقربة، فالسفر إليه وسيلة إلى ما ليس بقربة. فإن قلت: لو كانت وسيلة القربة قربة مطلقاً، لكان النذر قربة؛ لأنه وسيلة إلى إيقاع العبادة واجبة، والواجب أفضل من النفل، والنذر مكروه؛ لأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نهى عن النذر وقال: «إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل» [٢٩٢]. قلت: جعل النفل فرضاً ليس بقربة، بل هو مكروه؛ لما فيه من الخطر والتعرض للإثم بتقدير الترك، ووقوع العبادة ممكن بغير النذر، فلم يحصل بالنذر إلا التعرض للخطر والحرج. على أننا نقول: إن وسيلة القربة قربة من حيث هي موصلة لذلك المطلوب، وقد يقترن بها أمر عارض يخرجها عن ذلك، كمن مشى إلى الصلاة في طريق مغصوب، والمدعى أن الفعل إذا كان مباحاً ولم يقترن به إلا قصد القربة به، كان قربة، وهذا لا يستثنى منه شيء. فإن قلت: كيف تجزمون بهذا، وقد اشتهر خلاف الأصوليين في أن الأمر بالشيء أمر بما لا يتم إلا به، أو لا؟! ومقتضى ذلك أن يجري خلاف، أن وسيلة المندوب هل هي مندوبة، أو لا؟ قلت: سنين في آخر الكلام أن كون الفعل قربة، أعظم من كونه مأموراً به. [صفحة ١٩٢] ونبدأ أولاً بالكلام على كون هذا السفر مأموراً به أمر نذب: فنقول: ما لا يتم المأمور به إلا به ينقسم إلى شرط في وجوده، وإلى ما هو تابع يشترط للعلم بوجوده، كغسل جزء من الرأس للعلم بغسل الوجه، والخلاف في القسم الثاني قوى، وليس مما نحن فيه. وأما القسم الأول - وهو ما كان شرطاً أو سبباً لوجود المأمور به، كالذي نحن فيه، ونعبر عنه بـ «المقدمة» - فالجمهور على أنه مأمور به واجب؛ لوجوب المقصد، وخالف في ذلك فريقان من الأصوليين: فرقة خالفوا في الشرط، ولم يخالفوا في السبب. وفرقة خالفوا في الشرط والسبب جميعاً. وربما نقل الخلاف في ذلك عن الواقفية؛ وأنهم لم يجزوا في ذلك بشيء، بل توقفوا على عادتهم، وربما نقل الجزم بعدم الوجوب. وكلا القولين: إن أخذ بالنسبة إلى دلالة اللفظ؛ وأن دلالة لفظ الأمر بالمقصد قاصرة عن دلالة على الأمر بالمقدمة، فيسهل الأمر فيه، ولا يمنع عدم دلالة غيره، ولا ينفي ذلك كون مقدمة المأمور به مأموراً بها لدليل عقلي. وإن أخذ بالنسبة إلى أنه إذا ترك يعاقب على ترك المقصد خاصية، ولا يعاقب على ترك المقدمة، فقريب أيضاً، ولكنه إنما يبقى الوجوب لا النذب، وكلامنا في النذب. وإن أخذ بالنسبة إلى أن المشروط الذي ورد الأمر به مطلقاً، لا يجب إلا عند وجود شرطه، كما صرح به بعض متأخري الأصوليين، فهذا قول باطل لم يتحقق القول به عن أحد من الأئمة المعتمد على كلامهم، وقواعد الشريعة تقطع بطلانه، ولا شك أن الأئمة المعترين الذين هم أئمة الفتيا على خلافه. ومستند من فرق بين السبب والشرط: أن إيجاب المسبب لو كان مقيداً بحال [صفحة ١٩٣] وجود السبب، لكان إيجاباً لتحصيل الحاصل؛ لأن المسبب حاصل مع السبب، بخلاف الشرط. وقد أطلنا في ذلك، والمقصود أن الزيارة إذا كانت مندوبة في حق البعيد، والسفر شرط لها، كان مندوباً، وهذا لم يحصل فيه نزاع بين العلماء. فإن قلت: هل يقولون إن كل سفر للزيارة مندوب، أو مطلق السفر لها؟ قلت: قد تقرّر في أصول الفقه أن الأمر بالماهيّة الكليّة ليس أمراً بشيء من جزئياتها، ولكنه مأمور بجزئى من الجزئيات لا بعينه؛ لأنه لا يتحقق الإتيان بالكلى بدونه، وهو مخير في تعيين ذلك الجزئى، فإذا أتى بجزئى معين خرج عن عهده الأمر وتقول: إنه أتى بالمأمور به؛ وهو الكلى والجزئى لا بعينه، وأما هذا الجزئى المعين فلا تقول: إنه مأمور به، لأنه مخير فيه، ولكنه قربة وطاعة؛ لأنه فعل لامثال الأمر. فكل سفر يقع بقصد الزيارة، ولم يقترن به قصد محرم أو مكروه، فهو قربة؛ لكونه موصلاً إلى قربة، وبه يحصل أداء السفر المأمور به؛ لأنه حاصل في ضمن ذلك المشخص، ولا تقول: إن ذلك المشخص هو المأمور به؛ لأن الأمر إنما يتعلق بكلى، وهذا جزئى، لكنه قربة؛ لكونه قصد به القربة، ووسيلة إليها. فالقربة تصدق على الكلى والجزئى، والطلب لا يتعلق إلا بكلى، والسفر المعين وسيلة إلى الزيارة، وليس شرطاً فيها، ومطلق السفر للزيارة وسيلة وشرط، ومطلق السفر شرط، وقد لا يقصد به التوسل، فلا يسمى «وسيلة».

بين المقدمة و الوسيلة

فإن قلت: هل المقدمة هي الوسيلة، أو غيرها؟ قلت: المقدمة ما يتوقف عليها الشيء، وقد علمت خلاف الأصوليين في أنها هل تجب

بوجوب ذلك الشيء، أو لا؟ وذلك خارج عن كونها قربة أو ليست [صفحة ١٩٤] بقرية. فإن الذي يتوقف عليه الفعل قد يفعل بقصد القرية، فيكون قربة، وقد يفعل لا بقصد القرية، فلا يكون قربة، فمن مشى إلى مكة لمقصود غير صالح، ثم حج، لم يكن سفره قربة، ولكن سقط عنه الأمر بالمقدمة؛ لزوال السبب المقتضى لوجوبها. وأما الوسيلة فقال الجوهرى: الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير، والجمع الوسل، والوسائل، والتوسيل والتوسل واحد، يقال: وسّل فلان إلى ربه وسيلة، وتوسّل إليه بوسيلة؛ إذا تقرب إليه بعمل، انتهى كلام الجوهرى [٢٩٣]. فاسم «الوسيلة» إذا أطلق على المقدمة، فهو من حيث كونها يتقرب بها، لا من حيث كونها متوقفاً عليها، بل قد يكون المقصد متوقفاً على الوسيلة بعينها، فيجرب في وجوبها الخلاف السابق. وقد لا يتوقف المقصد عليها بعينها، بل على ما هو أعم منها، ويختارها العبد للتوسل بها. وقد لا يتوقف المقصد عليها أصلاً في نفس الأمر، ولكن يقصد العبد أو يتوهم توقفه، أو خطر بباله أنها موصلة إليه، ولم يخطر بباله أمر آخر. ففي كل هذه الأحوال تسمى «وسيلة» و«قرية» لا يجرى فيها الخلاف الأصولي. فالوسيلة لا تطلق على المقدمة حتى يقصد بها التقرب إلى المقصود، ولا تسمى «وسيلة» بدون هذا القصد إلا على سبيل المجاز؛ بمعنى أنها صالحة للتوسل، ومراد الأصوليين بـ «المقدمة» ما يتوقف عليها الشيء؛ سواء أقصد بها التوصل إليه، أم لا؟ فبينهما عموم وخصوص من وجه. [صفحة ١٩٥] ولو سلمنا أن الوسيلة مرادفة للمقدمة، فلا شك أنها لا تكون قربة حتى يقصد بها التقرب إلى قربة، فمرادنا بقولنا: «وسيلة القرية قربة» هذا المعنى. ومن هنا يظهر: أن كون الشيء قربة، غير كونه واجباً و مندوباً، فإن حكم الحكم بالإيجاب أو الندب إنما هو على الماهية الكلية، وكل ما وجد في الخارج مشخّص لا يتعلق الطلب به بخصوصه، فلا يحكم عليه بخصوصه: بأنه واجب، لكنه مؤد للواجب في ضمنه، والحكم بكون الشيء قربة تارة: يكون باعتبار حقيقته، وهو ما وضع لأن يتقرب به، فيكون كذلك، وتارة: يكون باعتبار ما قصد به التقرب، فيطلق على الفعل بعد تشخيصه.

اعتبارات السفر في مسألة الزيارة

إذا عرف ذلك فهنا اعتبارات: أحدها: مطلق السفر. والثاني: السفر إلى المدينة. والثالث: السفر إلى المدينة بقصد القرية. وكل واحد من القسمين الأولين ليس مطلوباً ولا قربة من حيث هو، وإنما قد يطلب طلب الوسائل لغيره. والقسم الثالث مطلوب وقرية، وتتفاوت مراتبه بحسب تفاوت القرية المقصودة به، فإنها قد تكون الزيارة، وقد تكون قربة أخرى، كالصلاة في المسجد ونحوها، وقد تكون مجموع ذلك، أو القدر المشترك بينها، وهو مطلق القرية، وكل من هذه الأربعة قربة؛ لما قرّرناه. ولأن السفر إلى المدينة لم يكن قربة لمطلق كونه سفراً، ولا سفراً إلى المدينة، وإنما كان لعله؛ وهي قصد القرية، وحيث وجدت العلة وجد المعلول، ولا فرق في الحكم بالقرية على كل واحد من الأربعة بين أن يوجد كلياً، أو جزئياً [صفحة ١٩٦] مشخّصاً؛ لما قدّمناه. وأما الحكم بكونه مطلوباً أو مندوباً إليه بخصوصه، فلا يتعلق بمشخّص منها كان، ولا بواحد من الأربعة بعينه، وإنما يتعلق بواحد منها لا بعينه، ومهما وجد منها كان قربة يتأدى الأمور به في ضمنه. وهذا التقسيم وحكم كل واحد منها، لا يتأتى فيه نزاع بين العقلاء؛ سواء قلنا: مقدّمه الأمور به مأمور بها، أم لا؟ وهكذا حكم كل كلى طلبه الشرع، ولم ينص على أنواعه. وأما خصال الكفارة: فقيل: إن الواجب فيها القدر المشترك بين الخصال، فيأتى في أنواع الخصال ما قلنا في الجزئيات. والمشهور أن كل خصلة واجبة بعينها على تقدير أن لا يأتى بغيرها، فمتى فعلها وقعت واجبة بخصوصها؛ لنص الشرع عليها، أعنى خصوص العتق مثلاً بالنسبة إلى الإطعام والكسوة، وأما إعتاق الرقبة المعينة فهو كأشخاص الكلى بلا إشكال، فيأتى فيه ما سبق من البحث. فإن قلت: السفر ينقسم: إلى ما يقصد به المسافر ضمّ عبادة أخرى إلى الزيارة، كصلاة واعتكاف في مسجده (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا إشكال في كونه قربة. وإلى ما يقصد قصره على قصد الزيارة لا غيره، والنزاع إنما هو في هذا. وإلى ما يعرى عن القصد. واستدل لكم بكون وسيلة القرية قربة فيه نظر؛ لأن توقف الشيء على الأعم لا يستلزم توقفه على الأخص، وزيارة من كان على مسافة بعيدة، إنما تتوقف على سفر من الأسفار الثلاثة المذكورة المقصودة، لا على القسم الثانى ليطم ما ذكرتم. قلت: هذا خلف من الكلام؛ [صفحة ١٩٧] لأنك إن لم تقل: بأن وسيلة القرية قربة، فلا حاجة بك إلى

هذا الاستدلال والتقسيم، وقل: إن وسيلة القربة ليست بقربة. وحينئذ يرد عليك ما لا قبل لك به مما قدمناه من الاستدلال على كون وسيلة القربة قربة، وذلك أمر معلوم من الشرع. ثم يلزمك أن السفر للزيارة وقربة أخرى لا يكون قربة على زعمك؛ لأنه إنما يكون قربة لكونه وسيلة إلى قربة. وإن كنت تقول: بأن وسيلة القربة قربة، فما وجه النظر بعد تقرير كون الزيارة قربة؟! واحتجاجك بأن توقف الشيء على الأعم لا يستلزم توقفه على الأخص، عجيب جداً. لأنك إن فسرت الوسيلة بما يفعل لقصد التقرب إلى المقصود كما فسّرناه، كان كل واحد من السفر الذي قصد به الزيارة مع قربة أخرى، والسفر الذي قصد به الزيارة فقط قربة؛ لأنه قصد به التوسل إلى قربة، فوجب أن يكون قربة؛ سواء كانت الزيارة متوقفة على عينه أم لا؟ فالفرق بين القسمين باطل قطعاً. وإن فسرت الوسيلة بما يتوقف عليه المقصود، كما يشعر به ظاهر كلامك: فإن أخذته بشرط قصد القربة معه، وجعلت علة القربة ذلك القصد، عاد الكلام، وكان كل من القسمين قربة؛ لأنّ الموجب لجعله قربة قصد القربة، وهو موجود في القسمين. وإن جعلت العلة التوقف، وقلت: إنه يتوقف على الأعم، لا على الأخص، لزمك أن تقول: القربة ما هو أعم من السفرين، وخصوص كل منهما ليس بقربة، ففرقك بين القسمين لا وجه له. وإن أخذته مجرداً فهو باطل؛ لأنه يدخل فيه مطلق السفر، ولم يقل أحد: بأنه قربة؛ فإن السفر من حيث هو مباح، وإنما تعرض له القربة بعلّة قصد القربة، [صفحة ١٩٨] فحيث حصلت تلك العلة حصل معلولها، وحيث لا فلا، ففرقك بين قربة وقربة لا وجه له. فقد بان بهذا: أنه بعد العلم بكون الزيارة قربة، ويكون وسيلة القربة قربة، يقطع بأن السفر للزيارة قربة؛ سواء ضمّ معه قصد قربة أخرى أم لا؟ والشك في ذلك إنما يكون للشك في إحدى المقدمتين. وتقرير السؤال مختل على كل تقدير. وليس لك أن تقول: إن السفر للزيارة المجردة داخل تحت النهي بقوله: «لا تشد الرحال» والسفر لها وللمسجد سفر للمسجد، فكان مباحاً للحديث. لأننا سنبيّن معنى الحديث، وأنه لا يشمل الزيارة. وبتقدير أن يكون السفر للزيارة منهياً عنه، فالسفر لها وللمسجد ينبغي أن يكون منهياً عنه على هذا البحث؛ لتركبه من منهى عنه وغيره. وأيضاً: فإن هذا دلّ على أنك لا تقول: بأن وسيلة القربة قربة، فكان يكفيك من الأول أن تقول: إن وسيلة القربة ليست قربة، وإنما كان السفر في القسم الأول قربة لدليل آخر، فانتقالك إلى هذا التويل لا فائدة فيه. فعلى كل تقدير هذا الكلام ساقط. وأما السفر العارى عن القصد المذكورين، فيدخل فيه السفر لقربة غير الزيارة فقط، والسفر المباح، والسفر لغيرهما، ولا حاجة بنا إلى الكلام في ذلك. وأما قولك في القسم الثاني من أقسام السفر: «ما يقصد به قصره على قصد الزيارة لا غير» فهذه العبارة تحتل أمرين: أحدهما: أن يقصد الزيارة، ويقصد أن لا يفعل معها قربة أخرى من تحية المسجد ولا غيرها، وهذا الأمر لا يقصده عاقل غالباً، وليس هو المسؤول عنه، فإنّ الناس إنما يسألون عن الواقع منهم، وبهم حاجة إلى معرفته حكمه، فذكر هذا القسم هوس، وإرادته في فتيا العامة بعبارة يفهمون منها العموم تضليل. [صفحة ١٩٩] ثم إننا نقول: ولو فرض ذلك، كان سفره قربة؛ لأنه قصد به قربة، ولكن قصده ترك غيرها من القربات ليس بقربة. الأمر الثاني: أن يقصد الزيارة، ولا يخطر بباله أمر آخر بنفى ولا إثبات، ولا وجه للتوقف في كون ذلك قربة بعد العلم بكون الزيارة قربة، ووسيلة القربة قربة. والظاهر من صاحب هذا السؤال أنه أراد هذا الأمر الثاني، فإنه الذي قال: إن الخصم إنما أراد أن يبيّن كيفية الزيارة المستحبة، وهي أن تضم إليها قصد المسجد، كما قاله غيره، وقدّمنا الكلام على ذلك. ففي هذه القطعة من كلامه بيان أن شرط الاستحباب في الزيارة عند الخصم [٢٩٤] وغيره، ضمّ قصد المسجد إليها، ومقتضى ذلك أن عند عدم الضمّ ينفي الاستحباب؛ سواء أراد عدم ما سواها من القرب أم لا؟ وهو يبيّن أن مراده فيما تقدّم - «بما يقصد قصره على قصد الزيارة لا غير» - المعنى الثاني الذي قدمناه، وهو عدم قصد سواها، لا قصد عدمه، وقد قدمنا أنه لا وجه للتوقف في كون ذلك قربة؛ لأنه وسيلة إلى قربة، ولم يقترن به قصد صارف، ولا مانع من الحكم بالقربة عليه بالمعنى الثاني. (مع) إن إطلاق قوله يقتضى أن الخصم وغيره إنما يستحبون الزيارة مطلقاً من غير سفر؛ إذا ضمّ إليها قصد المسجد، وحينئذ لا تكون الزيارة وحدها قربة؛ سواء كانت عن سفر، أم عن غير سفر؛ وهو مخالف للأدلة الدالة على أن الزيارة قربة، وكأنه إنما أراد السفر للزيارة، وإنما أطلق العبارة، وأيا ما كان فهو باطل؛ لما قدمناه. واعلم: أن هذا السؤال المبني على تقسيم السفر ضعيف، وكذلك السؤال المبني عليه الذي قدمته في الاستدلال بعمل السلف والخلف على السفر، وإنما [صفحة ٢٠٠] ذكرت لئني وقفت على كلام بعض الفضلاء ذكرهما

فيه، فاحتجت إلى جوابهما، والخصم الذي النزاع معه لعله لا يرتضيهما. والعجب ممن أوردتهما مع موافقته على أن السفر لمجرد الزيارة قربة. فإن كان قال ذلك بغير دليل فهو باطل. وإن كان قاله لأحد الدليلين المذكورين، فالقبح فيهما قدح فيه، فلا يمكنه الجزم به. وإن كان قاله لدليل آخر فكان ينبغي أن يبينه حتى يظهر أنه يفترق الحال فيه بين الأسفار أو لا؟ بل العجب منه قوله بهذه الأمور، مع قوله: بأن كون الزيارة قربة معلوم من الدين بالضرورة، وجاحده محكوم عليه بالكفر. وقد بان بما ذكرناه: أن لزوم كون السفر لمجرد الزيارة قربة، لازم لكون الزيارة قربة، وأن اللزوم بينهما يبين ليس بالخفي، والعلم بالملزوم مع التوقف في اللازم البين له مستحيل، فالقول بإثبات الملزوم مع التوقف في إثبات اللازم لا يجتمعان. فمن توقف في كون السفر لمجرد الزيارة قربة، لزمه التوقف في كون الزيارة قربة. ومن قال: بأن كون السفر لمجرد الزيارة قربة من الأمور الخفية، لزمه أن يقول بذلك في الزيارة، فإنه تقرر أن الملازمة بينهما بينة معلومة من الشرع. فإن قلت: فما تقولون في السفر إلى زيارة ما عدا قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قلت: قال الفقيه الإمام أبو محمّد عبد الله بن عبد الرحمان بن عمر المالكي المعروف بـ «الشار مساحي» في كتاب «تلخيص محصول المدونة من الأحكام» الملقب بـ «نظم الدرر» في كتاب الجامع في الباب الحادي عشر في السفر، وهو أحد أبوابه، قال في هذا الباب: والسفر قسمان: هرب، وطلب، أما الهرب فالخروج من [صفحة ٢٠١] أرض الحرب، وأرض البدعة، وأرض غلب عليها الحرام، ومن خوف الأذى في البدن، ومن الأرض الغنم [٢٩٥]. وأما الطلب فيكون للحج، والجهاد، والعمرة، والمعاش، والاتجار، وقصد البقاع الشريفة؛ وهي المساجد الثلاثة، ومواضع الرباط كثيراً لأهلها، وطلب العلم، ولتفقد أحوال الإخوان، وزيارة الموتى؛ لينتفعوا بترحم الأحياء، وقصد الانتفاع بالميت بدعة إلا في زيارة قبر المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) وقبور المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، انتهى. فأما استثناءه قبر المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) وسائر المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، واقتصاره إن قصدتها للانتفاع بهم سنة، فصحيح. والظاهر أن ذلك عام في زيارتها، والسفر إليها، كما يقتضيه صدر كلامه. وأما السفر لزيارة غيرهم من الموتى لينتفعوا بترحم الأحياء، فقد عدّه الشار مساحي - كما ترى - من أقسام سفر الطلب، والظاهر إن قصدته سنة، والأمر كذلك، وإن كان عدّه معه سفر التجارة الذي هو مباح. وأما قوله: «إن قصد الانتفاع بالميت غير الأنبياء بدعة» ففيه نظر؛ فإن ثبت فينبغي أن يخرج منه (من) يتحقق صلاحه، كالعشرة المشهود لهم بالجنة وغيرهم، وحينئذ يكون السفر لهم كالقسم الثاني. فخرج من هذا أن الزيارة حيث استحبت استحبت السفر لها، وذلك عام في قصد انتفاع الميت بالترحم، وخاص في قصد الانتفاع بالميت. [صفحة ٢٠٣]

في دفع شبه الخصم و تتبع كلماته

في شبهه

حديث: لا تشد الرحال... ألفاظه و مصادرها

إشاره

إحداها: فهم قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا تُشدُّ الرحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد» فتوهم الخصم أن في هذا منع السفر للزيارة [٢٩٦]. وليس كما توهمه، ونحن نذكر ألفاظ الحديث، ثم نذكر معناه إن شاء الله. فنقول: هذا الحديث متفق على صحته عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وورد بألفاظ مختلفة: أشهرها: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى» وهذه رواية سفيان بن عيينة عن الزهري. والآخر: «تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد» من غير حصر، وهذه رواية معمر عن الزهري. وآخر: «إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدي، ومسجد إيلياء». وهذه من طريق غير الزهري. وهذه الروايات الثلاث ذكرها مسلم في فضل المدينة عن أبي هريرة [٢٩٧]. وذكر قبل ذلك في سفر المرأة عن أبي سعيد الخدري عن

النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، [صفحة ٢٠٤] والمسجد الأقصى» [٢٩٨] ولفظه - كما ذكرنا - بصيغة النهي، واللفظ السابق بصيغة الخبر. وورد في خبر أبي سعيد أيضاً: «إنما تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد: مسجد إبراهيم، ومسجد محمد، ومسجد بيت المقدس» رواه إسحاق بن راهويه في مسنده [٢٩٩]. وورد في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أيضاً عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولفظه بصيغة النهي: «لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد بيت المقدس» رواه الطبراني في معجمه [٣٠٠]. هذه ألفاظ المرويات.

دلالة الأحاديث ومعناها

وأما معناها: فاعلم: أن هذا الاستثناء مفرغ، تقديره: لا تشد الرحال إلى مسجد إلا إلى المساجد الثلاثة، أو لا تشد الرحال إلى مكان إلا إلى المساجد الثلاثة. ولا بد من أحد هذين التقديرين ليكون المستثنى مندرجاً تحت المستثنى منه. والتقدير الأول أولى؛ لأنه جنس قريب، ولما سنيته من قلة التخصيص أو عدمه على هذا التقدير [٣٠١]. [صفحة ٢٠٥] ثم اعلم: أن السفر فيه أمران: أحدهما: غرض باعث عليه، كالحج، أو طلب العلم، أو الجهاد، أو زيارة الوالدين، أو الهجرة، وما أشبه ذلك. والثاني: المكان الذي هو نهاية السفر، كالسفر إلى مكة، أو المدينة، أو بيت المقدس، أو غيرها من الأماكن لأى غرض كان. ولا شك أن شد الرحال إلى عرفه لقضاء النسك، واجب بإجماع المسلمين، وليس من المساجد الثلاثة. وشد الرحال لطلب العلم إلى أى مكان كان، جائز بإجماع المسلمين، وقد يكون مستحباً، أو واجباً على الكفاية، أو فرض عين. وكذلك السفر إلى الجهاد، ومن بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام؛ للهجرة وإقامة الدين، وكذلك السفر لزيارة الوالدين وبرهما، وزيارة الإخوان والصالحين، وكذلك السفر للتجارة، وغيرها من الأغراض المباحة. فإنما معنى الحديث: أن السفر إلى المساجد مقصور على الثلاثة على التقدير الأول الذي اخترناه. أو أن السفر إلى الأماكن مقصور على الثلاثة على التقدير الثاني. ثم على كلا التقديرين: إما أن يجعل المساجد أو الأمكنة غاية فقط، وعلة السفر أمراً آخر، كالاشتغال بالعلم ونحوه من الأمثلة التي ذكرها، فهذا جائز إلى كل مسجد وإلى كل مكان، فلا يجوز أن يكون هو المراد. وقد يقال على بعد: إن خروج تلك المسائل بأدلة على سبيل التخصيص للعموم، فلا يمنع من إرادته في الباقي. وهذا لو قيل به، فتقدير المساجد أيضاً أولى من تقدير الأمكنة؛ لعلمه التخصيص، إذ التخصيص على تقدير إضمار الأمكنة أكثر، فيكون مرجوحاً. ثم على هذا التقدير: فالسفر بقصد زيارة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) غايته مسجد المدينة؛ [صفحة ٢٠٦] لأنه مجاور للقبر الشريف، فلم يخرج السفر للزيارة عن أن تكون غايته أحد المساجد الثلاثة، وهو المراد على هذا التقدير. وإما أن يجعل المساجد أو الأمكنة علة فقط، ويكون قد عثر به «إلى» عن اللام، أو غاية وعلة من باب تخصيص العام بأحد حاله؛ لأن غاية السفر قد يكون هو العلة، وقد لا يكون، فيكون المراد النوع الأول، وهو ما يكون علة مع كونه غاية. ومعنى كونه علة: أنه يسافر لتعظيمها، أو للتبرك بالحلول فيها، أو بأن يوقع فيها عبادة من العبادات التي يمكنه إيقاعها في غيرها؛ من حيث أن إيقاعها فيها أفضل من إيقاعها في غيرها، وكل ذلك إنما نشأ من اعتقاد فضل في البقعة زائد على غيرها، فنهى عن ذلك إلا في المساجد الثلاثة، وهذا هو المراد، وغيرها من الأماكن والمساجد لا يؤتى إلا لغرض خاص لا يوجد في غيره، كالشغل للرباط الذي لا يوجد في غيره. وعلى هذا التقدير أيضاً، المسافر لزيارة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يدخل في الحديث؛ لأنه لم يسافر لتعظيم البقعة، وإنما سافر لزيارة من فيها، كما لو كان حياً وسافر إليها فيها أو في غيرها، فإنه لا يدخل في هذا العموم قطعاً. وملخص ما قلناه على طوله: أن النهى عن السفر مشروط بأمرين: أحدهما: أن يكون غايته غير المساجد الثلاثة. والثاني: أن تكون علة تعظيم البقعة. والسفر لزيارة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) غايته أحد المساجد الثلاثة، وعلة تعظيم ساكن البقعة، لا البقعة، فكيف يقال بالنهي عنه؟! بل أقول: إن للسفر المطلوب سببين: أحدهما: ما يكون غايته أحد المساجد الثلاثة. والثاني: ما يكون لعبادة وإن كان إلى غيرها. [صفحة ٢٠٧] والسفر لزيارة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) اجتمع فيه الأمران، فهو في الدرجة العليا من الطلب، ودونه ما وجد فيه أحد الأمرين، وإن كان السفر الذي غايته أحد الأماكن الثلاثة، لا بد في كونه قريناً من قصد صالح. وأما

السفر لمكان غير الأماكن الثلاثة لتعظيم ذلك المكان، فهو الذي ورد فيه الحديث، ولهذا جاء عن بعض التابعين أنه قال: قلت لابن عمر: إنني أريد أن آتي الطور. قال: إنما تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومسجد الأقصى، ودع الطور فلا تأته.

محط البحث عند الفقهاء

وفي مثل هذا الذي تكلم الفقهاء في شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة. فنقل إمام الحرمين عن شيخه: أنه كان يفتى بالمنع عن شد الرحال إلى غير هذه المساجد، قال: وربما كان يقول: يكره، وربما كان يقول: يحرم؛ أخذاً بظاهر النهي. وقال الشيخ أبو علي: لا يكره، ولا يحرم، ولكن أبان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن القربة المقصودة في قصد المساجد الثلاثة، وما عداها ليس في قصد أعيانها قربة، قال: وهذا حسن لا يصح عندي غيره. قلت: ويمكن أن يقال: إن قصد بذلك التعظيم فالحق ما قاله الشيخ أبو محمد؛ لأنه تعظيم لما لم يعظمه الشرع، وإن لم يقصد مع عينه أمراً آخر، فهذا قريب من العبث، فيتخرج فيه ما قاله الشيخ أبو علي، ولا نعلم في مذهبنا غير ذلك. وذهب الداودي إلى أن ما قرب من المساجد الفاضلة من المصر، فلا بأس أن يوتى مشياً وركوباً؛ استدلالاً بمسجد قباء، ولا يدخل تحت النهي في إعمال [صفحة ٢٠٨] المطي؛ لأن الإعمال وشد الرحال لا يكون لما قرب غالباً. ونقل القاضي عياض عن بعضهم: أنه إنما يمنع المطي للناذر، وأما غير الناذر ممن يرغب في فضل مشاهد الصالحين فلا. فهذه أربعة مذاهب في إتيان ما سوى الثلاثة من المساجد، وعلى المذهب الرابع المفصل بين أن يكون بالندر أو غيره، حمل بعضهم إتيان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مسجد قباء؛ لأنه كان بغير نذر، ولا حرج فيه، بل متى خف عليه فعل القربة. فيجىء في نذر ما سوى الثلاثة من المساجد ثلاثة مذاهب: أحدها: أنه لا يصح، وهو مذهبنا ومذهب الجمهور. والثاني: يصح مطلقاً، وهو مذهب الليث بن سعد. والثالث: يلزم ما لم يكن بشد رحل، كمسجد قباء، وهو قول محمد بن مسلمة المالكي. وقد روى مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم: أن عبد الله بن عباس سئل عن جعل على نفسه مشياً إلى مسجد قباء وهو بالمدينة؟ فألزمه ذلك، وأمره أن يمشى. قال عبد الملك بن حبيب في كتاب «الواضحة»: فكذلك من نذر أن يمشى إلى مسجده الذي يصلى فيه جمعته، أو مكتوبته، فعليه أن يمشى إليه، وليس ذلك بلازمه فيما نأى عنه من المساجد لا ماشياً، ولا راكباً، وكذلك روى ابن وهب وغيره عن مالك إلا المساجد الثلاثة، فيلزمه في المسجد الحرام ما نذر من مشى أو ركوب، ولا يلزمه في المسجدين - مسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبيت المقدس - المشى إليهما، ويلزمه أن يأتيهما راكباً للصلاة فيهما. هذا كله في قصد المكان بعينه، أو قصد عبادة فيه تمكن في غيره. أما قصده بغير نذر لغرض فيه - كالزيارة وشبهها - فلا يقول أحد فيه بتحريم ولا كراهة. [صفحة ٢٠٩] فإن قلت: فقد قال النووي في «شرح مسلم» [٣٠٢] في باب سفر المرأة مع محرّم إلى الحج: اختلف العلماء في شد الرحال وإعمال المطي إلى غير المساجد الثلاثة، كالذهاب إلى قبور الصالحين، وإلى المواضع الفاضلة ونحو ذلك، فقال الشيخ أبو محمد من أصحابنا: هو حرام، وهو الذي أشار القاضي عياض إلى اختياره. والصحيح عند أصحابنا - وهو الذي اختاره إمام الحرمين والمحققون - أنه لا يحرم ولا يكره، قالوا: والمراد أن الفضيلة التامة إنما هي في شد الرحال إلى هذه الثلاثة خاصة، والله أعلم، انتهى كلام النووي. وقد جعل الذهاب إلى قبور الصالحين من محل الخلاف. قلت: رحم الله النووي، لو اقتصر على المنقول أو نقده حق النقد لم يحصل خلل، وإنما زاد التمثيل فحصل الخلل من زيادته. والذي نقله الإمام الرافعي والنووي في غير «شرح مسلم» عن الشيخ أبي محمد (رحمه الله) ليس فيه هذه الزيادة، بل فيه ما يبين أن مراده ما قدمناه. فإن الإمام قال: إذا نذر أن يأتي مسجداً من المساجد سوى المسجد الحرام، قال العلماء: فإن كان المسجد الذي عينه غير مسجد المدينة ومسجد القدس، فلا يلزم بالندر شيء أصلاً، فإنه ليس في قصد مسجد بعينه غير المساجد الثلاثة قربة مقصودة، وما لا يكون قربة ولا عبادة مقصودة فهو غير ملزم بالندر، وكان شيخى يفتى بالمنع عن شد الرحال إلى غير هذه المساجد... وذكر ما قدمناه. وكذلك الرافعي قال: إذا نذر إتيان مسجد آخر سوى الثلاثة لم ينعد نذره، قال الإمام وكان شيخى يفتى... وذكر ما تقدم. وكذلك النووي في «شرح المهذب» [٣٠٣]

وكذلك في «شرح مسلم» في باب [صفحة ٢١٠] فضل المساجد الثلاثة، كلامه مشعر بما قلناه. ومع ذلك قال: إن ما قاله الشيخ أبو محمد غلط. ففي كلام كل من الإمام والرافعي والنووي - في غير «شرح مسلم» وفي «شرح مسلم» في غير هذا الباب - ما يبين أن فرض المسألة في قصد المساجد، فيحمل كلام أبي محمد عليه. أما قصد الأغراض الصحيحة في المساجد وغيرها من الممكنة - من الزيارة، والاشتغال والجهاد، وغيرها - فلم يتكلم فيه أبو محمد، ولا يجوز أن ينسب إليه المنع منه، ولو قاله هو أو غيره ممن يقبل كلامه الغلط لحكمنا بغلظه، وأنه لم يفهم مقصود الحديث، لكنه بحمد الله لم يثبت عندنا أنه قال ذلك، ولا نقله عنه أحد غير ما وقع في «شرح مسلم» من التمثيل على سبيل السهو والغفلة، ولهذا أجللنا مالكاً (رحمه الله) عن أن يستدل بالحديث على هذا المقصود، وأوجنا تأويل كلامه على إرادة البقعة لعينها. وهكذا القاضي عياض، فإنه قال في «الإكمال» [٣٠٤]: قوله عليه الصلاة والسلام: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» فيه تعظيم هذه المساجد، وخصوصها بشد الرحال إليها؛ لأنها مساجد الأنبياء (عليهم السلام)، وتفضيل الصلاة فيها، وتضعيف أجزائها، ولزوم ذلك لمن نذره، بخلاف غيرها مما لا يلزم ولا يباح شد الرحال إليها؛ لا لنادر، ولا لمتطوع، بهذا النهي، إلا ما أحققه محمد بن مسلمة من مسجد قباء. وهذا الكلام من القاضي عياض ليس فيه تعرض لزيارة الموتى أصلاً، ولا يجوز أن ينقل ذلك عنه بتصريح ولا بإشارة، وإنما أشار به إلى غير الثلاثة من المساجد. [صفحة ٢١١]

عنوان المسألة في كتب الفقه

فإن قلت: قد قال ابن قدامة الحنبلي في كتاب «المغني» [٣٠٥]: فصل: فإن سافر لزيارة القبور والمشاهد فقال ابن عقيل: لا يباح له الترخص؛ لأنه منهى عن السفر إليها، قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد». والصحيح إباحته، وجواز القصر فيه؛ لأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يأتي قباء ماشياً وراكباً، وكان يزور القبور، وقال: «زوروا تذكركم الآخرة». وأما قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» فيحمل على نفى الفضيلة، لا على التحريم، وليست الفضيلة شرطاً في إباحة القصر، ولا يضر انتفاؤها. قلت: قد وقفت على كلام ابن قدامة المذكور، وترجمته بالسفر لزيارة القبور والمشاهد، ولم أقف على كلام ابن عقيل، فإن كان في المشاهد، أو في قصدها مع الزيارة، فلا يرد علينا؛ لأنه من باب قصد الممكنة، وهذا هو الظاهر من استدلاله بالحديث على ما تقرّر، وكلامنا إنما هو في مجرد قصد الزيارة للميت من غير قصد البقعة أصلاً، وليس في كلام ابن عقيل ولا ابن قدامة تصريح بذلك، بل كلامه يشير إلى أنه إنما تكلم في القبور التي بنيت عليها المشاهد، وقبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يدخل في ذلك؛ لأن مكانه لا يسمى «مشهداً». ولو سلمنا اندراجها في مدلول كلامه فيجب تخصيصه، وحمل كلامه على ما سواه. وإذا كنا نخصص كلام الله وكلام رسوله بالأدلة، فأى شيء كلام ابن عقيل حتى لا نخصص؛ إذا أحسننا الظن به؟! والموجب لتخصيص هذا القبر الشريف عن سائر القبور، الأدلة الواردة في زيارته على الخصوص، وإطباق الناس على السفر إليه، فإن لم يعتبر ابن عقيل هذه [صفحة ٢١٢] الأدلة لفوق سهام التخطئة إليه، وردّ كلامه عليه، ولكنه لم يثبت بحمد الله عندنا ذلك عنه. فإن قلت: قد أكثرت من التفرقة بين البقعة، وقصد من فيها، وسلّمت أن قصد البقعة داخل تحت الحديث، والزيارة لا بد فيها من قصد البقعة، فإن السلام والدعاء يحصل من بعد، كما يحصل من قرب، وهو مقصود الزيارة. قلت: قصد البقعة لما اشتملت عليه ليس بمحذور، ولا نقول بنفى الفضيلة عنه، وإنما قلنا ذلك في قصد البقعة لعينها، أو لتعظيم لم يشهد به الشرع. على أنا نقول: إنه لا يلزم من الزيارة أن يكون للبقعة مدخل في القصد الباعث، بل تارة: يكون ذلك مقصوداً، وتارة: يجرد قصد الشخص المزور من غير شعور بما سواه. وقوله: «إن مقصود الزيارة يحصل من بعد» ممنوع؛ فإن الميت يعامل معاملة الحي، فالحضور عنده مقصود، ألا ترى أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما خرج فيه ليلة عائشة إلى البقيع، فقام فأطال القيام، ثم رفع يديه ثلاث مرات... الحديث المشهور، وفيه: أن عائشة سألته فقال: «إن جبرئيل أتاني فقال: إن ربك عز وجل يأمرك أن تأتي أهل البقيع وتستغفر لهم». قالت فقلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟ قال: «قولي السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإننا إن

شاء الله بكم لاحقون» رواه مسلم [٣٠٦]. فانظر كيف خرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى البقيع بأمر الله تعالى يستغفر لأهله، ولم يكتفِ بذلك من الغيبة، وهذا أصل في الإتيان إلى القبور لزيارة أهلها للاستغفار لهم. وقد سألت عائشة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كيف تقول؟ تعني إذا فعلت كفعله، وعلمها، [صفحة ٢١٣] وفي ذلك دليل على أنه يجوز لها وللنساء، الإتيان إلى القبور لهذا الغرض؛ لأن سؤالها ذلك كان بعد رجوعها إلى البيت، فلم يكن المقصود منه: كيف أقول الآن؟ وإنما معناه كيف أقول مرة أخرى؟ فلو كان لا يجوز لها ذلك لبيته لها. وليس هذا المقصود هنا، فإننا نذكره إن شاء الله تعالى في موضع آخر [٣٠٧]. وإنما المقصود هنا أن الحضور عند القبر لسبب زيارة من فيه والدعاء مطلوب، وليس ذلك من باب قصد الأمكنة، ولا دلّ الحديث على امتناعه، ولا قال به أحد من العلماء.

فتاوى مختلفة مزورة باسم علماء بغداد

نسب هذه الفتاوى ولفظها السلفي محمد بن عبد الهادي الذي انتصر لابن تيمية، وقد نقل نص فتواه، ثم عقبها بقوله: وقد وصل ما أجاب به الشيخ في هذه المسألة إلى «علماء بغداد» فقاموا في الانتصار له، وكتبوا بموافقتهم، ورأيت خطوطهم بذلك، وهذه صورة ما كتبوا، العقود الدرية (ص ٣٤٢) ونقله في مجموع فتاوى ابن تيمية (١٩٣/٢٧). ثم أوردتها، وهي كما عرفت بلا سند ولا صادرة عن أناس معروفين بل كلها أسماء نكرات، ومنقولاتهم فيها مزيفة وكاذبة، واستدلالاتهم باطلة، كما ستعرف. ولقد اغرق ابن عبد الهادي في التعصب لما ادعى في (الصارم ص ١٥) أن هذه الفتاوى مشهورة! مما شاع خبرها وذاع واشتهر أمرها وانتشر! وهي صحيحة ثابتة، متواترة! ولاحظ المقارنة بين قوله (مشهورة) و(متواترة)!! وقد أحضر إلي بعض الناس صورة فتاوى منسوبة لبعض علماء بغداد في هذا الزمان، لا أدري هل هي مختلقة من بعض الشياطين الذين لا يحسنون؟ أو هي صادرة من من هو متسم بسمه العلم، وليس من أهله؟ فأولها: فتيا مالكي قال فيها: قد نصّ الشيخ أبو محمّد الجويني في كتبه على تحريم السفر لزيارة القبور، وهو اختيار القاضي الإمام عياض في إكمالته [٣٠٨]. [صفحة ٢١٤] ولقد كذب في هذا النقل عن الشيخ أبي محمّد والقاضي عياض جميعاً... ثم أطال الكلام بما لا فائدة فيه. وثانيها: فتيا شافعي قال فيها: إن المفهوم من كلام العلماء ونظار العقلاء، أن الزيارة ليست عبادة وطاعة بمجردها [٣٠٩]. فإن أراد المفهوم عنده فلا علينا منه، ونقول له: المفهوم عند العلماء خلافه. ثم قال: إن من اعتقد جواز الشد إلى غير ما ذكر أو وجوبه أو ندبه، كان مخالفاً لصريح النهي، ومخالفة النهي معصية إما كفراً وغيره؛ على قدر المنهى عنه ووجوبه وتحريمه. ويكفي هذا الكلام ضحكة على ما قاله أن يجعل المنهى عنه منقسماً إلى وجوب وتحريم، دع سوء فهمه للحديث. وثالثها: فتيا آخر شارك فيها الأول في النقل عن الشيخ أبي محمّد والقاضي عياض. وقد تقدّم جوابه، وأسأء الفهم في الحديث، كما أسأء غيره. ورابعها: فتيا آخر ليس فيها طائل. وكلهم خلط مع ذلك ما لا طائل تحته، والأقرب أنّها مختلقة، وأن مثلها لا يصدر عن عالم، وإنما ذكرتها هنا لتضمّنها النقل عن الشيخ أبي محمّد والقاضي عياض الذي تعرّضت هنا لإفساده. [صفحة ٢١٥]

ابن تيمية يمنع الزيارة مطلقاً، لا شد الرحل إليها فقط

لقد كذب ابن عبد الهادي هذه النسبة، ونفى أن يكون ابن تيمية منع عن مطلق الزيارة، وهو عمدة عمله في الصارم المنكي، لكن ما نقله المصنّف من كلام ابن تيمية واضح الدلالة على ذلك، وقد أفردنا له كتاب «الزيارة» فراجع. ثم أورد ابن عبد الهادي أجوبة أخرى بعنوان: «ووقفت على كتاب ورد مع أجوبة أهل بغداد وصورته:...»، وقد ذكر هذا مكرراً، وذكر أجوبة ليس فيها طائل، كما ذكر المؤلف الإمام السبكي. وهكذا يعتمد على الرقاع والمكاتيب التي لا سند لها ولا خطم ولا أزمّة، ويعتبرها شيئاً، بينما لو فعل غير السلفية هذا، لأقامت الدنيا وما أقعدتها؟ باعتبار اعتماد شيء لا سند له، وهي الرقاع، والمكاتيب، إلى آخر حملاتهم الشنعاء على أهل العلم

وكتب العلم، وأنهم صحفيون!! ثم ما حجة كلام هؤلاء، أمام الحجج الشرعية والنصوص الإلهية والنبوية الدالة على مشروعيتها أعمال العباد القاصدين بها القربة وامتنال أوامر الرسول والأئمة الأمراء على الناس ديناً ودنياً. ثم لماذا خصت بغداد وعلمائها الأعلام! بهذا النقض للأحكام الصادرة من سلطان مصر؟ أليس يستشم منها رائحة السياسة التي يسير في فلكتها السلفية الأميريون أتباع الحكام الظلمة والأمراء الفسقة في كل عصر ومصر! تنبيه: قد يتوهم من استدلال الخصم بهذا الحديث: أن نزاعه قاصر على السفر للزيارة، دون أصل الزيارة. وليس كذلك، بل نزاعه في الزيارة أيضاً؛ لما سنذكره في الشبهتين الثانية والثالثة، وهما: كون الزيارة على هذا الوجه المخصوص بدعة. وكونها من تعظيم غير الله المفضى إلى الشرك، وما كان كذلك كان ممنوعاً. وعلى هاتين الشبهتين بنى كلامه، وأصل الخيال الذي سرى إليه منهما لا- غير، وهو عام في الزيارة والسفر إليها. ولهذا يدعى هو: أن الأحاديث الواردة في زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كلها ضعيفة، بل موضوعة [٣١٠]. ويستدل بقوله: «لا- تتخذوا قبري عيداً» بقوله: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». وبأن هذا كله محافظة على التوحيد، وأن أصول الشرك بالله اتخاذ القبور مساجد، كما سنذكر ذلك في نص كلامه المنقول عنه. [صفحة ٢١٦] وقد رأيت أيضاً فتياً بخطه، ونقلت منها ما أنا ذاكره، قال فيها - ومن خطه نقلت -

نص فتوى قديمة لابن تيمية

وأما السفر للتعريف عند بعض القبور، فهذا أعظم من ذلك، فإن هذا بدعة وشرك، فإن أصل السفر لزيارة القبور ليس مشروعاً، ولا استحبه أحد من العلماء، ولهذا لو نذر ذلك لم يجب عليه الوفاء به بلا نزاع بين الأئمة. ثم قال: ولهذا لم يكن أحد من الصحابة والتابعين - بعد أن فتحوا الشام، ولا قبل ذلك - يسافرون إلى زيارة قبر الخليل (عليه السلام) ولا غيره من قبور الأنبياء التي بالشام، ولا زار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من ذلك ليلة أسرى به. والحديث الذي فيه: «هذا قبر أبيك إبراهيم فانزل فصل فيه، وهذا بيت لحم مولد أخيك عيسى، انزل فصل فيه» كذب لا حقيقه له. وأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذين سكنوا الشام، أو دخلوا إليه ولم يسكنوه، مع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وغيره، لم يكونوا يزورون شيئاً من هذه البقاع والآثار المضافة إلى الأنبياء. ثم قال: ولم يتخذ الصحابة شيئاً من آثاره مسجداً ولا مزاراً؛ غير ما بيناه من المساجد، ولم يكونوا يزورون غار حراء، ولا غار ثور. ثم قال: حتى أن قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يثبت عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لفظ بزيارته، وإنما صح عنه «الصلاة عليه والسلام»؛ موافقة لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا الآية. ثم قال: ولهذا لم يكن على عهد الصحابة والتابعين مشهد يُزار؛ لا على قبر نبي، ولا غير نبي، فضلاً عن أن يسافر إليه؛ لا بالحجاز، ولا بالشام ولا اليمن، ولا العراق، ولا مصر، ولا المشرق! [صفحة ٢١٧] ثم قال: ولهذا كانت زيارة القبور على وجهين: زيارة شرعية، وزيارة بدعية؛ فالزيارة الشرعية مقصودها السلام على الميت، والدعاء له إن كان مؤمناً، وتذكر الموت سواء كان الميت مؤمناً أم كافراً. وقال بعد ذلك: فالزيارة لقبر المؤمن نبياً أو كان غير نبي، من جنس الصلاة على جنازته، يدعى له كما يدعى إذا صلى على جنازته. وأما الزيارة البدعية، فمن جنس زيارة النصارى مقصودها الإشراك بالميت، مثل طلب الحوائج منه، أو به، أو التمسح بقبره، وتقبيله، أو السجود له، ونحو ذلك، فهذا كله لم يأمر الله به ورسوله، ولا- استحبه أحد من أئمة المسلمين، ولا- كان أحد من السلف يفعله؛ لا عند قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا غيره. ثم قال: ولم يكونوا يقسمون على الله بأحد من خلقه؛ لا نبي، ولا غيره، ولا يسألون ميتاً، ولا غائباً، ولا يستغيثون بميت، ولا غائب؛ سواء كان نبياً، أو غير نبي، بل كان فضلاًؤهم لا يسألون غير الله شيئاً. انتهى ما أردت نقله من كلام ابن تيمية (رحمه الله) من خطه، وأنا عارف بخطه [٣١١]. وهو يدل على ما ذكرناه: من أن نزاعه في السفر والزيارة جميعاً، غير أنه كلام [صفحة ٢١٨] مختبئ؛ في صدره ما يقتضى منع الزيارة مطلقاً، وفي آخره ما يقتضى أنها إن كانت للسلام عليه والدعاء له جازت، وإن كانت على النوع الآخر الذي ذكره لم يجز. وبقي قسم لم يذكره: وهو أن تكون للتبرك به من غير إشراك به. فهذه ثلاثة أقسام: أولها: السلام والدعاء له. وقد سلم

جوازه، وأنه شرعي، ويلزمه أن يسلم جواز السفر له، فإن فرّق في هذا القسم بين أصل الزيارة وبين السفر - محتجاً بالحديث المذكور - فقد سبق جوابه. والقسم الثاني: التبرّك به والدعاء عنده للزائر. وهذا القسم يظهر من فحوى كلام ابن تيمية (رحمه الله) أنه يلحقه بالقسم الثالث، ولا- دليل له على ذلك، بل نحن نقطع ببطلان كلامه فيه، وأنّ المعلوم من الدين وسير السلف الصالحين، التبرّك ببعض الموتى من الصالحين، فكيف بالأنبياء والمرسلين؟! ومن ادعى أنّ قبور الأنبياء وغيرهم من أموات المسلمين سواء، فقد أتى أمراً عظيماً نقطع ببطلانه وخطئه فيه، وفيه حظّ لدرجة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى درجة من سواه من المسلمين، وذلك كفر متيقّن، فإنّ من حظّ رتبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عمّا يجب له، فقد كفر. فإن قال: إنّ هذا ليس بحطّ، ولكنّه منع من التعظيم فوق ما يجب عليه. قلت: هذا جهل وسوء أدب، وقد تقدّم في أوّل الباب الخامس [٣١٢] الكلام في ذلك، ونحن نقطع بأنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يستحقّ من التعظيم أكثر من هذا المقدار في حياته وبعد موته، ولا يرتاب في ذلك من كان في قلبه شيء من الإيمان. وأمّا القسم الثالث: وهو أن يقصد بالزيارة الإشراك بالله تعالى: [صفحة ٢١٩] فنعوذ بالله منها وممن يفعلها، ونحن لا نعتقد في أحد من المسلمين - إن شاء الله - ذلك. وقد قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد» ودعاؤه (صلى الله عليه وآله وسلم) مستجاب، وقد أيسر الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب [٣١٣]. فهذا شيء لا نعتقده إن شاء الله في أحد ممن يقصد زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). وأمّا التمسح بالقبر وتقبيله والسجود عليه ونحو ذلك: فإنّما يفعله بعض الجهّال، ومن فعل ذلك ينكر عليه فعله ذلك، ويعلم آداب الزيارة، ولا ينكر عليه أصل الزيارة، ولا السفر إليها، بل هو مع ما صدر منه من الجهل محمود على زيارته وسفوره، مذموم على جهله وبدعته. وأمّا طلب الحوائج عند قبره (صلى الله عليه وآله وسلم) فسنذكره في باب الاستغاثة بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم): [٣١٤]. ولتتكلّم على الشبهة الثانية والثالثة اللتين بنى ابن تيمية (رحمه الله) كلامه عليهما:

مشروعية الزيارة

أما الشبهة الثانية وهي كون هذا ليس مشروعاً، وأنه من البدع التي لم يستحبّها أحد من العلماء؛ لا من الصحابة، ولا من التابعين ومن بعدهم. فقد قدّمنا سفر بلال من الشام إلى المدينة لقصده الزيارة. وأنّ عمر بن عبدالعزيز كان يجهّز البريد من الشام إلى المدينة للسلام على النبي عليه الصلاة والسلام. [صفحة ٢٢٠] وأنّ ابن عمر كان يأتي قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيسلم عليه وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهم. وكلّ ذلك يكذب دعوى: أنّ الزيارة والسفر إليها بدعة. ولو طوّل ابن تيمية (رحمه الله) بإثبات هذا النفي العام، وإقامة الدليل على صحّته، لم يجد إليه سبيلاً. فكيف يحلّ لذي علم أن يقدم على هذا الأمر العظيم بمثل هذه الظنون، التي مستنده فيها أنّه لم يبلغه، وينكر به ما أطبق عليه جميع المسلمين شرقاً وغرباً في سائر الأعصار؛ ممّا هو محسوس خلفاً عن سلف، ويجعله من البدع؟! فإن قلت: إنّ الذي كان يفعله السلف من النوع الأوّل؛ وهو السلام والدعاء له، دون النوع الثاني والثالث. قلنا: أمّا الثالث فلا استرواح إليه؛ لأننا نبعد كلّ مسلم منه. وأمّا النوع الأوّل والثاني، فدعوى كون السلف كلّهم كانوا مطبقين على النوع الأوّل؛ وأنه شرعي، وكون الخلف كلّهم مطبقين على الثاني؛ وأنه بدعة، من التخرّص الذي لا يقدر على إثباته، فإنّ المقاصد الباطنة لا يطلع عليها إلا الله تعالى. فمن أين له أنّ جميع السلف لم يكن أحد منهم يقصد التبرّك، أو أنّ جميع السلف لا يقصدون إلا ذلك؟ إنهم قال فيما سنحكيه من كلامه: «إنّ أحداً لا يسافر إليها إلا لذلك»؛ يعني لا اعتقاده أنّها قريبة، وأنه متى كان كذلك كان حراماً. ولا شك أنّ بلالا وغيره من السلف - وإن سلّمنا أنّهم ما قصدوا إلا السلام - فإنّهم يعتقدون أنّ ذلك قريبة. فلو شعر ابن تيمية (رحمه الله) أنّ بلالا وغيره من السلف فعل ذلك، لم ينطق بما قال، ولكنّه قام عنده خيال: أنّ هذه الزيارة فيها نوع من الشرك، ولم يستحضر أنّ أحداً [صفحة ٢٢١] فعلها من السلف، فقال ما قال وغلط رحمه الله فيما حصل له من الخيال، وفي عدم الاستحضار. ودعواه: «أنّه لو نذر ذلك، لم يجب عليه الوفاء به بلا نزاع من الأئمة». نحن نطالبه بنقل هذا عن الأئمة. وتحقيق أنّه لا نزاع بينهم فيه. ثم بتقرير كون ذلك عامّاً في قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وغيره. ليحصل مقصوده في هذه المسألة التي تصدّينا لها. ومتى لم تحصل هذه الأمور الثلاثة لا يحصل

مقصوده، وليس إلى حصولها سبيل. ونحن قد نقلنا أن زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تلزم بالندر، وعلى مقتضاه يلزم السفر إليها أيضاً بالندر؛ على الضد مما قال. وأما قوله: «إن الصحابة لما فتحوا الشام، لم يكونوا يسافرون إلى زيارة قبر الخليل وغيره من قبور الأنبياء التي بالشام». فلعله لأنه لم يثبت عندهم موضعها، فإنه ليس لنا قبر مقطوع به إلا قبره (صلى الله عليه وآله وسلم). وأما قوله: «ولا زار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شيئاً من ذلك ليلة أسرى به». فلعله لاشتغاله بما هو أهم. وقد تحققنا زيارته (صلى الله عليه وآله وسلم) القبور بالمدينة وغيرها في غير تلك الليلة، فليس ترك زيارته في تلك الليلة دليلاً على أن الزيارة ليست بسنة، فالتشاغل بالاستدلال بذلك تشاغل بما لا يجدي. وأما قوله: «إن الحديث الذي فيه: «هذا قبر أبيك إبراهيم فانزل فصل فيه، وهذا بيت لحم مولد أخيك عيسى انزل فصل فيه» كذب لا حقيقة له. فصدق فيما قال. [صفحة ٢٢٢] وهذا الحديث يرويه بكر بن زياد الباهلي، قال ابن حبان: شيخ دجال يضع الحديث على الثقات، لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل القدح فيه. وذكر ابن حبان من طريقه الحديث المذكور، وفيه: «ثم أتى بي إلى الصخرة فقال: يا محمّد، من هنا عرج ربك إلى السماء...» وذكر كلاماً طويلاً كره ابن حبان ذكره. قال ابن حبان: وهذا شيء لا يشك عوام أصحاب الحديث أنه موضوع، فكيف البذل في هذا الشأن؟! هذا كلام ابن حبان [٣١٥].

وقد ذكر هذا الحديث أبو القاسم المكي بن عبدالسلام بن الحسين بن القاسم المقدسي الرميلى في «كتاب صنفه في فضائل زيارة قبر إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام». والرميلى هذا بضم الراء، وفتح الميم، وسكون الياء، نسبة إلى الرميلى من الأرض المقدسة. وذكره أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور ابن السمعاني في كتاب «الأنساب» [٣١٦] فقال: كان حافظاً كثيراً، رحل إلى مصر، والشام، والعراق، والبصرة، قال ابن ناصر: وصنف كتاباً في تاريخ بيت المقدس، وسمع من الخطيب بالشام وبغداد، وكان فاضلاً صالحاً ثباتاً، وعاد إلى بيت المقدس، وأقام بها يدرّس الفقه على مذهب الشافعي، ويروي الحديث، إلى أن غلبت الفرنج على بيت المقدس، ثم قتل شهيداً. قال ابن السمعاني: روى عن مكي بن عبدالسلام: محمّد بن علي الاسفراييني، وأبو سعيد عمّار التاجر، ولم يحدث عنه سواهما. [صفحة ٢٢٣] وقال ابن النجار [٣١٧]: عزم على أن يعمل تاريخاً لبيت المقدس، فحالت دونه ميتته، قتلته الفرنج بالحجارة في اليوم الثاني عشر من شوال سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة. وذكر أبو القاسم عمر بن أبي جراد في «تاريخ حلب» [٣١٨]: أنه ولد في المحرم يوم عاشوراء سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة بيت المقدس. قلت: وذكر في هذا التصنيف آثاراً في زيارة قبر إبراهيم الخليل، منها الحديث المذكور، قال: أنا الشيخ الصالح الثقة أبو محمّد عبدالعزيز بن أحمد بن عمر بن إبراهيم المقدسي قراءة عليه رحمه الله، أنا محمّد بن أحمد أبو بكر بن محمّد الواسطي الخطيب قراءة عليه، ثنا أبو القاسم عيسى بن عبيدالله بن عبدالعزيز الموصلّي المعروف بـ «المصاحقي» [٣١٩] ثنا أبو الحسن علي بن جعفر بن محمّد الرازي وكيل المسجد الأقصى، ثنا العباس بن أحمد بن عبدالله وأنا سألته، ثنا عبدالله بن أبي عمرة المقدسي، ثنا بكر بن زياد الباهلي، عن عبدالله بن المبارك، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن زرارة بن أبي أوفى، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لما أسرى بي إلى بيت المقدس، مرّ بي جبرئيل إلى قبر إبراهيم عليهما الصلاة والسلام فقال: انزل صلّ ها هنا ركعتين؛ فإنّ هنا قبر أبيك إبراهيم (عليه السلام)، ثمّ مرّ بي إلى بيت لحم فقال: انزل صلّ ها هنا ركعتين؛ فإنّ ها هنا ولد أخوك عيسى (عليه السلام) ثمّ أتى بي إلى الصخرة...» قال: وذكر الحديث. ورواه ابن حبان، عن محمّد بن أحمد بن إبراهيم، ثنا عبدالله بن سليمان بن أبي عمرة، ثنا بكر بن زياد. وإنّما تكلمنا على هذا الحديث للتنبية على الفائدة فيه، وليس بنا ضرورة إلى [صفحة ٢٢٤] إثباته أو نفيه في تحقيق المقصود، لما سبق أن عدم الزيارة في وقت خاص لا يدلّ على عدم الاستحباب. وقوله: «إنّ الصحابة لم يكونوا يزورون شيئاً من هذه البقاع والآثار». فكلامنا إنّما هو في زيارة ساكن البقعة، لا في زيارة البقعة، وقد تقدّم التنبية على الفرق بينهما. ثمّ إنّ هذه شهادة على نفي، يصعب إثباتها؛ وإنّ كنا مستغنين عن منعها أو تسليمها. وقوله: «حتّى أن قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)». هذا هو المقصود في هذه المسألة. وقوله: «لم يثبت عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لفظ بزيارة». قد تقدّم إبطال هذه الدعوى؛ وتحقيق ثبوت الحديث فيها. وقوله: «ولهذا لم يكن على عهد الصحابة والتابعين مشهد يُزار على قبر نبي، ولا غير نبي، فضلاً عن أن يسافر إليه...» إلى آخر كلامه. إن أراد ما يسمّى «مشهداً» فموضع قبره (صلى الله عليه وآله وسلم).

وسلم) لا- يسمّى «مشهداً» وكلامنا إنّما هو فيه، وإن أراد أنه لم يكن في ذلك الزمان زيارة لقبر نبيّ من الأنبياء، فهذا باطل لما قدّمناه. وبقية كلامه؛ وتقسيمة الزيارة إلى: شرعية، وبدعية، سبق الكلام عنه. وفيه اعتراف بمطلق الزيارة، ويلزمه الاعتراف بالسفر إليها، ولا يمنع من ذلك كون نوع منها، يقترب به من بعض الجهال ما هو منهى عنه. فمن ادعى الزيارة من غير انضمام شيء آخر إليها بدعة، فقد كذب وجهل. ومن حرّمها فقد حرّم ما أحله الله تعالى. ومن أطلق التحريم عليها - لأنّ بعض أنواعها محرّم، أو يقترب به محرّم - فهو جاهل. [صفحہ ۲۲۵] وهكذا من امتنع من إطلاق الاستحباب على الزيارة من حيث هي - لوقوع بعض أنواعها من بعض الناس على وجه التحريم - فهو جاهل أيضاً، فإن الصلاة قد تقع على وجه النهي عنه، كالصلاة في الدار المغصوبة، وما أشبه ذلك، ولا يمنع ذلك من إطلاق القول: بأن الصلاة قربة أو واجبة. فهكذا أيضاً الزيارة من حيث هي قربة؛ لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «زوروا القبور» وإن كان بعض أنواعها يقع على وجه منهى عنه، فيكون ذلك الوجه منها منهياً عنه وحده، والحكم بالابتداع على هذا النوع لا يضرنا، ونحن نسلّمه، ونمنع من يفعله، والحكم بالابتداع على المطلق عين الابتداع.

القبور والشرك

وأما الشبهة الثالثة: وهي أنّ من الشرك بالله تعالى اتخاذ القبور مساجد، كما قال طائفة من السلف في قوله تعالى: قَالُوا لَا تَدْرُونَ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُونَ وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا. قالوا: كان هؤلاء قوماً صالحين في (عهد) نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا على صورهم تماثيل، ثم طال عليهم الأمد فعبدوها. وتخيّل ابن تيمية: أنّ منع الزيارة والسفر إليها من باب المحافظة على التوحيد، وأنّ فعلها ممّا يؤدّي إلى الشرك. وهذا تخيّل باطل؛ لأنّ اتخاذ القبور مساجد، والكعوف عليها، وتصوير الصور فيها، هو المؤدّي إلى الشرك، وهو الممنوع منه، كما ورد في الأحاديث الصحيحة، كقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» [۳۲۰] يحذّر ممّا صنعوا. [صفحہ ۲۲۶] وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما أخبر بكيسة بأرض الحبشة: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، ثم صوروا فيه تلك الصورة، أولئك شرار الخلق عند الله». وأما الزيارة والدعاء والسلام، فلا يؤدّي إلى ذلك، ولهذا شرعه الله تعالى على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لما ثبت من الأحاديث المتقدمة عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قولاً وفعلاً، وتواتر ذلك، وإجماع الأئمة عليه. فلو كانت زيارة القبور من التعظيم المؤدّي إلى الشرك - كالتصوير ونحوه - لم يشرعها الله تعالى في حقّ أحد من الصالحين، ولا فعلها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والصحابة في حقّ شهداء أحد والبقيع وغيرهم. وليس لنا أن نحرم إلا ما حرّمه الله وإن تخيلنا: أنّه يفضي إلى محذور، ولا ينبح إلا ما أباحه الله وإن تخيلنا: أنّه لا يفضي إلى محذور. ولما أباح الزيارة وشرعها، وسنّها رسوله، وحظر اتخاذ القبور مساجد، وتصوير الصور عليها، قلنا بإباحة الزيارة ومشروعيتها، وتحريم اتخاذ القبور مساجد والتصوير. فمن قاس الزيارة على التصوير في التحريم، كان مخالفاً للنصّ، كما أنّ شخصاً لو قال بإباحة اتخاذ القبور مساجد إذا لم يفض إلى الشرك، كان مخالفاً للنصّ أيضاً. والوسائل التي لا يتحقّق بها المقصود، ليس لنا أن نجري حكم المقصود عليها إلا - بنصّ من الشارع؛ فإنّ هذا من باب سدّ الذرائع الذي لم يقدّم عليه دليل. فالمفضي إلى الشرك حرام بلا إشكال، وأما الأمور التي قد تؤدّي إليه، وقد لا تؤدّي، فما حرّمه الشرع منها كان حراماً، وما لم يحرّمه كان مباحاً؛ لعدم استلزامه للمحذور. [صفحہ ۲۲۷] وهذه الأمور التي نحن فيها من هذا القبيل: حرّم الشرع منها اتخاذ القبور مساجد، والتصوير، والكعوف على القبور. وأباحت الزيارة، والسلام، والدعاء. وكلّ عاقل يعلم الفرق بينهما، ويتحقّق أنّ النوع الثاني إذا فعل مع المحافظة على آداب الشريعة، لا - يؤدّي إلى محذور، وأنّ القائل بمنع ذلك جملة - سداً للذريعة - متقول على الله، وعلى رسوله، منتقص ما ثبت لذلك المزور من حقّ الزيارة. واعلم: أنّها هنا أمرين لا يبدّ منهما: أحدهما: وجوب تعظيم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله (وسلم) ورفع رتبته عن سائر الخلق. والثاني: إفراد الربوبية؛ واعتقاد أنّ الربّ تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه. فمن اعتقد في أحد من الخلق مشاركة الباري تعالى في ذلك، فقد أشرك وجنى على جانب الربوبية فيما يجب لها، وعلى

الرسول فيما أدى إلى الأئمة من حقها. ومن قصر بالرسول عن شيء من رتبته، فقد جنى عليه فيما يجب له، وعلى الله تعالى بمخالفته فيما أوجب لرسوله. ومن بالغ في تعظيم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنواع التعظيم، ولم يبلغ به ما يختص بالباري تعالى، فقد أصاب الحق، وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعاً، وذلك هو العدل الذي لا إفراط فيه ولا تفريط. ومن المعلوم: أن الزيارة بقصد التبرك والتعظيم، لا تنتهي في التعظيم إلى درجة الربوبية، ولا تزيد على ما نص عليه في القرآن والسنة، وفعل الصحابة من تعظيمه في حياته وبعد وفاته، وكيف يتخيل امتناعها؟! إنا لله وإنا إليه راجعون. [صفحة ٢٢٨] وهذا الرجل قد تخيل: أن الناس بزيارتهم متعرضون للإشراك بالله تعالى، وبنى كلامه كله على ذلك، وكل دليل ورد عليه يصرفه إلى غير هذا الوجه، وكل شبهة عرضت له يستعين بها على ذلك. فهذا داء لا دواء له إلا بأن يلهمه الله الحق. أيرى هو لما زار: قصد ذلك، وأشرك مع الله غيره؟! [صفحة ٢٢٩]

في تتبع كلماته

إشاره

وقد سبق تتبع ما نقلته من خطه في فتيا لم يسأل فيها عن الزيارة قصداً، بل جاء ذكرها تبعاً للكلام في المشاهد. والذي اتصل عنه بالدولة نسخة فتيا نقلت من خطه، وعلى رأسها بخط قاضي القضاة جمال الدين ما صورته: قابلت الجواب عن هذا السؤال المكتوب دونه، في هذه الورقة، على خط تقي الدين ابن تيمية، فصح، سوى ما علم عليه بالأحمر، فإن مواضعه من الورقة التي بخطه وجدتها واهية، وليس ذلك بمحز، إنما المحز جعله زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقبور سائر الأنبياء عليه السلام معصية بالإجماع، مقطوعاً بها. وكتب محمّد بن عبد الرحمان القزويني الشافعي. وقد علم عليها الآن بالأسود في هذه النسخة: [٣٢١]. بسم الله الرحمن الرحيمما يقول السادة العلماء أئمة الدين - نفع الله بهم المسلمين - في رجل نوى زيارة (قبر نبي من الأنبياء) [٣٢٢]، مثل نبينا محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) وغيره، فهل يجوز له في سفره أن يقصر الصلاة؟ وهل هذه الزيارة شرعية أم لا؟ وقد روى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «من حجّ ولم يزرني فقد جفاني» و«من [صفحة ٢٣٠] زارني بعد موتي كمن زارني في حياتي». وقد روى عنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «لا تشد الرحال إلا (إلى ثلاثة مساجد) المسجد الحرام، والمسجد الأقصى [٣٢٣]، ومسجدي هذا». أفتونا مأجورين.

صورة فتوى ابن تيمية التي استنكرها علماء الملة الإسلامية

صورة ما وجد بخط تقي الدين بن تيمية (رحمه الله) مكتوباً تحت هذا السؤال، جواباً عنه: الحمد لله (رب العالمين). أمّا من سافر لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين، فهل يجوز له قصر الصلاة؟ على قولين معروفين: أحدهما - وهو قول متقدمي العلماء الذين لا يجوزون القصر في سفر المعصية، كأبي عبد الله بن بطة، وأبي الوفاء بن عقي، وطوائف كثيرة من العلماء المتقدمين - أنه لا يجوز القصر في مثل هذا السفر؛ لأنه سفر منهي عنه. ومذهب مالك والشافعي وأحمد: أن السفر المنهي عنه في الشريعة لا يقصر فيه. والقول الثاني: أنه يقصر فيه، وهذا قول من يجوز القصر في السفر المحرم، كأبي حنيفة (رحمه الله)، ويقول بعض المتأخرين من أصحاب الشافعي وأحمد ممن يجوز السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين، كأبي حامد الغزالي، وأبي الحسين بن عبدوس الحزاني، وأبي محمّد بن قدامة المقدسي، وهؤلاء يقولون: إن هذا السفر ليس بمحرم؛ لعموم قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «زوروا القبور». وقد يحتج بعض من لا يعرف الأحاديث بالأحاديث المروية في زيارة قبر [صفحة ٢٣١] النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كقوله: «من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي» رواه الدارقطني وابن ماجه [٣٢٤]. وأمّا ما يذكره بعض الناس من قوله: «من حجّ ولم يزرني فقد جفاني» فهذا لم يروه أحد من العلماء، وهو مثل قوله: «من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد، ضمنت له على الله الجنة» فإن هذا أيضاً باطل باتفاق العلماء لم

يروه أحد، ولم يحتج به واحد [٣٢٥]، وإنما يحتج بعضهم بحديث الدارقطني [٣٢٦]. وقد احتج أبو محمد المقدسي على جواز السفر لزيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقبور الأنبياء: بأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يزور مسجد قباء، وأجاب عن حديث: «لا تشد الرحال» بأن ذلك محمول على نفي الاستحباب. وأما الأولون فإنهم يحتجون بما في «الصحيحين» عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدى هذا». وهذا الحديث مبرهاً اتفق الأئمة على صحته والعمل به. فلو نذر الرجل أن يصل في مسجد أو مشهد، أو يعتكف فيه، أو يسافر إليه [٣٢٨] غير هذه الثلاثة، لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة. [صفحة ٢٣٢] ولو نذر أن (يسافر و) يأتي المسجد الحرام بحج أو عمرة، وجب عليه ذلك باتفاق العلماء. ولو نذر أن يأتي مسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو المسجد الأقصى لصلاة أو اعتكاف، وجب عليه الوفاء بهذا النذر عند مالك والشافعي (في أحد قوليه) وأحمد، ولم يجب عند أبي حنيفة؛ لأنه لا يجب عنده بالنذر إلا ما كان (من) جنسه واجباً بالشرع. وأما الجمهور فيوجبون الوفاء بكل طاعة؛ لما ثبت في «صحيح البخاري» [٣٢٩] عن عائشة: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه» والسفر إلى المسجدين طاعة، فلهذا وجب الوفاء به. وأما السفر إلى بقعة غير المساجد الثلاثة، فلم يوجب أحد من العلماء السفر إليه إذا نذره؛ حتى نص العلماء على أنه لا يسافر إلى مسجد قباء؛ لأنه ليس من (المساجد) الثلاثة، مع أن مسجد قباء يستحب زيارته لمن كان في المدينة؛ لأن ذلك ليس بشد رحل، كما في الحديث الصحيح: «من تطهر في بيته، ثم أتى مسجد قباء لا يريد إلا الصلاة فيه، كان كعمرة». قالوا: ولأن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة؛ لم يفعلها أحد من الصحابة والتابعين، ولا أمر بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا استحبت ذلك أحد من أئمة المسلمين، فمن اعتقد ذلك عبادةً وفعلها [٣٣٠] فهو مخالف للسنة، ولإجماع الأئمة. وهذا مما ذكره أبو عبد الله بن بطه في «إبانته الصغرى» من البدع المخالفة للسنة والإجماع. وبهذا يظهر ضعف [٣٣١] حجة أبي محمد (المقدسي)، فإن زيارة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله [صفحة ٢٣٣] لمسجد قباء لم تكن بشد رحل، وهو يدلهم [٣٣٢] أن السفر إليه لا يجب بالنذر. وقوله: إن قوله: «لا تشد الرحال» محمول على نفي الاستحباب، يحتمل [٣٣٣] وجهين: أحدهما: أن هذا تسليم منه أن هذا السفر ليس بعمل صالح، ولا قرينة، ولا طاعة، ولا هو من الحسنات، فإذن من اعتقد في السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين أنها قرينة وعبادة وطاعة، فقد خالف الإجماع، وإذا سافر لاعتقاده أنها طاعة كان ذلك محرماً بإجماع المسلمين، فصار التحريم (من الأمر المقطوع به) [٣٣٤]، ومعلوم أن أحداً لا يسافر إليها إلا لذلك. وأما إذا قدر [٣٣٥] أن الرجل يسافر إليها لغرض مباح، فهذا جائز، وليس من هذا الباب. الوجه الثاني: أن النفي يقتضي النهي [٣٣٦]، والنهي يقتضي التحريم. وما ذكروه من الأحاديث في زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فكلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث، بل هي موضوعة! لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئاً منها! ولم يحتج أحد من الأئمة بشيء منها!! [٣٣٧] بل مالك - إمام أهل المدينة النبوية، الذين هم أعلم الناس بحكم هذه [صفحة ٢٣٤] المسألة - كره أن يقول: «زرت قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)» ولو كان هذا اللفظ هو معروفاً عندهم، أو مشروعاً، أو مأثوراً عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكرهه عالم (أهل) المدينة!! والإمام أحمد - أعلم الناس في زمانه بالسنة - لم يسئل عن ذلك لم يكن عنده ما يعتمد عليه، (في ذلك من الأحاديث) إلا - حديث أبي هريرة: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «ما من رجل يسلم على إلا رد الله على روحه حتى أورد عليه السلام» وعلى هذا اعتمد أبو داود في سننه [٣٣٨]. وكذلك مالك في «الموطأ» [٣٣٩] روى عن عبد الله بن عمر: أنه كان إذا دخل المسجد قال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت، ثم ينصرف. وفي «سنن أبي داود»: عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «لا تتخذوا قبري عيداً، وصلوا عليّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم» [٣٤٠]. وفي «سنن سعيد بن منصور» [٣٤١]: أن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، رأى رجلاً - يختلف إلى قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) - يدعو عنده، فقال: يا هذا، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «لا تتخذوا قبري عيداً، وصلوا عليّ حيث ما كنتم؛ فإن صلاتكم تبلغني» فما أنت ورجل بالأندلس إلا سواء. وفي «الصحيحين»: عن (عائشة، عن) النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال

في مرض موته: «لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» [٣٤٢] يحذر ما فعلوا. قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجداً. [صفحة ٢٣٥] فهم دفنوه (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحراء؛ لئلا يصلّى أحد عند قبره، ويتخذ مسجداً، فيتخذ قبره وتناً. وكان الصحابة والتابعون - لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد إلى زمان الوليد بن عبد الملك - لا يدخل أحد (إلى عنده) [٣٤٣] لا لصلاة هنالك، ولا لمسح بالقبر، ولا دعاء هناك، بل هذا جميعه إنما يفعلونه في المسجد. وكان السلف من الصحابة والتابعين إذا سلّموا عليه وأرادوا الدعاء، دعوا مستقبل القبلة، ولم يستقبلوا القبر. وأما وقت [٣٤٤] السلام عليه، فقال أبو حنيفة (رحمه الله): يستقبل القبلة أيضاً، ولا يستقبل القبر. وقال أكثر الأئمة: (بل يستقبل القبر عند السلام خاصة، ولم يقل أحد من الأئمة: إنه يستقبل القبر) [٣٤٥] عند الدعاء، إلا في حكاية مكذوبة تروى عن مالك، ومذهبه بخلافها. واتفق الأئمة على أنه لا يتمسح بقبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا يقبله. وهذا كله محافظة على التوحيد؛ فإن من أصول الشرك بالله اتخاذ القبور مساجد، كما قال طائفة من السلف في قوله تعالى: وَقَالُوا لَا تَدْرُونَ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُونَ وَذًا وَلَا سَوَاءًا وَلَا يَْعُوْثٌ وَيَعُوْقٌ وَنَشِيْرًا. قالوا: هؤلاء كانوا قومًا صالحين في قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا على صورهم تماثيل، ثم طال عليهم الأمد فعبدوها. وقد ذكر هذا المعنى البخاري في صحيحه [٣٤٦] عن ابن عباس، وذكره ابن [صفحة ٢٣٦] جرير الطبري [٣٤٧] وغيره في التفسير عن غير واحد من السلف، وذكره وثيمه وغيره في «قصص الأنبياء» من عدة طرق، وقد بسط الكلام على أصول هذه المسائل في غير هذا (الموضع) [٣٤٨]. (وأول من وضع الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور هم أهل البدع من الرافضة ونحوهم، الذين يعطلون المساجد، ويعظمون المشاهد، يدعون بيوت الله التي أمر أن يذكر فيها اسمه ويعبد وحده لا شريك له، ويعظمون المشاهد التي يشرك فيها ويكذب فيها ويبتدع فيها ما [٣٤٩] لم ينزل الله به سلطانا). والكتاب والسنة إنما فيهما ذكر المساجد دون المشاهد، كما قال الله تعالى: قُلْ أَمْرٌ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوْهُكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ. وقال الله تعالى: إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ... الآية. وقال الله تعالى: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا. وقال الله تعالى: وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ. وقال الله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا... الآية. وقد ثبت عنه في الصحيح أنه كان يقول: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك». [صفحة ٢٣٧] والله سبحانه أعلم، كتبه أحمد بن تيمية. هذا صورة خطه من أول الجواب إلى هنا [٣٥٠].

الرد على فتوى ابن تيمية

قلت: أميا قوله: «من سافر بمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين، فهل يجوز له قصر الصلاة؟ على قولين معروفين». فيرد عليه فيه أسئلة: أحدها: أن زيارة قبور الأنبياء والصالحين إما أن تكون عنده قربة، أو مباحة، أو معصية. فإن كانت معصية فلا حاجة إلى قوله: «مجرد» فإن القولين في سفر المعصية سواء تجرد قصد المعصية، أم انضم إليه قصد آخر. وإن كانت قربة لم يجر فيها القولان، بل يقصر بلا خلاف. وإن كانت مباحة، فالمسافر لذلك له حالتان: إحداهما: أن يسافر معتقداً أن ذلك من المباحات المستوية الطرفين، فيجوز القصر أيضاً بلا خلاف، ولا إشكال في ذلك، كالسفر لسائر الأمور المباحة. والثانية: أن يسافر معتقداً أن ذلك قربة وطاعة، وهذا سيأتي الكلام فيه. وعلى تقدير أن يسلم له ما يقول، يكون كلامه هنا مطلقاً في موضع التفصيل، فهو على التقديرين الأولين خطأ صريح، وعلى التقدير الثالث خطأ بالإطلاق في موضع التفصيل. السؤال الثاني: أنه بنى كلامه في ذلك على أن هذا السفر مختلف في تحريمه، فقد قدمنا إنكار هذا الخلاف، وأنه لم يتحقق صحته إلا - ما وقع في كلام [صفحة ٢٣٨] ابن عقيل، وقد قدمنا الكلام عليه. وعلى تقدير صحته وعدم تأويله، لم يتعرض فيه لقبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا يجوز أن ينقل عنه فيه بخصوصه شيء، من إطباق الناس على السفر إليه. وابن تيمية (رحمه الله) نقل المنع من القصر فيه عن ابن بطه، وابن عقيل، وطوائف كثيرين من العلماء

المتقدمين. وهو مطلوب بتحقيق هذا النقل؟ وتبين هؤلاء الطوائف الكثيرين من المتقدمين؟ السؤال الثالث: أنه جعل المنع من القصر قول متقدمي العلماء، كابن بطه، وابن عقيل، فجعل ابن عقيل من المتقدمين. ثم جعل القول بجواز القصر قول أبي حنيفة (رحمه الله) وبعض المتأخرين من أصحاب الشافعي وأحمد، كالغزالي وغيره. والغزالي في طبقة ابن عقيل، بل تأخرت وفاته عنه، فإن وفاة الغزالي في سنة خمس وخمسمائة، ووفاة ابن عقيل في سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، فكيف يجعل ابن عقيل من المتقدمين، والغزالي من المتأخرين؟! وليس ابن تيمية (رحمه الله) ممن يخفى عنه طبقتهم، فإن كان مراده بجعله ابن عقيل من المتقدمين أن (يقوى) قوله عند العوام لاختياره إياه، وبجعله الغزالي من المتأخرين أن يضعف قوله عند العوام، فليس ذلك صنيع أهل العلم! وقوله: إن «من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي» رواه ابن ماجه، ليس كذلك؛ لم أره في «سنن ابن ماجه» [٣٥١]. قوله: «من حج ولم يزرني فقد جفاني» لم يروه أحد من العلماء! [صفحة ٢٣٩] ليس بصحيح، وقد قدمنا [٣٥٢] من رواه وإن كان ضعيفاً. قوله: «لو نذر الرجل أن يصلّي في مسجد أو مشهد، أو يعتكف فيه، أو يسافر إليه غير هذه الثلاثة، لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة». ليس بصحيح، فإن في مذهب الشافعي وجهين مشهورين فيما إذا نذر الاعتكاف في مسجد معين غير المساجد الثلاثة، هل يتعين كما تتعين المساجد الثلاثة، أو لا؟ قوله: «حتى نص العلماء على أنه لا يسافر إلى مسجد قباء؛ لأنه ليس من الثلاثة». ليس كذلك عن العلماء كلهم، فإن المنقول عن الليث بن سعد: أنه متى نذر مسجداً لزمه من المساجد الثلاثة وغيرها. والمنقول عن بعض المالكية: أنه يجوز إعمال المطي غير الناذر مطلقاً، وحمل على ذلك إتيان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مسجد قباء، فإنه كان بغير نذر. فهذان المذهبان يردان قوله: «إن العلماء نصوا على أنه لا يسافر إلى مسجد قباء». قوله: «قالوا: ولأن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين، بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة، ولا التابعين، ولا أمر بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا استحبت ذلك أحد من أئمة المسلمين، فمن اعتقد ذلك عبادةً وفعلها فهو مخالف للسنة، ولإجماع الأئمة». هذا من البهت الصريح، وقد قدمنا من فعل ذلك من الصحابة والتابعين، ومن استحبه من علماء المسلمين وأئمتهم، فجدد ذلك مباحته. ثم قوله: «قالوا» وجعله ذلك على لسان غيره، إن كان مراده به أن يخلص من تبعته عند [صفحة ٢٤٠] المخالفة، فليس ذلك من دأب العلماء. ثم هو مطلوب بنقل هذا القول برمته عن المتقدمين الذين نسبه إليهم، أو عن بعضهم؛ ثم نسبه ذلك إلى غيره لا تخلصه؛ لأنه إنما حكاها حكاية من يرتضيه وينتصر له، ويفتي به العوام، ويغريهم على اعتقاده، ولا يفرق العامي الذي يسمع هذه الفتيا بين أن يذكره عن نفسه، أو حاكياً عن غيره. وقوله: «وهذا مما ذكره أبو عبد الله بن بطه في إبانته الصغرى». قلنا: قد ذكرنا عن ابن بطه في الإبانة ما يخالف هذا في حق قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). ورأيت من يذكر أن لابن بطه إبانيتين، وأن الذي نقله ابن تيمية (رحمه الله) من الصغرى، والذي نقلناه من الكبرى، فإن صح ذلك، وصح ما نقله ابن بطه في الصغرى، فيحمل على غير قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) توفيقاً بين الكلامين، وإن قال ابن بطه خلاف ذلك لم يلتفت إليه. وقد ذكر الخطيب ابن بطه في «تاريخ بغداد» [٣٥٣] وحكى كلام المحدثين فيه من جهة دعوى سماع ما لم يسمع، وقول أبي القاسم الأزهرى فيه: إنه ضعيف، ضعيف، ليس بحجة. وذكر عنه، عن البغوي، عن مصعب، عن مالك، عن الزهرى، عن أنس، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «طلب العلم فريضة على كل مسلم» وقال: إنه باطل من حديث مالك ومن حديث مصعب عنه، ومن حديث البغوي عن مصعب، وهو موضوع بهذا الإسناد، والحمل فيه على ابن بطه، هكذا قال في التاريخ. وحكى مع ذلك أيضاً: أنه كان شيخاً صالحاً مستجاب الدعوة، فالله تعالى يسلمنا من إثمِهِ. وإنما أردنا أن نبين حاله ليعلم الناظر: أنه على تقدير صحة النقل عنه ليس [صفحة ٢٤١] ممن يبعد في كلامه الخطأ. وقوله: «إن قول أبي محمّد المقدسي: إن قوله: «لا تشد الرحال» محمول على نفى الاستحباب، يحتمل وجهين: أحدهما: أن هذا تسليم منه أن هذا السفر ليس بعمل صالح، ولا قرب، ولا طاعة، ولا هو من الحسنات، فإذن من اعتقد في السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين أنها قرب وعبادة وطاعة، فقد خالف الإجماع. واعلم: أن هذا الكلام في غاية الإيهام والفساد. أما الإيهام، فلأن بعض من يراه يتوهم: أنه استنتج مما سبق انعقاد الإجماع على أن ذلك ليس بقرب، ونحن قد قدمنا عن الليث بن سعد وبعض المالكية ما يقتضي: أن السفر إلى غير المساجد الثلاثة قرب، فبطل التعرض لدعوى الإجماع، وإنما مقصود

ابن تيمية (رحمه الله) إلزام أبي محمد المقدسى على قوله: إن «لا تشد الرحال» محمول على نفي الاستحباب. وعلى تقدير أن هذا تسليم منه، لأنّ هذا السفر ليس بعمل صالح، فغاية ما يلزم من هذا أن هذا السفر ليس بقربة، وأن من اعتقد أنه قربة فقد خالف أبا محمّد. وأين ذلك من مخالفة الإجماع؟! أو أَمَا فساده، فلاّن أبا محمّد إنّما تكلم في جواز القصر، ومقصوده إثبات الإباحة، فإنها كافية فيه، فنفي توهم التحريم بحمل الحديث على نفي الفضيلة؛ أي لا يستحب شد الرحال إلى مكان إلا إلى الثلاثة. ومع هذا لا بد فيه من تأويل؛ لأنّ السفر مستحب لطلب العلم وغيره إلى غيرها. فالمقصود لا يستحب إليها من حيث هي، وقد يكون هناك أمر آخر يقتضى الاستحباب أو الوجوب، ولا مانع بكون قصد زيارة شخص مخصوص أو [صفحة ٢٤٢] أشخاص، ممّا يقتضى الاستحباب، ولم يتعرّض أبو محمّد لذلك؛ لأنّه لم يتكلم فيه، وإنّما تكلم في جواز القصر، فاقصر على ما يكفى فيه؛ وهو إثبات الإباحة. وقوله: «وإذا سافر لاعتقاده أنّها طاعة، كان ذلك محرّمًا بإجماع المسلمين، فصار التحريم من الأمر المقطوع به». هذا أيضًا موهم وفساد: أَمَا إيهامه، فلاّن كثيرًا ممّن يسمعه يظنّ أنّ هذا كلام مبتدأ، ادعى فيه انعقاد الإجماع على التحريم، وأنّ ذلك مقطوع به، وكأنّ ابن تيمية أراد ذلك، وجعله معطوفًا على إلزام الشيخ أبي محمّد، حتّى إذا حوَّق فيه يتخلّص من دركه بجعله معطوفًا. وليس هذا دأب من يبغى الإرشاد، بل من يبغى الفساد. وأَمَا فساده، فلاّن لو سلّمنا أنّ السفر ليس بطاعة بالإجماع، فسافر شخص معتقدًا أنّه طاعة، كيف يكون سفره محرّمًا بإجماع المسلمين، أو على قول عالم من علماء المسلمين؟! فإنّ من فعل مباحًا معتقدًا أنّه قربة لا يآثم، ولا يوصف ذلك بكونه محرّمًا، بل إن كان اعتقاده ذلك لما ظنّه دليلًا، وليس بدليل، وقد بذل وسعه في ذلك، كان مثابًا عليه بمقتضى ظنّه، وإلا كان جهلاً، ولا إثم عليه فيه، ولا أجر، وفعله موصوف بالإباحة على حاله. فمن أين يأتي وصفه بالتحريم؟! وإنّما يأتي هذا الكلام في المباح إذا فعله على وجه العبادة، مع اعتقاده أنّه ليس بعبادة، فهذا يآثم به، ويكون حرامًا؛ لأنّه تقرب إلى الله تعالى بما ليس بقربة عند الله تعالى، ولا في ظنّه. ومن هنا نشأ الغلط في هذه المسألة وهكذا سائر البدع. ومن ابتدع عبادة فعلية إثم ابتداعه؛ لأنّه أدخل في الدين ما ليس منه، وإثم [صفحة ٢٤٣] فعله؛ لأنّه تقرب بما يعتقد أنّه ليس من الدين. وأمّا من قلّده من العوامّ: فإن كان ذلك ممّا يسوغ فيه التقليد كالفروع، وفعله معتقدًا أنّه عبادة شرعيّة، فلا إثم عليه. وإن كان ممّا لا يسوغ فيه التقليد، كأصول الدين، فعليه الإثم. ومسألتنا هذه من الفروع، فلو فرضنا أنّه لم يقل أحد باستحباب السفر، وفعله شخص على جهة الاستحباب، معتقدًا ذلك لشبهة عرضت له، لم يحرم، ولم يآثم. فكيف، وكلّ الناس قائلون باستحبابه؟! وقوله: «ومعلوم أنّ أحدًا لا يسافر إليها إلا لذلك». هذا يقتضى أنّ كلامه ليس في أمر مفروض، بل في الواقع الذى عليه الناس، وأنّ الناس كلّهم إنّما يسافرون لاعتقادهم أنّها طاعة، والأمر كذلك. ويقتضى على زعمه أنّ سفر جميعهم محرّم بإجماع المسلمين! فإنّا لله، وإنا إليه راجعون، أيكون جميع المسلمين في سائر الأعصار، من سائر أقطار الأرض، مرتكبين لأمر محرّم، مجمعين عليه؟! فهذا الكلام من ابن تيمية (رحمه الله) يقتضى تضليل الناس كلّهم، القاصدين لزيارة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعصيتهم. وهذه عشرة لا تقال، ومصيبة عظيمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم. وقوله: «وأما إذا قدر أنّ الرجل يسافر إليها لغرض مباح، فهذا جائز، وليس من هذا الباب». مفهوم هذا الكلام أنّ غرض الزيارة ليس بمباح. وقوله: «الوجه الثانى: أنّ النفي يقتضى النهى، والنهي يقتضى التحريم». ظاهر صدر كلامه أنّ كلام أبي محمّد يحتمل وجهين هذا ثانيهما، وإنّما يتّجه [صفحة ٢٤٤] هذا الوجه الثانى على سبيل الردّ لقول أبي محمّد؛ يعنى أنّ حمله على نفي الاستحباب خلاف الظاهر؛ لأنّه نفي، والنفي يقتضى النهى، والنهي يقتضى التحريم. وجواب هذا بالدليل المانع من حمله على التحريم، وتعيّن المصير إلى المجاز. على أنّ هذه العبارة فاسدة؛ لأنّ النفي لا يقتضى النهى، وإنّما يستعمل فيه على سبيل المجاز، نعم قد يقال: بأنّ النهى يقتضى النفي على العكس ممّا قال، أمّا كون النفي يقتضى النهى فلا يقول به أحد، وإنّما مراده أنّه نفي بمعنى النهى. وإذا عرف هذا، فلاّبي محمّد أن يقول: لا شكّ أنّ حقيقة النفي خبر؛ لا يقتضى تحريمًا، ولا كراهة. والنهي له معنيان؛ أحدهما: هو فيه حقيقة؛ وهو التحريم، والآخر: هو فيه مجاز؛ وهو الكراهة. فإذا صرف النفي عن حقيقة الخبريّة إلى معنى النهى، احتتمل أن يستعمل في التحريم أو الكراهة، وأيًا ما كان فاستعماله فيه مجاز؛ لأنّ الخبر غير موضوع له، فإنّ رجح استعماله في التحريم لبعض المرجّحات، كان ذلك من باب ترجيح بعض

المجازات على بعض، وقد يكون ذلك الترجيح معارضاً بترجيح آخر. فلأبي محمد أن يمنع كون اللفظ المذكور حقيقة في التحريم أو ظاهراً فيه؛ فإنّ الخبر ليس مستعملاً في لفظ النهي، بل في معناه، ومعناه منقسم إلى الحقيقي والمجازي. فإن قيل: النهي النفساني شيء واحد؛ وهو طلب الترك الجازم المانع من النقيض، وما سواه ليس بنهي حقيقة، فإذا ثبت أنّ المراد بالخبر النهي ثبت التحريم. قلنا: حينئذ، يمنع أنّ المراد بالخبر النهي. [صفحة ٢٤٥] وقوله: «إنّ ما ذكره من الأحاديث في زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فكلّها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث، بل هي موضوعة؛ لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئاً منها». قد بينا بطلان هذه الدعوى في أول هذا الكتاب [٣٥٤]. وما روى (عن) مالك من كراهة قوله: «زرت قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)» بينا مراده في الباب الرابع [٣٥٥]. قوله: «ولو كان هذا اللفظ مشروعاً... إلى آخره». كلام في غير محلّ النزاع؛ لأنّ النزاع ليس في اللفظ، ولم يسأل عنه، وإنّما هو في المعنى. وما ذكره عن أحمد وأبي داود ومالك في «الموطأ» فكلّه حجة عليه، لا له؛ لأنّ المقصود معنى الزيارة، وهو حاصل من تلك الآثار. وأما حديث «لا تتخذوا قبري عيداً» فقد تقدّم الكلام عليه [٣٥٦]. وحديث «لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». لا يدلّ على مدّعاه؛ لأنّنا لم نتّخذ مسجداً، فإن أراد قياس الزيارة عليه فقد سبق الكلام في ذلك. قوله: «فهم دفنوه في حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحراء؛ لئلا يصلى أحد عنده قبره، ويتّخذ مسجداً، فيتّخذ قبره وثناً». هذا ليس بصحيح، وإنّما دفنوه في حجرة عائشة لما روى لهم: «إنّ الأنبياء يُدفنون حيث يُقبضون» بعد اختلافهم في أين يدفن؟ فلمّا روى لهم الحديث المذكور دفنوه هناك، وهذا من الأمور المشهورة التي يعرفها كلّ أحد، ولم يقل [صفحة ٢٤٦] أحد: إنهم دفنوه هناك للغرض الذي ذكره. قوله: «وكان الصحابة والتابعون لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد، لا يدخل أحد إلى عنده لا لصلاة هنالك، ولا لمسح بالقبر، ولا دعاء هناك». فنقول: إنّ هذا لا يدلّ على مقصوده، ونحن نقول: إنّ من أدب الزيارة ذلك، ونهى عن التمسّح بالقبر والصلاة عنده. على أنّ ذلك ليس ممّا قام الإجماع عليه. فقد روى أبو الحسين يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله الحسيني في كتاب «أخبار المدينة» قال: حدّثني عمر بن خالد، ثنا أبو نباتة، عن كثير بن زيد، عن المطّلب بن عبد الله بن حنّط قال: أقبل مروان بن الحكم، فإذا رجل ملتزم القبر، فأخذ مروان برقبته، ثم قال: هل تدري ماذا تصنع؟ فأقبل عليه فقال: نعم، إنّني لم آت الحجر، ولم آت اللين، إنّما جئت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله. قال المطّلب: وذلك الرجل أبو أيوب الأنصاري (رضي الله عنه) [٣٥٧]. قلت: وأبو نباتة يونس بن يحيى ومن فوّه ثقات. وعمر بن خالد: لم أعرفه، فإن صحّ هذا الإسناد لم يكره مسّ جدار القبر. وإنّما أردنا بذكره القدر في القطع بكراهة ذلك. قوله: «وكان السلف من الصحابة والتابعين إذا سلّموا عليه وأرادوا الدعاء، دعوا مستقبلي القبلة، ولم يستقبلوا القبر». [صفحة ٢٤٧] هذا فيه اعتراف بدعاء السلف عند السلام، وتركهم الدخول إلى الحجرة مبالغاً في الأدب، وتركهم استقبال القبر عند الدعاء - إن صحّ - لا يدلّ على إنكار الزيارة، ولا على إنكار السفر لها. قوله: «وأما وقت السلام عليه فقال أبو حنيفة (رحمه الله): يستقبل القبلة أيضاً». هو كذلك، ذكره أبو الليث السمرقندي في الفتاوى، عطفاً على حكاية حكاها الحسن بن زياد عن أبي حنيفة (رحمه الله). وقال السروجي الحنفي: يقف عندنا مستقبل القبلة. قال الكرمانى: وعن أصحاب الشافعي وغيره: يقف وظهره إلى القبلة، ووجهه إلى الحظيرة، وهو قول ابن حنبل. واستدلّت الحنفية: بأنّ ذلك جمع بين عبادتين. وقول أكثر العلماء: استقبال القبر عند السلام، وهو الأحسن والآدب؛ فإنّ الميت يعامل معاملة الحيّ، والحيّ يسلم عليه مستقبلاً، فكذلك الميت، وهذا لا ينبغي أن يتردّد فيه. وقوله: «إنّ أكثر العلماء قالوا: يستقبله عند السلام خاصية». التقييد بقوله: «خاصية» يُطلب بنقله؛ بل مقتضى كلام أكثر العلماء من الشافعية والمالكية والحنابلة: الاستقبال عند السلام والدعاء. وذكر النقل في استقبال القبلة عن أبي حنيفة (رحمه الله) ليس في المشهور من كتب الحنفية، بل غالب كتبهم ساكتة عن ذلك. وقد قدّمنا [٣٥٨] عن أبي حنيفة (رحمه الله) أنه قال: جاء أيوب السخيتاني فدنا من قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاستدبر القبلة، وأقبل بوجهه إلى القبر. وقال إبراهيم الحربي في مناسكه: تولّى ظهره إلى القبلة، وتستقبل وسطه؛ يعني [صفحة ٢٤٨] القبر، ذكره الآجري عنه في كتاب الشريعة، وذكر السلام والدعاء. قوله: «ولم يقل أحد من الأئمة: أنّه يستقبل القبر عند الدعاء، إلّا في حكاية

مكذوبة تروى عن مالك، ومذهبه بخلافها». أما إنكاره ذلك عن أحد من الأئمة: فقد قدمنا عن أبي عبدالله السامريّ الحنبلّي صاحب كتاب «المستوعب في مذهب أحمد» أنّه قال: يجعل القبر تلقاء وجهه، والقبلة خلف ظهره، والمنبر عن يساره، وذكر كيفية السلام والدعاء إلى آخره. وظاهر ذلك أنّه يستقبل القبلة في السلام والدعاء جميعاً. وهكذا أصحابنا وغيرهم، إطلاق كلامهم يقتضى أنّه لا فرق في استقبال القبر بين حالتي السلام والدعاء، وكذا ما قدمناه الآن عن إبراهيم الحربيّ. وقد صرح أصحابنا بأنّه يأتي القبر الكريم، فيستدبر القبلة، ويستقبل جدار القبر، ويبعد من رأس القبر نحو أربعة أذرع، فيسلم على النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ثمّ يتأخّر عن صوب يمينه، فيسلم على أبي بكر (رضي الله عنه)، ثمّ يتأخّر أيضاً، فيسلم على عمر (رضي الله عنه)، ثمّ يرجع إلى موقفه الأوّل قبالة وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويتوسّل به في حقّ نفسه، ويستشفع به إلى ربّه سبحانه وتعالى ويقول حكاية العتبيّ [٣٥٩]، ثمّ يتقدّم إلى رأس القبر، فيقف بين القبر والأسطوانة التي هناك، ويستقبل القبلة، ويحمد الله تعالى ويمجّده، ويدعو لنفسه ولوالديه ومن شاء بما أحبّ. [صفحة ٢٤٩] وحاصله: أنّ استقبال القبلة في الدعاء حسن، واستقبال القبر أيضاً حسن، لا سيّما حالة الاستشفاع به ومخاطبته، ولا أعتقد أنّ أحداً من العلماء كره ذلك، ومن ادعى ذلك فليثبته. وقوله: «إنّ الحكاية عن مالك مكذوبة». فقد قدمنا أنّ هذه الحكاية رواها القاضي عياض، عن القاضي أبي عبدالله محمّد بن عبدالرحمان الأشعريّ، وأبي القاسم أحمد بن بقّي الحاكم، وغير واحد فيما أجازوه، قالوا: ثنا أحمد بن عمر بن دلهات، ثنا عليّ بن فهر، ثنا محمّد بن أحمد بن الفرّج، ثنا أبو الحسن عبدالله بن المنتاب، ثنا يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل، ثنا ابن حميد قال: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)... فذكرها. إلى أن قال أبو جعفر: يا أبا عبدالله، أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فقال: ولمّ تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم (عليه السلام) إلى الله تعالى يوم القيامة؟! بل استقبله واستشفع به، فيشفّعك الله تعالى. هكذا ذكرها القاضي عياض في «الشفاء» في الباب الثالث في تعظيم أمره، ووجوب توقيره وبرّه (صلى الله عليه وآله وسلم) في رواية ابن وهب: وهو إذا سلّم على النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ودعا، يقف وجهه إلى القبر، لا إلى القبلة، ويدنو ويسلم، ولا يمسّ القبر بيده. فهذا نصّ عن مالك من طريق أجلّ أصحابه - وهو عبدالله بن وهب أحد الأئمة الأعلام - صريح في أنّه يستقبل عند الدعاء القبر، لا القبلة. [صفحة ٢٥٠] وذكر القاضي عياض أنّه قال في «المبسوط»: لا أرى أن يقف عند القبر يدعو، ولكن يسلم ويمضي [٣٦٢]. قلت: فالاختلاف بين «المبسوط» ورواية ابن وهب في كونه يقف للدعاء أو لا، وليس في الاستقبال. وقد قدمنا عن كثير من كتب المالكية أنّه يقف ويدعو، ولم نرّ أحداً منهم قال: بأنّه إذا وقف عند القبر يستدبره ويدعو، ولا يجعله إلى جانبه. فكيف يحلّ لذي علم أن يدعى: أنّ مذهب مالك، بل مذهب جميع العلماء، بخلاف الحكاية المذكورة. ويجعل ذلك وسيلة إلى تكذيبها وتكذيب ناقلها بمجرد الوهم والخيال! من غير دليل اقتضى له ذلك إلاّ مجرد شيء قام في نفسه؟! وقد ذكر القاضي عياض إسنادها، وهو إسناد جيد: أمّا القاضي عياض: فناهيك به نبلا وجلالة وثقة وأمانة وعلماً ومجمعاً عليه. وشيخه أبو القاسم أحمد بن محمّد بن أحمد بن مخلّد بن عبدالرحمان بن أحمد ابن بقّي بن مخلّد: من بيت العلم والجلالة، ذكره ابن بشكوال، وذكر شيوخه الذين سمع منهم، ثمّ قال: وكتب إليه أبو العباس العذريّ بالإجازة، وشوور بالأحكام بقرطبة، فصار صدر المفتين بها لسنّه وتقدّمه، وهو من بيت علم ونباهة، وفضل وصيانة، وكان ذاكراً للمسائل والنوازل، درياً بالفتوى، بصيراً بنقد الشروط وعللها، مقدّماً في معرفتها، أخذ الناس عنه، ولد في شعبان سنة ستّ وأربعين وأربعمائة، وتوفّي في سلخ سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة. وذكر ابن بشكوال أيضاً أبا عبدالله محمّد بن عبدالرحمان بن عليّ بن سعيد بن عبدالله بن سيرين: يكنى أبا عبدالله، كان من أهل العلم والمعرفة والفهم، عالماً بالفروع والأصول، واستقضى بإشبيلية، وحمدت سيرته، توفّي سنة ثلاث [صفحة ٢٥١] وخمسمائة، كتب إلى القاضي أبو الفضل بوفاته [٣٦٣] قلت: والظاهر أنّه الذي وصفه القاضي عياض بالأشعريّ. وشيخهم أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس بن دلهات العدويّ: قال أبو القاسم خلف بن عبدالملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال: رحل إلى المشرق مع أبويه سنة سبع وأربعمائة، وصلوا إلى بيت الله

الحرام في شهر رمضان سنة ثمان، وجاوروا أعواماً، وانصرف عن مكة سنة ست عشرة، فسمع بالحجاز سماعاً كثيراً، وصحب الشيخ الحافظ أبا ذر الهروي، وسمع منه «صحيح البخاري» سبع مرات، وكان معتنياً بالحديث ونقله، وروايته وضبطه، مع ثقته وجلالة قدره، وعلو إسناده، سمع الناس منه، وحدث عنه كبار العلماء: ابن عبد البر، وابن حزم، وأبو علي الغساني وجماعة. قال أبو علي: أخبرني أبو العباس أن مولده في ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، وتوفي في آخر شعبان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، ودفن بالمدينة. وشيخه أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن فهر الرازي المصري الحافظ: روى عن الحسن بن رشيق، وإسماعيل بن أبي محمد الأزدي، وروى مسند «الموطأ» عن مؤلفه (في) [٣٦٤] الحرم، وسمعه منه بمصر، روى عنه البيهقي. وشيخه محمد بن أحمد بن محمّد بن الفرج؛ أبو بكر المعزى الجزائري القماح [٣٦٥]، توفي في ذي القعدة سنة ثمان وستين وثلاثمائة، وذكره ابن السمعاني في الجزائري [٣٦٦]، ذكره القراب عن الماليني قال: وقال ابن المنذر: هو ثقة. وشيخه أبو الحسن عبدالله بن المنتاب؛ هو عبدالله بن محمد بن المنتاب [صفحة ٢٥٢] القاضي، روى عنه أبو الحسن الجوزي - أحد أئمة أصحابنا - مقروناً بأبي بكر النيسابوري حديثاً: «الإسلام أن تسلم وجهك، فتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت وتعتنق». وشيخه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن كامجر المعروف والده بـ «إسحاق بن أبي إسرائيل»: حدث عن أبيه، وداود بن رشيد، وأحمد بن عبدالصمد الأنصاري، والحسن بن شبيب، وعمر بن شبة النميري، روى عنه المفضل بن سلمه، وعبدالصمد الطنبلي [٣٦٧]، وأبو القاسم الطبراني، قال الدارقطني: لا بأس به، ذكره الخطيب [٣٦٨]. وشيخه ابن حميد: أظن أنه أبو سفيان محمد بن حميد المعمرى؛ فإن الخطيب ذكره في الرواة عن مالك، وأنه قال: كتب عن مالك موطأه، أرائيه فجعل يعرضه عليّ ويقول: قلت في كسوة المسلمين في كفارة اليمين كذا، أليس هذا حسناً؟ فإن يكنه فهو ثقة، روى له مسلم، توفي سنة اثنتين ومائتين، وقيل له: المعمرى، لأنه رحل إلى معمر. فانظر إلى هذه الحكاية، وثقة روايتها، وموافقها لما رواه ابن وهب عن مالك، وحسبك بـ ابن وهب! فقد قيل: كان الناس بالمدينة؛ يختلفون في الشيء عن مالك، فينتظرون قدوم ابن وهب حتى يسألوه عنه. وقال ابن بكير: ابن وهب أفتقه من ابن القاسم. ولنا هنا طرق: إحداها: الأخذ برواية ابن وهب فقط؛ لرجحانها. الثانية: الاعتراف بالروايتين، وأن هذا ليس من الاختلاف في حلال وحرام، [صفحة ٢٥٣] ولا في مكروهه، فإن استقبال القبلة حسن، واستقبال القبر حسن. الثالثة: لو ثبت له ما زعمه من استقبال القبلة خاصة، وعدم استقبال القبر عند الدعاء، فأى شيء يلزم من ذلك؟ وهل هذا إلا كما إذا قلت: «المصلّي يستقبل القبلة، ولا يستقبل القبر» فهل لهذا مدخل في الزيارة؟! وللفظة (مكذوبة) [٣٦٩]. من كان من العوام يربأ بنفسه عن هذا الكلام، فضلاً عن علماء الإسلام! وقد طالعت عدّة كتب من كتب المالكية، فلم أَر فيها عن أحد المنع من استقبال القبر في الدعاء، ولا كراهة ذلك، ولا أنه خلاف الأولى، غير ما قدمته عن «المبسوط» وليس ذلك في أنه يدعو غير مستقبل، كما ادعاه ابن تيمية! والذي ادعى ابن تيمية أنه مذهب مالك، ومذهب جميع العلماء، وأنه إذا سلم مستقبل القبر، وأراد الدعاء استدبر القبر، ولأجله ردّ الحكاية المذكورة عنه، لم نلقه في شيء من كتب المالكية! ولا من كتب غيرهم. وقد قدمت في الباب الرابع [٣٧٠] من كلام المالكية في الزيارة جملة، وبقيت جملة أذكرها هنا: قال أبو الحسن اللخمي في «التبصرة» في باب من جاء مكة ليلاً أو بعد العصر أو الصبح: ويبتدىء في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بركعتين - تحية المسجد - قبل أن يأتي القبر ويسلم، وهذا قول مالك. وقال ابن حبيب: يقول إذا دخل: «بسم الله، وسلام على رسول الله»؛ يريد أنه يبتدىء بالسلام من موضعه، ثم يركع، ولو كان دخوله من الباب الذي بناحية القبر ومروره عليه، فوقف فسلم، ثم تهادى إلى موضع يصلّي فيه لم يكن ضيقاً، انتهى [صفحة ٢٥٤] كلام اللخمي. وقال ابن بشير المالكي في كتاب «التنبيه على مبادئ التوجيه» في دخول مكة، وحكم الطواف والركوع والسعي: والأولى لمن دخل المدينة الابتداء بالركوع في مسجده، ثم ينصرف الداخل إلى القبر، فيسلم على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ويكثر من الصلاة عليه، ثم يدعو في نفسه بما أحب، ثم يسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويستحب له أن يفعل ذلك عند خروجه من المدينة. وظاهر هذا الكلام أنه يدعو مستقبل القبر. وقال ابن يونس المالكي في باب فرائض الحج، والغسل لها، ودخول المدينة، وصفة الإحرام والتلبية: قال ابن حبيب: ويقول إذا دخل مسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): بسم الله، السلام على رسول

الله، السلام علينا من ربنا، صلى الله وملائكته على محمد، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك، واحفظني من الشيطان. ثم اقصد إلى الروضة - وهي ما بين القبر والمنبر - فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر؛ تحمد الله تعالى، وتسأله تمام ما خرجت له، والعون عليه، وإن كانت ركعتان في غير الروضة اجزأتا عنك، وفي الروضة أفضل، وقد قال (عليه السلام): «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على ترعة من ترع الجنة». قال ابن حبيب: ثم اقصد إذا قضيت ركعتيك إلى القبر من وجاه القبلة، فاذن منه، ثم سلم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأثن عليه، وعليك السكينة والوقار؛ فإنه (صلى الله عليه وآله وسلم) يسمع ويعلم وقوفك بين يديه، وتسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وتدعو لهما، وأكثر الصلاة في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام بالليل والنهار، ولا تدع أن تأتي مسجد قباء وقبور الشهداء، انتهى. وناهيك بهذا الكلام من ابن حبيب (رحمه الله)، وتصريحه وجزمه بأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يسمع كلام المسلم عليه، ويعلم وقوفه بين يديه. [صفحة ٢٥٥] وابن حبيب (رحمه الله) من أجله العلماء. وقال النووي في كتاب «رؤوس المسائل» عن الحافظ أبي موسى الأصبهاني: إنه روى عن مالك بن أنس الإمام (رحمه الله) أنه قال: إذا أراد الرجل أن يأتي قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيستدبر القبلة، ويستقبل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ويصلي عليه ويدعو. ورأيت في شرح كتاب عبد الله بن عبد الحكم الكبير، لأبي بكر محمد بن عبد الله بن صالح الأبهري في كتاب الجامع: قال ابن وهب: سئل مالك: أين يقف من أراد التسليم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من القبر؟ قال: عند الزاوية التي تلي القبلة ممًا يلي المنبر مستقبل القبلة، ولا أحب أن يمسه القبر بيده. إنما قال ذلك لأنه شاهد الناس يسلمون على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاستحب الاقتداء بهم، ولا يمسه قبره ولا حائطه؛ تعظيمًا له، ولأن ذلك لم يكن عليه فعل من مضى. وهذه النسخة يحتمل أن تكون غلطًا؛ لأن رواية ابن وهب عن مالك - كما تقدم [٣٧١] - أن المسلم يستقبل القبر، لا القبلة، ويشهد لها رواية أبي موسى، وكلام المالكية. ويحتمل أن يكون عنه في ذلك روايتان، إحداهما: كمنه أبي حنيفة (رحمه الله) والأخرى: هي المشهورة. ولو ثبت عن مالك وعن غيره أن الأولى استقباله القبلة في الدعاء لا القبر، لم يكن في ذلك شيء من منع الزيارة ولا السفر، ولا مانعًا من تعظيم القبر. ومن اعتقد ذلك فقد ضل. وكل ما ذكره بعد ذلك تقدم الجواب عنه، وأنه لا يدل على مقصوده. [صفحة ٢٥٧]

في التوسل، والاستغاث، والتشفع بالنبي

إشاره

اعلم: أنه يجوز ويحسن التوسل، والاستغاث، والتشفع بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى ربه سبحانه وتعالى. وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعروفة لكل ذي دين، والمعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين، وسير السلف الصالحين، والعلماء والعوام من المسلمين. ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان، ولا سمع به في زمن من الأزمان، حتى جاء ابن تيمية، فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الأغمار، وابتدع ما لم يسبق إليه في سائر الأعصار. ولهذا طعن في الحكاية التي تقدم ذكرها عن مالك؛ فإن فيها قول مالك للمنصور: «استشفع به». ونحن قد بينا صحتها، ولذلك أدخلنا الاستغاث في هذا الكتاب لما تعرض إليها مع الزيارة. وحسبك أن إنكار ابن تيمية للاستغاث والتوسل، قول لم يقله عالم قبله، وصار بين أهل الإسلام مثله!! وقد وقفت له على كلام طويل [٣٧٢] في ذلك رأيت من الرأي القويم أن أميل عنه إلى الصراط المستقيم، ولا أتبعه بالنقض والإبطال؛ فإن دأب العلماء القاصدين لإيضاح الدين وإرشاد المسلمين، تقرب المعنى إلى أفهامهم، وتحقيق مرادهم، وبيان حكمه، ورأيت كلام هذا الشخص بالصد من ذلك، فالوجه الإضراب عنه. وأقول: إن التوسل بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جائز في كل حال: قبل خلقه، وبعد خلقه، في [صفحة ٢٥٨] مدة حياته في الدنيا، وبعد موته، في مدة البرزخ، وبعد البعث في عرصات القيامة والجنة، وهو على ثلاثة أنواع: الأول: أن يتوسل به؛ بمعنى أن

طالب الحاجة يسأل الله تعالى به، أو بجاهه، أو ببركته. فيجوز ذلك في الأحوال الثلاثة، وقد ورد في كل منها خبر صحيح:

حديث توسل آدم بالنبي

أما الحالة الأولى: قبل خلقه، فيدل على ذلك آثار عن الأنبياء الماضين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، اقتصرنا منها على ما تبين لنا صحته؛ وهو ما رواه الحاكم أبو عبد الله بن البيهقي في «المستدرک على الصحيحين أو أحدهما» [٣٧٣] قال: ثنا أبو سعيد عمرو بن محمّد بن منصور العدل [٣٧٤]، ثنا أبو الحسن محمّد بن إسحاق ابن إبراهيم الحنظلي، ثنا أبو الحارث عبد الله بن مسلم الفهري، ثنا إسماعيل ابن مسلمة، أنا عبد الرحمان بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جدّه، عن عمر بن الخطّاب (رضى الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لما اقترف [٣٧٥] آدم (عليه السلام) الخطيئة [٣٧٦] قال: يا ربّ أسألك بحقّ محمّد لما غفرت لي. فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمّداً ولم أخلقك؟ قال: يا ربّ لأنك لما خلقتني بيديك، ونفخت في من روحيك، رفعت [صفحة ٢٥٩] رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، فعرفت أنّك لم تضيف إلى اسمك إلاّ أحبّ الخلق إليك. فقال الله: صدقت يا آدم، إنّه لأحبّ الخلق إلّي، إذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمّد ما خلقتك». قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، وهو أوّل حديث ذكرته لعبد الرحمان بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب. ورواه البيهقي أيضاً في «دلائل النبوة» [٣٧٧] وقال: تفرد به عبد الرحمان، وذكره الطبراني وزاد فيه: «وهو آخر الأنبياء من ذريتك» [٣٧٨].

توسل عيسى بالنبي

وذكر الحاكم مع هذا الحديث أيضاً: عن عليّ بن حمّاد [٣٧٩] العدل، ثنا هارون ابن العباس الهاشمي، ثنا جندل بن والق، ثنا عمرو بن أوس الأنصاري، ثنا سعيد ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيّب، عن ابن عباس قال: أوحى الله إلى عيسى (عليه السلام): «يا عيسى، آمن بمحمّد، وأمر من أدركه من أمّتك أن يؤمنوا به، فلولا محمّد ما خلقت آدم، ولولاه ما خلقت الجنة والنار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب، فكتبْتُ عليه: «لا إله إلاّ الله» فسكن» [٣٨٠]. قال الحاكم: هذا حديث حسن صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، انتهى ما قاله الحاكم. والحديث المذكور لم يقف عليه ابن تيمية بهذا الإسناد، ولا بلغه أنّ الحاكم صحّحه. [صفحة ٢٦٠] فإنّه قال - أعني ابن تيمية - «أما ما ذكره في قصّته آدم من توسّله، فليس له أصل، ولا نقله أحد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بإسناد يصلح الاعتماد عليه، ولا الاعتبار، ولا الاستشهاد». ثمّ أدعى ابن تيمية أنّه كذب، وأطال الكلام في ذلك جداً بما لا حاصل تحته، بالوهم والتخرّص، ولو بلغه أنّ الحاكم صحّحه لما قال ذلك، أو لتعرض للجواب عنه [٣٨١]. وكأني به إن بلغه بعد ذلك: يطعن في «عبد الرحمان بن زيد بن أسلم» راوي الحديث. ونحن نقول: قد اعتمدنا في تصحيحه على الحاكم، وأيضاً: عبد الرحمان بن زيد بن أسلم، لا يبلغ في الضعف إلى الحدّ الذي ادعاه. وكيف يحلّ لمسلم أن يتجاسر على منع هذا الأمر العظيم الذي لا يرده عقل ولا شرع؟ وقد ورد فيه هذا الحديث؟! وسنزيد هذا المعنى صحّةً وتثبيتاً بعد استيفاء الأقسام. [صفحة ٢٦١]

توسل نوح و إبراهيم و سائر الأنبياء بنبينا

وأما ما ورد من توسل نوح و إبراهيم وغيرهما من الأنبياء: فذكره المفسرون، واكتفينا عنه بهذا الحديث؛ لجودته وتصحيح الحاكم له.

التعبير عن التوسل والاستغاثة

ولا فرق في هذا المعنى بين أن يعبر عنه بلفظ «التوسّل» أو «الاستغاثة» أو «التشفّع» أو «التجوّه». والداعي بالدعاء المذكور وما في معناه: متوسّل بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنّه جعله وسيلةً لإجابة الله دعاءه. ومستغيث به، والمعنى أنّه استغاث الله به على ما

يقصده، فالباء ها هنا للسيبئية، وقد ترد للتعديء، كما يقول: «من استغاث بك فأغته». ومستشفع به. ومتجوه به، ومتوجه، فإن التجوه والتوجه راجعان إلى معنى واحد. فإن قلت: المتشفع بالشخص من جاء به ليشفع، فكيف يصح أن يقال: يتشفع به؟ قلت: ليس الكلام في العبارة، وإنما الكلام في المعنى؛ وهو سؤال الله بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كما ورد عن آدم، وكما يفهم الناس من ذلك، وإنما يفهمون من التشفع والتوسيل والاستغاثة والتجوه ذلك، ولا مانع من إطلاق اللغه بهذه الألفاظ على هذا المعنى. والمقصود جواز أن يسأل العبد الله تعالى بمن يقطع أن له عند الله قدراً أو مرتبة. ولا شك أن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) له عند الله قدر عظيم، ومرتبة رفيعة، وجاه عظيم. وفي العادة أن من كان له عند الشخص قدر؛ بحيث أنه إذا شفع عنده قبل [صفحة ٢٦٢] شفاعته، فإذا انتسب إليه شخص في غايته، وتوسل بذلك، وتشفع به، فإن ذلك الشخص يجيب السائل؛ إكراماً لمن انتسب إليه وتشفع به، وإن لم يكن حاضراً ولا شافعاً، وعلى هذا التوسيل بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل خلقه. ولسنا في ذلك سائلين غير الله تعالى، ولا داعين إلا إياه، ويكون ذكر المحبوب أو العظيم سبباً للإجابة. كما في الأدعية الصحيحة المشهورة: «أسألك بكل اسم لك، وأسألك بأسمائك الحسنى، وأسألك بأنك أنت الله، وأعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك». وحديث الغار الذى فيه الدعاء بالأعمال الصالحة، وهو من الأحاديث الصحيحة المشهورة [٣٨٢]. فالمسؤول في هذه الدعوات كلها؛ هو الله وحده لا شريك له، والمسؤول به مختلف، ولم يوجب ذلك إشراكاً، ولا سؤال غير الله. كذلك السؤال بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ليس سؤالاً للنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بل سؤال لله به. وإذا جاز السؤال بالأعمال وهى مخلوقة، فالسؤال بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أولى. ولا يسمع الفرق: بأن الأعمال تقتضى المجازاة عليها. لأن استجابة الدعاء لم تكن عليها، وإلا لحصلت بدون ذكرها، وإنما كانت على الدعاء بالأعمال. وليس هذا المعنى ممياً يختلف فيه الشرائع حتى يقال: إن ذلك شرع من قبلنا، فإنه لو كان ذلك ممياً يخل بالتوحيد، لم يخل في مله من الملل؛ فإن الشرائع كلها متفقة على التوحيد. وليت شعري، ما المانع من الدعاء بذلك؟ فإن اللفظ إنما يقتضى أن للمسؤول به قدراً عند المسؤول. [صفحة ٢٦٣] وتارة: يكون المسؤول به أعلى من المسؤول: إما البارى سبحانه وتعالى، كما في قوله: «من سألكم بالله فأعطوه» وفي الحديث الصحيح فى حديث أبرص وأقرع وأعمى: «أسألك بالذى أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن...» الحديث، وهو مشهور [٣٨٣]. وإما بعض البشر، ويحتمل أن يكون من هذا القسم قوله عائشة لفاطمة: أسألك بما لى عليك من الحق. وتارة: يكون المسؤول أعلى من المسؤول به، كما فى سؤال الله تعالى بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنه لا شك أن للنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قدراً عنده، ومن أنكرك ذلك فقد كفر. فمتى قال: «أسألك بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم)» فلا شك فى جوازه. وكذا إذا قال: «بحق محمد». والمراد بالحق الرتبة والمنزلة، والحق الذى جعله الله على الخلق، أو الحق الذى جعله الله بفضل له عليه، كما فى الحديث الصحيح قال: فما حق العباد على الله؟ وليس المراد بالحق الواجب، فإنه لا يجب على الله شىء، وعلى هذا المعنى يحمل ما ورد عن بعض الفقهاء فى الامتناع من إطلاق هذه اللفظة.

حديث الأعمى المتوسل بالنبى

الحالة الثانية: التوسل به بذلك النوع بعد خلقه (صلى الله عليه وآله وسلم) فى مدّة حياته: فمن ذلك ما رواه أبو عيسى الترمذى فى جامعه [٣٨٤] فى كتاب الدعوات، قال: [صفحة ٢٦٤] ثنا محمود بن غيلان، ثنا عثمان بن عمر، ثنا شعبه، عن أبى جعفر، عن عماره بن خزيمة ابن ثابت، عن عثمان بن حنيف: أن رجلاً ضرير البصر أتى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: ادع الله أن يعافينى. قال: «إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت، فهو خير لك». قال: فادعه. قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد، إنى توجهت بك إلى ربي فى حاجتى ليقضى لى، اللهم شفّعه فى». قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبى جعفر الخطمى. ورواه النسائى فى اليوم والليلة [٣٨٥] عن محمود بن غيلان بإسناده نحوه. وعن محمد بن معمر، عن حيان، عن حماد، عن أبى جعفر، عن عماره بن خزيمة، عن

عثمان بن حنيف نحوه. وعن زكريا بن يحيى، عن ابن مثنى، عن معاذ بن هشام، عن أبيه، عن أبي جعفر، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن عمه عثمان نحوه. وأخرجه ابن ماجه في الصلاة [٣٨٦] عن أحمد بن منصور بن سيار، عن عثمان بن عمر بإسناده نحوه. ورويناه في «دلائل النبوة» [٣٨٧] للحافظ أبي بكر البيهقي، ثم قال البيهقي: وزاد [صفحة ٢٦٥] محمد بن يونس في روايته: فقام وقد أبصر. قال البيهقي: ورويناه في «كتاب الدعوات» [٣٨٨] بإسناد صحيح عن روح بن عباد، عن شعبة قال: ففعل الرجل فبرأ. قال: وكذلك رواه حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي. ثم روى بإسناده عن روح بن القاسم، عن أبي جعفر المدني - وهو الخطمي - عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن عمه عثمان بن حنيف فذكره، وفي آخره: «يا محمد، إنني أتوجه بك إلى ربي فيجلى عن بصري، اللهم شفّعه فيّ، وشفّعني في نفسي». قال عثمان: فوالله ما تفرّقنا ولا طال الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضرر قط. وسنذكر هذا الحديث أيضاً في التوسل بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد موته من طريق الطبراني والبيهقي. وقد كفانا الترمذي والبيهقي رحمهما الله بتصحيحهما مؤنة النظر في تصحيح هذا الحديث، وناهيك به حجة في المقصود. فإن اعترض معترض: بأن ذلك إنما كان لأبى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شفّع فيه، فلهذا قال له أن يقول: «إنني أتوجه إليك بنبيك». قلت: الجواب من وجوه: أحدها: سيأتي أن عثمان بن عفان وغيره استعملوا ذلك بعد موته (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك يدل على أنهم لم يفهموا اشتراط ذلك. الثاني: أنه ليس في الحديث أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بين له ذلك. الثالث: أنه ولو كان كذلك لم يضر في حصول المقصود؛ وهو جواز التوسل [صفحة ٢٦٦] إلى الله بغيره؛ بمعنى السؤال به، كما علمه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك زيادة على طلب الدعاء منه، فلو لم يكن في ذلك فائدة لما علمه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأرشده إليه، ولقال له: إنني قد شفّعت فيك، ولكن لعلّ (صلى الله عليه وآله وسلم) أراد أن يحصل من صاحب الحاجة التوجه بذل الاضطرار والافتقار والانكسار، ومستغنياً بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيحصل كمال مقصوده. ولا شك أن هذا المعنى حاصل في حضرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وغيبته في حياته وبعد وفاته؛ فإننا نعلم شفّقتة (صلى الله عليه وآله وسلم) على أمته، ورفقه بهم، ورحمته لهم، واستغفاره لجميع المؤمنين وشفاعته، فإذا انضم إليه توجه العبد به حصل هذا الغرض الذي أرشد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الأعمى إليه.

التوسل بالنبي بعد موته

الحالة الثالثة: أن يتوسل بذلك بعد موته (صلى الله عليه وآله وسلم) لما رواه الطبراني (رحمه الله) في «المعجم الكبير» [٣٨٩] في ترجمة عثمان بن حنيف، وذلك في الجزء الخمسين، فإن أول الجزء الخمسين من اسمه (طفيل)، وآخره «جعلني إمامهم وأنا أصغرهم» قبل ترجمته (عمار بن طلحة)، قال في هذا الجزء الخمسين: ثنا طاهر بن عيسى بن قريش [٣٩٠] المصري المقرئ، ثنا أصبغ بن الفرج، ثنا ابن وهب، عن أبي سعيد المكي، عن روح بن القاسم، عن أبي جعفر الخطمي المدني، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن عمه عثمان بن حنيف: أن رجلاً - كان يختلف إلى عثمان بن عفان (رضى الله عنه) في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه، ولا ينظر في حاجته، فلقي ابن حنيف فشكا ذلك إليه. [صفحة ٢٦٧] فقال له عثمان بن حنيف: إيت الميضاة فتوضأ، ثم إيت المسجد فصل فيه ركعتين، ثم قل: اللهم إنني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نبي الرحمة، يا محمد، إنني أتوجه إليك إلى ربك فيقضى حاجتي. وتذكر حاجتك، ورح حتى أروح معك. فانطلق الرجل، فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفان، فجاءه البواب حتى أخذ بيده، فأدخله على عثمان بن عفان، فأجلسه معه على الطنفسة فقال: ما حاجتك؟ فذكر حاجته، وقضاها له، ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فاذا كرها. ثم إن الرجل خرج من عنده، فلقي عثمان بن حنيف فقال له: جزاك الله خيراً، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته في. فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته، ولكني شهدت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «أو تصبر؟». فقال: يا رسول الله، إنه ليس لي قائد، وقد شق عليّ. فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «إيت الميضاة فتوضأ، ثم صل ركعتين، ثم ادع

بهذه الدعوات». قال ابن حنيف: فوالله، ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط. ثنا إدريس بن جعفر العطار، ثنا عثمان بن عمر بن فارس، ثنا شعبة، عن أبي جعفر الخطمي، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن عمه عثمان بن حنيف، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نحوه. ورواه البيهقي [٣٩١] بإسناده عن أبي جعفر المدني، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف: أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان، فذكره بنحو مما سبق. [صفحة ٢٦٨] رواه من طريقين؛ أحدهما: عن عبد الملك بن أبي عثمان الزاهد، أنا أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي القفال، أنا أبو عروبة، ثنا العباس بن الفرغ، ثنا إسماعيل بن شبيب، ثنا أبي، عن روح بن القاسم، عن أبي جعفر. والاحتجاج من هذا الأثر؛ لفهم عثمان رضي الله تعالى عنه ومن حضره الذين هم أعلم بالله ورسوله، وفعلهم. النوع الثاني: التوسل به؛ بمعنى طلب الدعاء منه، وذلك في أحوال:

حديث الاستسقاء بالنبي في حياته

إحداها: في حياته (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا متواتر، والأخبار طافحة به، ولا يمكن حصرها، وقد كان المسلمون يفرعون إليه ويستغيثون به في جميع ما نابهم، كما في «الصحيحين» [٣٩٢]: أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قائم يخطب، فاستقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قائماً قال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله تعالى يغيثنا. فرفع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يديه، ثم قال: «اللهم أغثنا، اللهم أغثنا». فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسّطت السماء انتشرت، ثم أمطرت. قال: فلا والله ما رأينا الشمس سبتاً... الحديث. وروى البيهقي في دلائله [٣٩٣] عن أبي وجزة يزيد بن عبد [٣٩٤] السلمى [٣٩٥] قال: [صفحة ٢٦٩] لما قفل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من غزوة تبوك أتاه وفد بني فزارة... إلى أن قال: فقالوا: يا رسول الله، أسنتت بلادنا، وأجدبت جئاتنا، وعريت عيالنا، وهلكت مواشينا، فادع ربك أن يغيثنا، واشفع لنا إلى ربك، ويشفع ربك إليك. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «سبحان الله، ويلك، إن أنا شفعت إلى ربي فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه؟! الله لا إله إلا هو العظيم، وسع كرسيه السموات والأرض، وهو يئط من عظمته وجلاله...» وذكر بقية الحديث. إلى أن قال: فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فصعد المنبر، وفيه: كان مما حفظ من دعائه: «اللهم اسق بلدك وبهيمتك، وانشر رحمتك، وأحى بلدك الميت...» وذكر دعاء وحديثاً طويلاً. وفي «سنن أبي داود» [٣٩٦] في كتاب السنة عن جبير بن مطعم قال: أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أعرابي فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفس، وضاعت العيال، ونهكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا؛ فإننا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «ويحك، أتدرى ما تقول؟! إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه؛ شأن الله أعظم من ذلك...» وذكر حديث الأبيط. وفي إسناده محمد بن إسحاق وعننته، فإن ثبت فهو موافق لمقصودنا، فإنه لم ينكر الاستشفاع به، وإنما أنكر الاستشفاع بالله، ولعل سبب ذلك أن شأن الشافع أن يتواضع للمشفوع عنده. وروى عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: جاء أعرابي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا رسول الله، أتيناك وما لنا صبي يصطح، ولا بعير يئط، وأنشد: [صفحة ٢٧٠] أتيتك والعدراء تدمى لبانها وقد شغلت أم الصبي عن الطفلوألقي بكفيه الفتى لاستكانة من الجوع هوناً ما يمر ولا يحلولا شىء مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل العامى والعلهز الفسلوليس لنا إلا إليك فرارنا وابن فرار الناس إلا إلى الرسل فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يجز رداءه حتى صعد المنبر، فرفع يديه ثم قال: «اللهم اسقنا...» وذكر الدعاء إلى أن قال: فما رد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يده حتى ألقى السماء بأرواقها، وجاء أهل البطانة يضحون [٣٩٧]: الغرق، الغرق. فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «حوالينا ولا علينا» فانجاب السحاب عن المدينة حتى أحدق بها كالإكيل، وضحك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى بدت نواجذه. ثم قال: «لله درّ أبي طالب، لو كان حياً قرت عيناه، من ينشدنا قوله؟». فقال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): يا رسول الله، كأنك تريد قوله: وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل يطوف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل كذبتم وبيت الله نبي محمداً ولما نطاعن حوله وناضلون سلمه حتى نصرع حوله

ونذهل عن أبنائنا والحلائل فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أجل» [٣٩٨]. فقام رجل من كنانة رضى الله تعالى عنه فقال: [صفحة ٢٧١] لك الحمد والحمد ممن شكر سقينا بوجه النبي المطردعا الله خالقه دعوة إليه وأشخص منه البصر فلم يك إلا كما ساعه وأسرع حتى رأينا الدرردفاف العزالي جم البعاق أغاث به الله عليا مضر فكان كما قاله عمه أبو طالب أبيض ذو غرر فمن يشكر الله يلقى المزيد ومن يكفر الله يلقى العبر فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن يك شاعر أحسن فقد أحسنت». والأحاديث والآثار في ذلك أكثر من أن تحصى، ولو تتبعتها لوجدت منها ألواناً. ونصّ قوله تعالى: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ... الآية، صريح في ذلك.

استسقاء عمر بالعباس عم النبي

وكذلك يجوز ويحسن مثل هذا التوسل بمن له نسبة من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما كان عمر ابن الخطاب (رضى الله عنه) إذا قحط استسقى بالعباس بن عبدالمطلب (رضى الله عنه) ويقول: اللهم إنا كنا إذا قحطنا توسلنا بنبينا فستقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) فاستسقى. قال: فيسقون، رواه البخاري من حديث أنس [٣٩٩]. [صفحة ٢٧٢] واستسقى به عام الرمادة فسقوا، وفي ذلك يقول عباس بن عتبة بن أبي لهب: بعمى سقى الله الحجاز وأهله عشية يستسقى بشيئته عمر [٤٠٠]. واستسقى حمزة بن القاسم الهاشمي ببغداد فقال: «اللهم إنا من ولد ذلك الرجل الذي استسقى بشيئته عمر بن الخطاب فسقوا»، فما زال يتوسل بهذه الوسيلة حتى سقوا. وروى أنه لما استسقى عمر بالعباس، وفرغ عمر من دعائه، قال العباس: اللهم إنه لم ينزل من السماء بلاء إلا بذنب، ولا يكشف إلا بتوبة، وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذه أيدنا إليك بالذنوب، ونواصينا بالتوبة... وذكر دعاء، فما تمّ كلامه حتى ارتخت [٤٠١] السماء بمثل الجبال. وكذلك يجوز مثل هذا التوسل بسائر الصالحين، وهذا شيء لا ينكره مسلم، بل متدين بملء من الملل. فإن قيل: لم توسل عمر بن الخطاب بالعباس، ولم يتوسل بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو بقبره؟ قلنا: ليس في توسله بالعباس إنكار للتوسل بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو بالقبر. وقد روى عن أبي الجوزاء قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى عائشة رضى الله عنها، فقالت: فانظروا قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف. [صفحة ٢٧٣] ففعلوا فمطروا، حتى نبت العشب، وسمن الإبل، حتى تفتتت من الشحم، فسمى «عام الفتق». ولعلّ توسل عمر بالعباس لأمرين: أحدهما: ليدعو كما حكينا من دعائه. والثاني: أنه من جملة من يستسقى وينتفع بالسقاء، وهو محتاج إليها، بخلاف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذه الحالة، فإنه مستغن عنها، فاجتمع في العباس الحاجة وقربته من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وشيئته، والله تعالى يستحي من ذى الشبهة المسلم، فكيف من عم نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)!! ويجب دعاء المضطر، فلذلك استسقى عمر بشيئته.

التفرقة بين الألفاظ

فإن قال المخالف: أنا لا أمتع التوسل والتشفع؛ لما قدمتم من الآثار والأدلة، وإتباعاً لإطلاق «التجوه» و«الاستغاثة» لأنّ فيهما إيهام أنّ المتجوه به والمستغاث به، أعلى من المتجوه عليه والمستغاث عليه. قلنا: هذا لا يعقده مسلم، ولا يدلّ لفظ «التجوه» و«الاستغاثة» عليه. فإنّ «التجوه» من الجاه والوجهة، ومعناه علو القدر والمنزلة، وقد يتوسل بذي الجاه إلى من هو أعلى جاهاً منه. و«الاستغاثة» طلب الغوث، فالمستغاث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره، وإن كان أعلى منه. فالتوسل والتشفع والتجوه والاستغاثة بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسائر الأنبياء والصالحين، ليس لها معنى في قلوب المسلمين غير ذلك، ولا يقصد بها أحد منهم سواه، فمن لم ينشر صدره لذلك فليتك على نفسه، نسأل العافية. وإذا صحّ المعنى فلا عليك في تسميته «توسلاً» أو «تشفعاً» أو «تجوهاً» أو «استغاثة». [صفحة ٢٧٤] ولو سئل أن لفظ «الاستغاثة» يستدعي النصر على المستغاث منه، فالجواب يستغاث على نفسه وهو

والشيطان وغير ذلك ممّا هو قاطع له عن الله تعالى بالنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وغيره من الأنبياء والصالحين، متوسّلاً بهم إلى الله تعالى ليغيّته على من استغاث منه من النفس وغيرها، والمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى والنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) واسطة بينه وبين المستغيث.

التوسل بالنبي في عرصات القيامة

الحالة الثانية: بعد موته (صلى الله عليه وآله وسلم) في عرصات القيامة؛ بالشفاعة منه (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك ممّا قام الإجماع عليه، وتواترت الأخبار به، وسنذكر تفاصيل الشفاعة المجمع عليها والمختلف فيها في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى [٤٠٢].

التوسل بالنبي في البرزخ

الحالة الثالثة: المتوسّطة في مدّة البرزخ وقد ورد في هذا النوع فيها أيضاً: أنا أبو بكر بن يوسف بن عبدالعظيم المعروف بـ «ابن الصباح» بقراءة تى عليه في المجلد الحادية عشرة من «دلائل النبوة» للبيهقي قال: أنا أبو الكرم لاحق بن عبدالمنعم بن قاسم الأرتاحي قراءة عليه وأنا أسمع، أنا أبو محمّد المبارك بن عليّ بن الحسين البغدادي المعروف بـ «ابن الطباخ» أنا الشيخ السديد أبو الحسن عبيدالله بن محمّد بن أحمد البيهقي، أنا جدّي الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، أنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسي قالوا: أخبرنا أبو عمر بن مطر، ثنا إبراهيم بن عليّ الذهلي، ثنا يحيى بن يحيى، أنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن مالك الدار قال: أصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) فجاء رجل إلى قبر النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا [صفحة ٢٧٥] رسول الله، استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا. فأتاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المنام فقال: «إئت عمر فأقرئه السلام، وأخبره أنهم مسقون، وقل له: عليك الكيس، الكيس». فأتى الرجل عمر فأخبره، فبكى عمر (رضى الله عنه) ثم قال: يا ربّ ما آلو إلاّ ما عجزت عنه [٤٠٣]. ومحلّ الاستشهاد من هذا الأثر طلبه الاستسقاء من النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد موته في مدّة البرزخ، ولا مانع من ذلك؛ فإنّ دعاء النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) لربّه تعالى في هذه الحالة غير ممتنع، وقد وردت الأخبار على ما ذكرنا، ونذكر طرفاً منه. وعلمه (صلى الله عليه وآله وسلم) بسؤال من يسأله ورد أيضاً. ومع هذين الأمرين فلا مانع من أن يسأل الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه وآله وسلم الاستسقاء، كما كان يسأل في الدنيا.

التوسل بالنبي بتسببه

النوع الثالث من التوسّل: أن يطلب منه ذلك الأمر المقصود بمعنى أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) قادر على التسبّب فيه بسؤاله ربّه وشفاعته إليه. فيعود إلى النوع الثاني في المعنى وإن كانت العبارة مختلفة. ومن هذا قول القائل للنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم): أسألك مرافقتك في الجنّة، قال: «أعنى على نفسك بكثرة السجود». والآثار في ذلك كثيرة أيضاً. [صفحة ٢٧٦] ولا يقصد الناس بسؤالهم ذلك إلاّ كون النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) سبباً وشفاعاً، وكذلك جواب النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن ورد على حسب السؤال. كما روينا في «دلائل النبوة» [٤٠٤] للبيهقي بالإسناد إلى عثمان بن أبي العاص قال: شكوت إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) سوء حفظي للقرآن، فقال: «شيطان يقال: خنزب، ادن منّي يا عثمان». ثمّ وضع يده على صدرى، فوجدت بردها بين كتفيّ، وقال: «أخرج يا شيطان من صدر عثمان». قال: فما سمعت بعد ذلك شيئاً إلاّ حفظته. فانظر أمر النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بالخروج للشيطان؛ للعلم بأنّ ذلك بإذن الله تعالى وخلقه وتيسيره. وليس المراد نسبة النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الخلق والاستقلال بالأفعال!! هذا لا يقصده مسلم، فصرف الكلام إليه ومنعه، من باب التلبس في الدين، والتشويش على عوام الموحدين.

لا حرج في الألفاظ كلها

وإذ قد تحررت هذه الأنواع والأحوال في الطلب من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وظهر المعنى، فلا عليك في تسميته «توسلاً» أو «تشفعاً» أو «استغاثَةً» أو «تجوُّهاً» أو «توجُّهاً» لأنَّ المعنى في جميع ذلك سواء: أمَّا التشفُّع: فقد سبق في الأحاديث المتقدمة قول وفد بنى فزارة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم): تشفُّع لنا إلى ربِّك، وفي حديث الأعمى ما يقتضيه أيضاً والتوسُّل: في معناه. وأمَّا التوجُّه والسؤال: ففي حديث الأعمى. والتجوُّه: في معنى التوجُّه، قال تعالى في حق موسى (عليه السلام): وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً. [صفحة ٢٧٧] وقال في حق عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام: وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وقال المفسِّرون وَجِيهاً أى ذا جاه ومنزله عنده. وقال الجوهري في فعل «وجه»: وجه إذا صار وجيهاً ذا جاه وقدر. وقال الجوهري أيضاً في فعل «جوه»: الجاه القدر والمنزلة، وفلان ذو جاه، وقد أوجهته ووجهته أنا؛ أى جعلته وجيهاً [٤٠٥]. وقال ابن فارس: فلان وجيه؛ ذو جاه [٤٠٦]. إذا عرف ذلك؛ فمعنى «تجوُّه» توجُّه بجاهه، وهو منزلته وقدره عند الله تعالى إليه.

الاستغاثَةُ

وأما الاستغاثَةُ: فهي طلب الغوث. وتارة: يطلب الغوث من خالقه؛ وهو الله تعالى وحده، كقوله تعالى: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ. وتارة: يطلب ممَّن يصحَّ إسناده إليه على سبيل الكسب، ومن هذا النوع الاستغاثَةُ بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في هذين القسمين. وتعدى الفعل تارة: بنفسه، كقوله تعالى: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ وتارة: بحرف الجر، كما في كلام النحاة في المستغاث به، وفي «كتاب سيبويه» رحمه الله تعالى: فاستغاث بهم ليشترؤا له كلياً. فيصح أن يقال: «استغثت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)» و«أستغيت بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)» بمعنى واحد؛ وهو طلب الغوث منه بالدعاء ونحوه على النوعين السابقين في التوسُّل من غير فرق، وذلك في حياته وبعد موته. [صفحة ٢٧٨] ويقول: «استغثت الله» و«أستغيت بالله» بمعنى طلب خلق الغوث منه، فالله تعالى مستغاث، فالغوث منه خلقاً وإيجاداً، والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مستغاث، والغوث منه تسبباً وكسباً، ولا فرق في هذا المعنى بين أن يستعمل الفعل متعدياً بنفسه، أو لازماً، أو تعدى بالباء. وقد تكون الاستغاثَةُ بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على وجه آخر؛ وهو أن يقول: «استغثت الله بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)» كما يقول: «سألت الله بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)» فيرجع إلى النوع الأوَّل من أنواع التوسُّل، ويصحَّ قبل وجوده وبعد وجوده، وقد يحذف المفعول به ويقال: «استغثت بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)» بهذا المعنى. فصار لفظ «الاستغاثَةُ بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)» له معنيان: أحدهما: أن يكون مستغاثاً. والثاني: أن يكون مستغاثاً به، والباء للاستعانة. فقد ظهر جواز إطلاق «الاستغاثَةُ» و«التوسُّل» جميعاً، وهذا أمر لا يشكُّ فيه؛ فإنَّ «الاستغاثَةُ» في اللغة طلب الغوث، وهذا جائز لغةً وشرعاً من كلِّ من يقدر عليه بأيِّ لفظ عبَّر عنه، كما قالت أمُّ إسماعيل: أغث إن كان عندك غوث. وقد روينا في «المعجم الكبير» [٤٠٧] للطبراني حديثاً ظاهره قد يقدح في هذا: قال الطبراني: ثنا أحمد بن حماد بن زغبة المصري، ثنا سعيد بن عفير، ثنا ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن علي بن رباح، عن عبادة قال: قال أبو بكر (رضى الله عنه): قوموا نستغيت برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من هذا المنافق. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنه لا يستغاث بي، إنما يستغاث بالله عزَّ وجلَّ». وهذا الحديث في إسناده عبد الله بن لهيعة، وفيه كلام مشهور، فإن صحَّ الحديث فيحتمل معاني: أحدها: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد أجرى على المنافقين أحكام المسلمين بأمر [صفحة ٢٧٩] الله تعالى، فلعلَّ أبا بكر ومن معه استغاثوا بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليقته، فأجاب بذلك؛ بمعنى أن هذا من الأحكام الشرعية التي لم ينزل الوحي بها، وأمرها إلى الله تعالى وحده، والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه وآله وسلم) أعرف الخلق بالله تعالى، فلم يكن يسأل ربه تغيير حكم من الأحكام الشرعية، ولا يفعل فيها إلا ما يؤمر به، فيكون قوله: «لا يستغاث بي» عامّاً مخصوصاً؛ أى لا يستغاث بي في هذا الأمر؛ لأنه ممَّا يستأثر الله تعالى به. ولا شكَّ أنَّ من أدب السؤال أن يكون

المسؤول ممكنًا، فكما أننا لا نسأل الله تعالى إلا ما هو في ممكن القدرة الإلهية [٤٠٨]، كذلك لا- نسأل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا ما يمكن أن يجيب إليه. والثاني: أن يكون ذلك من باب قوله: «ما أنا حملتكم، ولكن الله حملكم» أي أنا وإن استغيث بي، فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى، وكثيراً ما تجيء السنّة بنحو هذا من بيان حقيقة الأمر، ويגיע القرآن بإضافة الفعل إلى مكتسبه، كقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لن يدخل أحداً منكم الجنة عمله» مع قوله تعالى: اذْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلّي: «لإن يهدى الله بك رجلاً واحداً...». فسلك الأدب في نسبة الهداية إلى الله تعالى، وقد قال تعالى: وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا فنسب الهداية إليهم، وذلك على سبيل الكسب، ومن هذا قوله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم): وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. وأمياً قوله تعالى: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ» فالأحسن أن يكون المراد به التسليّة، والحمل عن قلب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في عدم إسلام عمّه أبي طالب!!! فكأنه قد قيل: «أنت وفيت بما عليك، وليس عليك خلق هدايته؛ لأنّ ذلك ليس إليك، فلا تذهب نفسك عليه». [صفحة ٢٨٠] وبالجملة: إطلاق لفظ «الاستغاثة» بالنسبة لمن يحصل منه غوث - إمياً خلقاً وإيجاداً، وإمياً تسبباً وكسباً - أمر معلوم لا شك فيه لغةً وشرعاً، ولا فرق بينه وبين السؤال، فتعين تأويل الحديث المذكور. وقد قيل: إنّ في البخاريّ في حديث الشفاعة يوم القيامة [٤٠٩]: فينما هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو حجّة في إطلاق لفظ «الاستغاثة». ولكن ذلك لا يحتاج إليه؛ لأنّ معنى «الاستغاثة» و«السؤال» واحد سواء عبّر عنه بهذا اللفظ، أم بغيره، والنزاع في ذلك نزاع في الضروريات، وجوازه شرعاً معلوم، فتخصيص هذه اللفظة بالبحث ممّا لا وجه له، وإنكار السؤال بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مخالف لما قدّمناه من الأحاديث والآثار وما أشرنا إليه ممّا لم نذكره. [صفحة ٢٨١]

في حياة الأنبياء

إشاره

قد تضمّنت الأحاديث المتقدّمة أنّ روح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تردّ عليه، وأنّه يسمع ويردّ السلام، فاحتجنا إلى النظر فيما قد قيل في ذلك بالنسبة إلى الأنبياء وسائر الموتى، وقد ربّنا الكلام في هذا الباب على فصول: [صفحة ٢٨٢]

فيما ورد في حياة الأنبياء

إشاره

صنّف الحافظ أبو بكر البيهقي (رحمه الله) في ذلك جزءاً، وروى فيه أحاديث منها: «الأنبياء صلوات الله عليهم أحياء في قبورهم يصلون». ورواه ابن عدّي في «الكامل» [٤١٠] أنا غير واحد إذناً عن ابن المقير، عن ابن الشهرزوري، أنا إسماعيل بن مسعدة، أنا حمزة بن يوسف، أنا أحمد بن عدّي الحافظ، قال: ثنا قسطنطين بن عبدالله الروميّ مولى المعتمد على الله أمير المؤمنين، ثنا الحسين بن عرفه، حدّثني الحسن بن قتيبة المدائني، ثنا المتسلم بن سعيد الثقفي، عن الحجاج الأسود، عن ثابت البناني، عن أنس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «الأنبياء صلوات الله عليهم أحياء في قبورهم يصلون». قال ابن عدّي: وللحسن بن قتيبة هذا أحاديث غرائب حسان، فأرجو أنّه لا بأس به. وذكره ابن أبي حاتم، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً، وذكره الخطيب في «التاريخ» [٤١١] وقال: عن البرقاني عن الدارقطني: أنّه متروك الحديث. وروى البيهقي هذا الحديث في صدر «الجزء الذي صنّفه» عن أبي سعيد؛ أحمد ابن محمّد بن الخليل الصوفي عن ابن عدّي بسنده المذكور، ثمّ قال البيهقي: هذا حديث يعدّ في أفراد الحسن بن قتيبة. وقد روى عن يحيى بن أبي بكير، عن المتسلم بن سعيد، وهو فيما أنا الثقة من أهل العلم، أنا أبو عمرو بن حمدان، أنا أبو يعلى الموصلي، ثنا أبو

جهم الأزرق [صفحہ ٢٨٣] بن علي، ثنا يحيى بن أبي بكير، ثنا المتسلم بن سعيد، عن الحجاج، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون» [٤١٢]. قلت: ويحيى بن أبي بكير: ثقة، والمتسلم بن سعيد: ثقة، والحجاج [٤١٣]: إن كان ابن أبي زناد فثقة، وإن كان غيره فلم أعرفه. قال البيهقي: وروى كما أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أنا أبو حامد أحمد بن علي الحسنوي إمامنا، ثنا أبو عبد الله محمد بن العباس الحمصي بحمص، ثنا أبو الربيع الزهراني، ثنا إسماعيل بن طلحة بن يزيد، عن محمد بن عبد الرحمان بن أبي ليلى، عن ثابت، عن أنس (رضي الله عنه)، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «إن الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة، ولكنهم يصلون بين يدي الله تعالى حتى ينفخ في الصور». قال البيهقي: وهذا إن صح بهذا اللفظ، فالمراد به - والله أعلم - لا يتركون لا يصلون إلا هذا المقدار، ثم يكونون مصليين فيما بين يدي الله تعالى. قال البيهقي: ولحياة الأنبياء بعد موتهم، شواهد من الأحاديث الصحيحة. ثم ذكر البيهقي بأسانيد حديث: «مررت بموسى وهم قائم يصلون في قبره». وحديث: «قد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلون، وإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى بن مريم قائم يصلون، أقرب الناس به شبيهاً عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم قائم يصلون أشبه الناس به صاحبكم - يعني نفسه - فحانت الصلاة فأمتهم، فلما فرغت من الصلاة قال [صفحہ ٢٨٤] قائل لي: يا محمد، هذا مالك صاحب النار فسلم عليه، فالتفت إليه فبدأني بالسلام» أخرجه مسلم [٤١٤]. وفي حديث سعيد بن المسيب وغيره: أنه لقيهم في بيت المقدس، وفي حديث أبي ذر في صفة المعراج: أنه لقيهم في السماوات، وكلموه وكلمهم. وكل ذلك صحيح لا يخالف بعضه بعضاً، فقد رأى موسى (عليه السلام) قائماً يصلون في قبره، ثم يسرى بموسى وغيره إلى بيت المقدس، كما أسرى بنينا (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم يعرج بهم إلى السماوات، كما عرج بنينا عليه الصلاة والسلام فيراها كما أخبر. وحولهم في أوقات بمواضع مختلفات، فإنه في العقل كما ورد في خبر الصادق، وفي كل ذلك دلالة على حياتهم. ومما يدل على ذلك ما ساق إسناده إلى أوس بن أوس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أفضل أيامكم يوم الجمعة، وفيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه؛ فإن صلاتكم معروضة». قالوا: وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ يقولون: بليت فقال: إن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، أخرجه أبو داود [٤١٥]. قال البيهقي: وله شواهد، منها: ما أنا أبو عبد الله، أنا ابن إسحاق الفقيه، أنا الأبار، ثنا أحمد بن عبد الرحمان، ثنا الوليد، ثنا أبو رافع، عن سعيد المقبري، عن أبي مسعود الأنصاري، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «أكثروا الصلاة علي في يوم الجمعة، فإنه ليس يصلون علي أحد يوم الجمعة إلا عرضت علي صلاته». [صفحہ ٢٨٥] وأنا علي بن أحمد، أنا أحمد بن عبيد، ثنا الحسين بن سعيد، ثنا إبراهيم، ثنا حماد، عن برد، عن مكحول، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أكثروا علي من الصلاة في كل يوم جمعة، فإن صلاة أمتي تعرض علي في كل يوم جمعة، فمن كان أكثرهم علي صلاة كان أقربهم مني منزلة» [٤١٦]. وأنا الإسفراييني، حدثني والدي، أنا أسامة بمصر، ثنا محمد بن إسماعيل الصائغ، حدثتنا حكامه بنت عثمان بن دينار، عن مالك بن دينار، عن أنس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إن أقربكم مني يوم القيامة في كل موطن، أكثركم علي صلاة في الدنيا، فمن صلى علي يوم الجمعة وليلته الجمعة، قضى الله له مائة حاجة: سبعين من حوائج الآخرة، وثلاثين من حوائج الدنيا، ثم يوكل الله بذلك ملكاً يدخله في قبري، كما تدخل عليكم الهدايا؛ يخبر عن صلتي علي باسمه ونسبه إلى عشيرته، فأثبته عندي في صحيفة بيضاء». ثم ذكر البيهقي حديث: «فإن صلاتكم تبلغني حيث ما كنتم». وحديث: «ما من أحد يصلني علي إلا رد الله علي روي حتى أرد». قال البيهقي، وإنما أراد - والله أعلم - إلا وقد رد الله علي روي حتى أرد عليه [٤١٧]. قلت: وقد تقدم احتمال آخر. ثم ذكر البيهقي حديث: «إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام». وقول ابن عباس: ليس أحد من أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) صلى عليه صلاة إلا وهى تبلغه، يقول له الملك: فلان يصلني عليك كذا وكذا صلاة. وحديث: «من صلى علي عند قبري سمعته» من طريق أبي عبد الرحمان، وقال: هو محمد بن مروان السدي فيما أرى، وفيه نظر، وقد مضى ما يؤكده، هذا [صفحہ ٢٨٦] قول البيهقي. وذكر ما قدمناه عن سليمان بن سحيم. ثم قال: ومما يدل على حياتهم ما أنا أبو عبد الله الحافظ... وساق

إسناده، وذكر حديث: «إذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله عز وجل» رواه البخاري ومسلم [٤١٨]. قال البيهقي: وهذا إنما يصح على أن الله عز وجل رد على الأنبياء صلوات الله عليهم أرواحهم، فهم أحياء عند ربهم كالشهداء، فإذا نفخ في الصور النفخة الأولى صعقوا فيمن صعق، ثم لا يكون ذلك موتاً في جميع معانيه إلا في ذهاب الاستشعار، فإن كان موسى (عليه السلام) ممن استثنى الله بقوله: «إلا ممن شاء الله فإنه لا يذهب استشعاره في تلك الحالة، فيحاسبه بصعقه يوم الطور. ويقال: إن الشهداء من جملة من استثنى الله عز وجل بقوله تعالى: «إلا ممن شاء الله ورؤينا في ذلك خبراً مرفوعاً. هذا جملة ما ذكره الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب «حياة الأنبياء في قبورهم» لم نحذف منه إلا بعض الأسانيد، أو بعض الزيادة في الأسماء. وقد قدمناه في حديث من «سنن ابن ماجه» [٤١٩] فيه «فنبى الله حتى يرزق». وقال البيهقي في «دلائل النبوة» [٤٢٠]: وفي الحديث الصحيح عن سليمان التيمي وثابت البناني، عن أنس بن مالك: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «أتيت على موسى ليلة أسرى بي عند الكتيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره». ورؤينا في الحديث الصحيح عن أبي سلمة، عن أبي هريرة: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي...» وذكر [صفحة ٢٨٧] إبراهيم وعيسى ووصفهم، ثم قال: «فحانت الصلاة فأمتهم». ورؤينا في حديث ابن المسيب: أنه لقيهم في بيت المقدس. ورؤينا في حديث أنس: أنه بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء، فأمتهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تلك الليلة. ورؤينا في الحديث الصحيح عن أنس، عن مالك بن صعصعة، وعن أنس، عن أبي ذر رضي الله عنهم: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رأى موسى بن عمران في السماء السادسة. وليس بين هذه الأخبار منافاة، فقد يراه في مسيره قائماً يصلي في قبره، ثم يسرى به إلى بيت المقدس، كما أسرى بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فراه فيه، ثم يعرج به إلى السماء السادسة، كما عرج بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فراه في السماء، وكذلك سائر من رآه من الأنبياء في الأرض ثم في السماء، والأنبياء صلوات الله عليهم أحياء عند ربهم كالشهداء، فلا ينكر حلولهم في أوقات بمواضع مختلفات، كما ورد خبر الصادق به، هذا كلام البيهقي.

احاديث الاسراء و لقاء الأنبياء أحياء

وقد ثبت في الصحيح في حديث الإسراء: أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) وجد آدم في السماء الدنيا، وقال فيه: «إذا رجل عن يمينه أسودة، وعن يساره أسودة، فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، فقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح» ووجد إبراهيم في السابعة مسنداً ظهره إلى البيت المعمور. وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «مررت ليلة أسرى بي على موسى بن عمران؛ رجل آدم طوال جعد كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى بن مريم؛ مربع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس». وقال في حديث آخر: «لقيت موسى فإذا برجل» حسبته قال: «مضطرب» [صفحة ٢٨٨] رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة، ولقيت عيسى فإذا ربه أحمر كأنما خرج من ديماس» - يعني حمّاماً «ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به». وفي حديث آخر: «أراني ليلة عند الكعبة، فرأيت رجلاً آدم؛ كأحسن ما أنت راء من الرجال، له لمة، كأحسن ما أنت راء من الللم قد رجليها، فهي تقطر ماء متكتاً على رجلين» أو «على عواتق رجلين يطوف بالبيت، فسألت: من هذا؟ فقيل: هذا المسيح ابن مريم». وفي حديث: «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي، فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كرباً ما كربت مثله قط» قال: «فرعه الله أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي، فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى بن مريم قائم يصلي؛ أقرب الناس به شهباً عروه بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم» يعني نفسه «فحانت الصلاة فأمتهم، فلما فرغت من الصلاة قال قائل: يا محمد، هذا مالك صاحب النار فسلم عليه، فالتفت إليه فبدأني بالسلام». وفي حديث آخر: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مرّ بوادي الأزرق فقال: «كأنني أنظر إلى موسى هابطاً من الثيب، وله جوار إلى الله بالتلبية». ثم أتى على ثيبه هزشي فقال: «كأنني أنظر إلى يونس بن متى على ناقه حمراء جعدة، عليه جبة من صوف، خطام ناقته خلية، وهو

يلتبي». وفي حديث آخر: «كأني أنظر إلى موسى واضعاً إصبعيه في أذنيه». وهذه الأحاديث كلها في الصحيح. وقد تقدّم في موسى وعيسى وجميع الأنبياء المذكورين شيء كثير من صفات الأجسام، وكذلك صلاتهم قياماً، وإمامة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لهم. ولا يقال: إن ذلك رؤيا منام، وإن قوله: «أراني» فيه إشارة إلى النوم؛ لأن [صفحة ٢٨٩] الإسراء وما اتفق فيه كان يقظة على الصحيح الذي عليه جمهور السلف والخلف. ولو قيل: بأنه نوم، فرؤيا الأنبياء حق. وقوله: «أراني» لا دلالة فيه على المنام؛ بدليل قوله: «رأيتني في الحجر» وكان ذلك في اليقظة، كما يدل عليه بقرينة الكلام. وقال تعالى: فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ، وفي «صحيح مسلم» [٤٢١]: كان قتادة يفسيّرهما أن نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد لقي موسى. وقد قيل في قوله تعالى: وَاسْتَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سألهم ليلة الإسراء. قال القاضي عياض (رحمه الله): فإن قيل: يحجون ويلتبون وهم أموات، وهم في الدار الآخرة، وليست دار عمل. فاعلم أن للمشايخ وفيما ظهر لنا عن هذا، أجوبة: أحدها: أنهم كالشهداء، بل أفضل منهم، والشهداء أحياء عند ربهم، فلا يبعد أن يحجوا ويصلّوا، كما ورد في الحديث الآخر، وأن يتقربوا إلى الله تعالى بما استطاعوا؛ لأنهم - وإن كانوا قد توفّوا - فهم في هذه الدنيا التي هي دار العمل، حتى إذا فئيت مدتها وتعقبتها الآخرة التي هي دار الجزاء، انقطع العمل. والوجه الثاني: أن عمل الآخرة ذكر ودعاء، قال الله تعالى: دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ. الثالث: أن يكون رؤيا منام، فهو في غير ليلة الإسراء. الرابع: أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أرى حالهم التي كانت في حياتهم، ومثلوا له في حال حياتهم كيف كانوا، وكيف كان حجهم وتلبيتهم. الخامس: أن يكون أخبر عما أوحى إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) من أمرهم، وما كان منهم؛ وإن [صفحة ٢٩٠] لم يره رؤية عين. هذا كلام القاضي. والوجه الأول والثاني يلزم منهما الحياة، والثالث لا يأتي في ليلة الإسراء، والرابع والخامس إنما يأتیان في الحج والتلبية ونحوهما، وأما فيما حصل ليلة الإسراء فلا. والجواب الصحيح في الصلاة ونحوها أحد جوابين: إما أن نقول: البرزخ ينسحب عليه حكم الدنيا في استكثارهم من الأعمال؛ وزيادة الأجور، وهو الجواب الأول الذي ذكره القاضي. وإما أن نقول: إن المنقطع في الآخرة إنما هو التكليف، وقد تحصل الأعمال من غير تكليف؛ على سبيل التلذذ بها والخضوع لله تعالى، ولهذا إنهم يسبحون، ويدعون، ويقرأون القرآن. وانظر إلى سجود النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقت الشفاعة، أليس ذلك عبادة وعمالاً؟! وعلى كلا الجوابين، لا يمتنع حصول هذه الأعمال في مدة البرزخ. وقد صحّ عن ثابت البناني التابعي أنه قال: اللهم إن كنت أعطيت أحداً أن يصلّي في قبره فأعطني ذلك. فزئى بعد موته يصلّي في قبره. وتكفى رؤية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لموسى قائماً يصلّي في قبره. ولأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسائر الأنبياء، لم يقبضوا حتى خيروا بين البقاء في الدنيا، وبين الآخرة، فاختاروا الآخرة، ولا شك أنهم لو بقوا في الدنيا لآزادوا من الأعمال الصالحة، ثم انتقلوا إلى الجنّة، فلو لم يعلموا أن انتقالهم إلى الله أكمل ما اختاروا، ولو كان انتقالهم من هذه الدار يفوت عليهم زيادة فيما يقرب إلى الله، لما اختاروه. فهذه نبذة من الأحاديث الصحيحة الدالة على حياة الأنبياء. والكتاب العزيز يدل على ذلك أيضاً، قال تعالى: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عند ربهم يُرزقون. وإذا ثبت ذلك في الشهيد ثبت في حق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بوجوه: أحدها: أن هذه رتبة شريفة أعطيت للشهيد؛ كرامة له، ورتبة أعلى من رتبة الأنبياء، ولا شك أن حال الأنبياء أعلى وأكمل من حال جميع الشهداء، فيستحيل أن يحصل كمال للشهداء، ولا يحصل للأنبياء، لا سيما هذا الكمال الذي يوجب زيادة القرب والزلفى والنعيم والأنس بالعلّي الأعلى. الثاني: أن هذه الرتبة حصلت للشهداء أجراً على جهادهم وبذلهم أنفسهم لله تعالى، والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الذي سنّ لنا ذلك، ودعانا إليه، وهدانا له بإذن الله تعالى وتوفيقه، وقد قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «من سنّ سنةً فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سنّ سنةً سيئةً فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة». وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه؛ لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم آثام من يتبعه؛ لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً». والأحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة مشهورة، فكلّ أجر حصل للشهيد حصل للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لسعيه مثله، والحياة أجر، فيحصل للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مثلها زيادة على ما له (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأجر الخاص من

نفسه على هدايته للمهتدي، وعلى ما له من الأجور على حسناته الخاصية؛ من الأعمال والمعارف والأحوال التي لا تصل جميع الأمة إلى عرف نشرها، ولا يبلغون معشار عشرها. وهكذا نقول: إن جميع حسناتنا وأعمالنا الصالحة وعبادات كل مسلم، تسطر في صحائف نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) زيادة على ما له من الأجر، ويحصل له (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأجر بعدد أُمَّته أضعافاً لا يحصرها إلا الله تعالى، ويقصر العقل عن إدراكها، فإن كل مهتد وعامل إلى يوم القيامة يحصل له أجر، ويتجدد لشيخه في الهداية مثل ذلك الأجر، ولشيخ شيخه مثلاه، وللشيخ الثالث أربعة، وللرابع ثمانية، وهكذا [صفحة ٢٩٢] يضعف في كل مرتبة بعدد الأجور الحاصلة بعده... إلى أن تنتهي إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). فإذا فرضت المراتب عشرة بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من الأجر ألف وأربعة وعشرون، فإذا اهتدى بالعاشر حادي عشر صار أجر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأله (صلى الله عليه وآله وسلم) ألفين وثمانية وأربعين، وهكذا كلما ازداد واحد يتضاعف ما كان قبله أبدأً إلى يوم القيامة. وهذا أمر لا يحصره إلا الله تعالى، ويقصر العقل عن كنه حقيقته، فكيف إذا أخذ مع كثرة الصحابة، وكثرة التابعين، وكثرة المسلمين في كل عصر!! فكل واحد من الصحابة يحصل له بعدد الأجور التي يترتب على فعله إلى يوم القيامة، وكل ما يحصل لجميع الصحابة حاصل بحملته للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم). وبهذا يظهر رجحان السلف على الخلف؛ فإنه كلما ازداد الخلف ازداد أجر السلف، وتضاعف بالطريق الذي تبناها عليه. ومن تأمل هذا المعنى، ورزق التوفيق، انبعثت همته إلى التعليم، ورغب في نشره؛ ليتضاعف أجره في حياته وبعد موته على الدوام، ويكف عن إحداث البدع والمظالم من المكوس وغيرها، فإنها تضاعف عليه بالطريق التي ذكرناها ما دام يعمل بهذا، فلي تأمل المسلم هذا المعنى، وسعادة الهادي إلى الخير، وشقاوة الداعي إلى الشر. الثالث: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شهيد، فإنه (صلى الله عليه وآله وسلم) لما سمَّ بخبير، وأكل من الشاة المسمومة، وكان ذلك سماً قاتلاً من ساعته، مات منه بشر بن البراء (رضي الله عنه)، وبقي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك معجزة في حقه، صار ألم السم يتعاهده إلى أن مات به (صلى الله عليه وآله وسلم) (وقال) في مرضه الذي مات فيه: «ما زالت أكلة خبير تعاودني حتى كان الآن أو ان قطعت أبهرى». قال العلماء: فجمع الله له بذلك بين النبوة والشهادة. وتكون الحياة الثابتة للشهداء لا تختص بمن قتل في المعركة، فإنما [صفحة ٢٩٣] اشترطنا ذلك في الأحكام الدنيوية، كالغسل، والصلاة، أما الآخرة فلا، وهذا لا شك فيه بالنسبة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). وأما غيره وغير شهداء المعركة؛ ممن شهد له الشرع بالشهادة، كالمطعون، والمبطون، والغريق، ونحوهم، فهل نقول: إن الحياة الثابتة للمقتولين في سبيل الله تثبت لهم؟ هذا يحتاج إلى توقيف. و«الشهيد» فعيل إما بمعنى الفاعل، أو بمعنى المفعول، وقد اختلف في سبب هذه التسمية: فنقل عن النضر بن شميل: أن الشهيد هو الحي؛ لأن كل من كان حياً كان شاهداً، أو مشاهداً للأحوال، والشهيد حي بعد أن صار مقتولاً، واستدل بالآية. فعلى مقتضى هذا القول، كل من ورد الشرع بأنه شهيد، ثبت له هذا الوصف؛ وهو كونه حياً. وقيل على كونه فاعلاً: إنه شهيد على الأمم الخالية يوم القيامة، وإنه شاهد لطف الله ورحمته. وقيل على كونه بمعنى مفعولاً: إن ملائكة الرحمة يحضرونه، ويرفعون روحه إلى منازل القدس، وكل هذه المعاني موجودة في حق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). وقيل في سبب التسمية غير ما ذكرنا. واعلم: أنه لا بد من تفسير الحياة التي نثبتها للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والحياة التي نثبتها للشهيد وحياة سائر الموتى أيضاً: فأما النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأله (صلى الله عليه وآله وسلم) فعند صاحب «التلخيص» من الشافعية في خصائصه: أن ماله بعد موته قائم على نفقته وملكه. وقال إمام الحرمين (رحمه الله): إن ما خلفه بقي على ما كان في حياته، فكان ينفق أبو بكر (رضي الله عنه) منه على أهله وخدمه، وكان يرى أنه باق على ملك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإن [صفحة ٢٩٤] الأنبياء أحياء. وأعلم: أن هذا القول يقتضي إثبات الحياة في أحكام الدنيا، وذلك زائد على حياة الشهيد. والقرآن العزيز ناطق بموته (صلى الله عليه وآله وسلم) قال تعالى: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ. وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «إني مقبوض». وقال الصديق (رضي الله عنه): فإن محمداً قد مات. وأجمع المسلمون على إطلاق ذلك. فالوجه إذا ثبت القول المذكور أن يقال: إن ذلك موت غير مستمر، وإنه أحيى بعد الموت، ويكون انتقال الملك ونحوه مشروطاً بالموت المستمر، وإلا فالحياة الثابتة حياة أخروية، ولا شك أنها أعلى وأكمل من حياة الشهيد. وهي ثابتة للروح بلا إشكال. والجسد: قد ثبت أن أجساد

الأنبياء لا تبلى، وعود الروح إلى البدن سندكره في سائر الموتى، فضلا عن الشهداء، فضلا عن الأنبياء. وإنما النظر في استمرارها في البدن، وفي أن البدن يصير حياً بها، كحالته في الدنيا، أو حياً بدونها، وهي حيث شاء الله تعالى، فإن ملازمة الحياة للروح أمر عادى لا عقلى. فهذا مما يجوز العقل، فإن صح به سمع اتبع، وقد ذكرناه عن جماعة من العلماء، وشهد له صلاة موسى (عليه السلام) في قبره، فإن الصلاة تستدعى جسداً حياً، وكذلك الصفات المذكورة في الأنبياء ليلة الإسراء، كلها صفات الأجسام. ولا يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون الأبدان معها - كما كانت في الدنيا - من الاحتياج إلى الطعام، والشراب، والامتناع عن النفوذ في الحجاب الكثيف، وغير ذلك من صفات الأجسام التي نشاهدها، بل قد يكون لها حكم آخر، فليس في العقل ما يمنع من إثبات الحياة الحقيقية لهم. [صفحہ ۲۹۵] وأمّا الإدراكات - كالعلم، والسمع - فلا شك أن ذلك ثابت، وسندكر ثبوته لسائر الموتى، فكيف بالأنبياء!! [صفحہ ۲۹۶]

في الشهداء

اشاره

أجمع العلماء على إطلاق لفظ «الحياة» على الشهيد، كما نطق به القرآن، ولكن اختلفوا هل هي حياة حقيقية، أو مجازية؟ وعلى تقدير كونها حقيقية، هل هي الآن، أو يوم القيامة؟ وعلى تقدير كونها الآن، هل هي للروح، أو للجسد؟ فهذه أربعة أقوال، لا - خامس لها. أضعفها قول من قال: إن المراد أنهم يصيرون أحياء يوم القيامة، وليس المراد أنهم أحياء الآن. وهذا قول باطل بوجوه: منها: قوله تعالى: وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ فهذا خطاب للمؤمنين بأنهم لا يشعرون بحياة من قُتِلَ في سبيل الله، وكلّ المؤمنين يشعرون ويعلمون بحياتهم يوم القيامة، وإنما الغريب الذي لا - يُشْعَرُ به: حياتهم الآن. ومنها: قوله تعالى: وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ والمراد إخوانهم الذين في الدنيا، ولم يموتوا بعد. ومنها: الأحاديث الصحيحة عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة في ظلّ العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق؛ لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عن الحرب. فقال الله تعالى: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله عز وجلّ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا... الآية، رواه أبو داود، وأخرجه الحاكم في [صفحہ ۲۹۷] صحيحه [۴۲۲]. وفي «صحيح مسلم» [۴۲۳] عن مسروق قال: سألتنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ؟ فقال: أما أنا قد سألتنا عن ذلك فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم إطلاعاً فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أى شىء نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث نشاء!! فيقول ذلك لهم ثلاث مرات. فلما رأوا أنهم لم يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن تردّ أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى. فلما رأى أن ليست لهم حاجة تركوا». وهذا الحديثان صريحان في أن ذلك حصل فيما مضى. وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: لقيني رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: «يا جابر، ما لى أراك منكساً؟». قلت: يا رسول الله، استشهد أبى قبل يوم أحد، وترك عيالا، وعليه دين. قال: «أفلا - أبشرك بما لقي الله عز وجلّ به أباك؟». قلت: بلى يا رسول الله. قال: «إن الله ما كلم أحداً قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك وكلمه كفاحاً، فقال له: يا عبدى، تمنّ على أعطك. فقال: يا رب، تحيينى فأقتل فيك مرة ثانية». [صفحہ ۲۹۸] قال الربّ عز وجلّ: قد سبق منى أنهم لا يرجعون». قال: وأنزلت هذه الآية: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا رواه الترمذى وقال: حسن غريب من هذا الوجه [۴۲۴]. وقوله: «أحيا أباك» يقتضى تجدد حياة، والروح باقية لم تمت، فإما أن يحمل على الجسد، وإما على أن مفارقتها الجسد حياة لها. ومنها: ما سندكره في سائر الموتى؛ وأنهم منقسمون في القبور إلى منعم ومعذب. فثبت بهذه الوجوه أن الحياة حاصله للشهيد

الآن. ولكن من الناس من قال: إنها حياة مجازية، ثم سلخوا في وجه المجاز وجوهاً: إما لأنهم في حكم الله مستحقون للنعيم في الجنة. أو لأن ثناءهم باق. أو غير ذلك من وجوه المجازات. وكلها ضعيفة؛ لأنها عدول عن الحقيقة إلى المجاز بغير دليل. فلم يبق إلا أنها حياة حقيقية الآن، وأن الشهداء أحياء حقيقة، وهو قول جمهور العلماء.

حياة الشهداء: للروح أو للجسد؟

لكن هل ذلك للروح فقط، أو للجسد معها؟ فيه قولان: أحدهما: للروح فقط؛ لما ذكرناه من حديث ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما وأن الروح في أجواف طير خضر، وحياة الجسد إنما تكون بعود الروح إليه. [صفحة ٢٩٩] والثاني: للجسد معها. وسنذكر مثل ذلك في سائر الموتى وإثبات حياتهم في قبورهم؛ وأن عذاب القبر ونعيمه للجسد والروح جميعاً، وإذا كان نعيم غير الشهيد كذلك فنعيم الشهيد أتم وأولى وأكمل. وذكر القرطبي: أن أجساد الشهداء لا تبلى، وقد صحَّ عن جابر أن أباه وعمرو بن الجموح رضي الله عنهما - وهما ممن استشهد بأحد، ودفنا في قبر واحد - حفر السيل قبرهما، فوجدا لم يتغيرا، وكان أحدهما قد جرح، فوضع يده على جرحه، فدفن وهو كذلك، فأميطت يده عن جرحه ثم أرسلت، فرجعت كما كانت، وكان بين ذلك وبين أحد ست وأربعون سنة [٤٢٥]. ولما أجرى معاوية (رضي الله عنه) العين التي استنبطها بالمدينة، وذلك بعد أحد بنحو من خمسين سنة، ونقل الموتى، أصابت المسحاة قدم حمزة (رضي الله عنه) فسأل منه الدم. ووجد عبدالله بن حرام كأنما دفن بالأمس. وروى كافة أهل المدينة أن جدار قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لما انهدم أيام الوليد، بدت لهم قدم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وكان قتل شهيداً. ولا حاجة إلى الإكثار من ذلك؛ فقد صحَّ أن الأنبياء لا تأكل الأرض أجسادهم، وورد مثله في الشهداء. ويعنى بالشهيد من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا. فلا يرد علينا: أنا قد نرى من يقاتل وتأكله الأرض لكن بقاء الجسد لا يدل على حياته والكلام هنا إنما هو في الحياة، وقد صحَّ في الشهداء أنهم يقولون: [صفحة ٣٠٠] نريد أن تردّ أرواحنا إلى أجسادنا، وهذا يردّ قول من يقول: إن جسد الشهيد حي بروحه، كما كان في الدنيا. اللهم إلا أن يقال: إنه حي بغير تلك الروح، نوعاً من الحياة مخالفاً للحياة الدنيوية. وقد جاء في أرواح الشهداء: «أنها في أجواف طير تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى قناديل من تحت العرش». فمن العلماء من قال: أرواح الشهداء في أجواف طير في الجنة، وأرواح غيرهم من المؤمنين في قبورهم، وممن ذكر ذلك القرطبي في «التذكرة». ومنهم من طعن في الحديث وقال: إنه لم يصح كونها في حواصل طير، وزعم أنها بذلك تكون محبوسة، نقل ذلك عن أبي الحسن القالي وغيره من المالكية. وهو مردود؛ لأن الحديث صحيح. ومنهم من أول «في» بمعنى «على». ومنهم من قال: إنها ليست في طير، ولكنها نفس الطير؛ لقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنما نسمة المؤمن طائر تعلق». ومنهم من يقول: أرواح الشهداء مختلفة: منها: ما هو طائر تعلق من شجر الجنة. ومنها: ما هو في حواصل طير خضر. ومنها: ما تأوى إلى قناديل تحت العرش. ومنها: ما هو في حواصل طير بيض. ومنها: ما هو في حواصل طير كالزراير. ومنها: ما هو في أشخاص وصور من صور الجنة. ومنها: ما هو في صور تخلق لهم من ثواب أعمالهم. ومنها ما يسرح ويردّد إلى جثتها يزورها. ومنها: ما يتلقى أرواح الموتى. وممن سوى ذلك ما هو في كفالة ميكائيل (عليه السلام). ومنها: ما هو في كفالة آدم (عليه السلام). ومنها: ما هو في كفالة إبراهيم عليه الصلاة والسلام. [صفحة ٣٠١] قال القرطبي رحمه الله تعالى: وهذا قول حسن، فإنه يجمع الأخبار حتى لا تدافع، والله تعالى أعلم. [صفحة ٣٠٢]

في سائر الموتى في السماع والكلام والإدراك والحياة وعود الروح إلى الجسد

أمّا السماع والكلام: فرواهما البخاري (رحمه الله): أنا بجميع «صحيح البخاري» أبو الحسن علي بن محمد بن هارون بقراءة عليه غير مرة بالقاهرة، وفاطمة بنت البطائح بقراءة عليها بسفح قاسيون ظاهر دمشق، وأبو العباس أحمد بن أبي طالب، ووزيرة بنت عمر بن أسعد برمخا قراءة عليهما وأنا أسمع وآخرون. قال الأربعة المذكورون: أنا الحسين بن المبارك بن يحيى بن الزبيدي - قال الأول: وأنا

حاضر، وقال الثلاثة: ونحن نسمع - قال أنا أبو الوقت عبد الأوّل بن عيسى قراءة عليه وأنا أسمع، أنا جمال الإسلام أبو الحسن عبدالرحمان بن محمّد بن المظفر الداودي، أنا أبو محمّد عبدالله بن أحمد بن حمويه، أنا أبو عبدالله محمّد بن يوسف بن مطر الفربري، ثنا الإمام أبو عبدالله محمّد بن إسماعيل البخاري، قال ثنا عياش، ثنا عبد الأعلى، ثنا سعيد. وبه قال: وقال لي خليفة: ثنا ابن زريع، ثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «العبد إذا وضع في قبره وتولّى وذهب عنه أصحابه - حتى أنّه يسمع قرع نعالهم - أتاه ملكان فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمّد؟ فيقول: أشهد أنّه عبدالله ورسوله. فيقال: انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به مقعداً من الجنة. قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): فرأهما جميعاً. [صفحة ٣٠٣] وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري، كيف أقول ما يقول الناس. فيقال: لا دريت، ولا تليت، ثمّ يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين» [٤٢٦]. وروى مسلم (رحمه الله) من حديث أسماء قريباً منه، وفيه: «وأما المنافق أو المرتاب». قال الراوي: لا أدري أيّ ذلك قالت أسماء [٤٢٧]. وفي الترمذي: أن الملكين يقولان للمؤمن: «نم كنومة العروس لا يوقظه إلا - أحبّ أهله إليه» [٤٢٨]. وبالإسناد إلى البخاري قال: ثنا عبد العزيز بن عبدالله، ثنا الليث، عن سعيد المقبري، عن أبيه: أنّه سمع أبا سعيد الخدري يقول: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدّموني، وإن كانت غير صالحة: قالت: يا ويلها، أين تذهبون بها؟! يسمع صوتها كلّ شيء إلا الإنسان، ولو سمعه صعق». وبالإسناد إلى البخاري قال: ثنا عبدالله بن يوسف، ثنا الليث بن سعد... فذكر بمثله، وقال: «قالت لأهلها: يا ويلها» وقال: «ولو سمع الإنسان لصعق» [٤٢٩]. فانظر هذه الأحاديث الصحيحة التي لا مريء فيها، وتأكيد الكلام بما لا يحتمل المجاز؛ وهو قول: «يسمع صوتها كلّ شيء إلا الإنسان»، ولولا هذا لأمكن أن يحمل على القول بلسان الحال، لكن بعد هذا لا يسوغ هذا الحمل. وأيضاً فإنّ لسان الحال معلوم عند الإنسان، فلا شكّ في حصول كلام [صفحة ٣٠٤] حقيقي، وهذا ونحن نشاهد على أعناق الرجال ميتاً. ومن الأحاديث الصحيحة المتفق عليها، نداءه (صلى الله عليه وآله وسلم) أهل البئر، وقوله: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» [٤٣٠]. وأما الإدراك: فيدلّ له مع ذلك الأحاديث الواردة في عذاب القبر، وهي أحاديث صحيحة متفق عليها، رواها البخاري ومسلم وغيرهما، وأجمع عليها وعلى مدلولها أهل السنّة، والأحاديث في ذلك متواترة. ومن أحسنها ما رواه أبو داود الطيالسي، أنا أبو العباس أحمد بن محمّد الدشتي بقرآتي عليه بالشام في سنه سبع وسبعمائه قال: أنا الحافظ ابن خليل، أنا اللبان، أنا الحدّاد، أنا أبو نعيم، أنا ابن فارس، ثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود الطيالسي، ثنا الأسود بن شيبان، عن بحر بن مزار [٤٣١] عن أبي بكره قال: بينما أنا أمشي مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعى رجل، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يمشى بيننا، إذ أتى على قبرين، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنّ صاحبي هذين القبرين ليعذبان الآن في قبورهما، فأيكما يأتيني من هذا النخل بعسيب؟». فاستبقت أنا وصاحبي فسبقت، وكسرت من النخل عسيباً، فأتيت به النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فشقه نصفين من أعلاه، فوضع على أحدهما نصفاً، وعلى الآخر نصفاً وقال: «إنّه يهون عليهما ما دام فيهما من بلوتهما شيء، إنهما يعذبان في الغيبة والبول» [٤٣٢]. قال الطيالسي: وروى هذا الحديث مسلم بن إبراهيم، عن الأسود، عن مجزأة، عن عبدالرحمان بن أبي بكره. [صفحة ٣٠٥] هكذا نقلته من مسند أبي داود الطيالسي [٤٣٣] التي هي أصل سماعي، وهي بخطّ ابن خليل، وأصل الحديث ثابت في «الصحيحين» [٤٣٤]. وفي هذه الرواية النصّ على أنّ العذاب الآن، وأنّه في القبور. وخرّج البخاري ومسلم عن البراء بن عازب: أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله، وأنّ محمّداً رسول الله، فذلك قوله تعالى: يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ» [٤٣٥]. وقد ورد عن البراء بن عازب حديث طويل جامع لأحكام الموتى، وفيه التصريح بعود الروح إلى الجسد: أنا به الدشتي، أنا ابن خليل، أنا اللبان، أنا الحدّاد، أنا أبو نعيم، أنا ابن فارس، ثنا يونس، ثنا أبو داود الطيالسي قال: ثنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن زاذان، عن البراء بن عازب رضی الله عنهما. قال أبو داود: حدّثنا عمرو بن ثابت سمعه من المنهال بن عمرو، عن زاذان، عن البراء بن عازب، وحديث أبي عوانة أتمهما. قال البراء: خرجنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في

جنازة رجل من الأنصار، فانتبهنا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجلسنا حوله كأنما على رؤسنا الطير. قال عمرو بن ثابت: «وَقَعَ» ولم يقله أبو عوانة. فجعل يرفع بصره وينظر إلى السماء، ويخفض بصره وينظر إلى الأرض، ثم [صفحة ٣٠٦] قال: «أعوذ بالله من عذاب القبر» قالها مراراً. ثم قال: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي قَبْلِ مِنَ الْآخِرَةِ وَانْقَطَعَ مِنَ الدُّنْيَا، جَاءَهُ مَلِكٌ فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَخْرَجِي أَيْتَهَا النَّفْسَ الْمَطْمَئِنَّةَ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، فَتَخْرُجُ نَفْسُهُ، وَتَسِيلُ كَمَا يَسِيلُ قَطْرُ السَّقَاءِ». قال عمرو في حديثه ولم يقله أبو عوانة: «وإن كنتم ترون غير ذلك، وتنزل ملائكة من الجنة يبض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم أكفان من أكفان الجنة، وحنوط من حنوطها، فيجلسون منه مد البصر، فإذا قبضها الملك لم يدعها في يده طرفه عين، فذلك قوله عز وجل: تَوَفَّيْتَهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ». قال: «فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت، فتخرج بها الملائكة، فلا يأتون على جند بين السماء والأرض إلا قالوا: ما هذه الروح؟ فيقال: فلان؛ بأحسن أسمائه، حتى ينتهوا به إلى باب السماء الدنيا فتفتح له، ويشيعه من كل سماء مقربوها، حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة، فيقول: اكتبوا كتابه في عليين: وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيْنَا كِتَابٌ مَرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ» فيكتب كتابه في عليين. ثم يقال: ردوه إلى الأرض، فأنتى وعدتهم إني منها خلقناهم، وفيها نعيدهم، ومنها نخرجهم تارة أخرى. فترد إلى الأرض، وتعاد روحه في جسده. فيأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه ويجلسانه فيقولان: من ربك، وما دينك؟ فيقول: ربى الله، ودينى الإسلام. فيقولان: فما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله. فيقولون: وما يدريك؟ [صفحة ٣٠٧] فيقول: جاءنا بالبينات من ربنا فآمنت به وصدقته. قال: «وذلك قوله عز وجل: يُبَيِّنُ اللَّهُ لِّلَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ». قال: «وينادى مناد من السماء: قد صدق عبدى، فألبسوه من الجنة، وأفرشوه منها، وأروه منزله منها. فيلبس من الجنة، ويفرش منها، ويرى منزله منها، ويفسح له مد بصره، ويمثل له عمله فى صورة رجل حسن الوجه، طيب الريح، حسن الثياب فيقول: أبشر بما أعد الله عز وجل لك، أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم مقيم. فيقول: بشرك الله بخير، من أنت، فوجهك الوجه الذى جاءنا بخير؟ فيقول: هذا يومك الذى كنت توعد، والأمر الذى كنت توعد، وأنا عملك الصالح، فوالله ما علمتكم إلا كنت سريعاً فى طاعة الله، بطيئاً عن معصية الله، فجزاك الله خيراً. فيقول: يا رب أقم الساعة كى أرجع إلى أهلى ومالى». قال: وإن كان فاجراً فكان فى قبل من الآخرة وانقطع من الدنيا، جاءه ملك فجلس عند رأسه فقال: اخرجى أيتها النفس الخبيثة، أبشر بسخط الله وغضبه، فتنزل ملائكة سود الوجوه معهم مسوح، فإذا قبضها الملك قاموا فلم يدعوا فى يده طرفه عين». قال: «فتفرق فى جسده، فيستخرجها تقطع معها العروق والعصب، كالسفود الكبير الشعب فى الصوف المبلول، فتؤخذ من الملك، فتخرج كأنتن ريح وجدت، فلا تمر على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: هذا فلان؛ بأسوأ أسمائه، حتى ينتهوا إلى السماء الدنيا فلا يفتح له. [صفحة ٣٠٨] فيقول: ردوه إلى الأرض إني وعدتهم أنني منها خلقناهم، وفيها نعيدهم، ومنها نخرجهم تارة أخرى. قال: «فيرمى به من السماء» قال: فتلا هذه الآية: وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ... الآية. قال: «ويعاد إلى الأرض، وتعاد فيه روحه، ويأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه ويجلسانه فيقولان: من ربك، وما دينك؟ فيقول: لا أدري. فيقولان: فما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فلا يهتدى لاسمه فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون ذلك». قال: «فيقال: لا دريت، فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويمثل له عمله فى صورة رجل قبيح الوجه، منتن الريح، قبيح الثياب، فيقول: أبشر بعذاب من الله وسخطه. فيقول: من أنت، فوجهك الوجه الذى جاء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، والله ما علمتكم إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله، سريعاً إلى معصية الله». قال عمر فى حديثه عن المنهال، عن زاذان، عن البراء، عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): «فيقيض له ملك أصم أبكم معه مرزبه، لو ضرب بها جبل صار تراباً» أو قال: «رميماً» فيضربه بها ضربه يسمعها الخلائق إلا الثقلين، ثم تعاد فيه الروح، فيضربه ضربه أخرى». وهذا الحديث أخرجه جماعة من الأئمة فى مسانيدهم، منهم الإمام أحمد [٤٣٦]، وعبد بن حميد [٤٣٧]، وعلى بن معبد فى الطاعة والمعصية وغيرهم، [صفحة ٣٠٩] ورجال إسناده كلهم ثقات. وتكلم فيه ابن حزم من جهة المنهال بن عمرو. وهذا الكلام ليس بشيء؛ لأن المنهال بن عمرو روى له البخارى، ووثقه غير واحد، منهم يحيى بن معين. والكلام الذى فيه من جهة أن شعبه تركه، وقد قال عبدالرحمان بن مهدى: إن

سبب ترك شعبه له؛ أنه سمع من داره صوت قراءة بالتطريب، وإذا عرف هذا السبب لم يضرب ترك شعبه إياه؛ لأن جماعة من العلماء قالوا بإباحة ذلك، وما كان مختلفاً فيه من هذا الجنس فلا ترد الرواية به، ولا الشهادة، ولا سيما ولم يعلم أن ذلك الصوت منه، فقد يكون في داره من غيره، ولا علم له به. وبالجملة: فهذا كلام لا وجه له، ولا شك في ثقة المنهال بن عمرو، وأنه ممن يحتج بحديثه، ولا معنى لإنكار عود الروح وتضعيفه بالمنهال بن عمرو، مع دلالة بقية الأحاديث المتفق عليها على السماع، والكلام، والقعود، وغيرها مما يستلزم الحياة وعود الروح. وقد روى البغوي في «شرح السنّة» [٤٣٨] عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «إن الميت يسمع حسّ النعال إذا ولى عنه الناس مدبرين، ثم يجلس ويوضع كفنه في عنقه، ثم يسأل». وقد أجمع أهل السنّة على إثبات الحياة في القبور، قال إمام الحرمين في «الشامل» [٤٣٩]: اتفق سلف الأمة على إثبات عذاب القبر، وإحياء الموتى في قبورهم، وردّ الأرواح في أجسادهم. وقال الفقيه أبو بكر بن العربي في «الأمد الأقصى في تفسير أسماء الله الحسنى»: «إن إحياء المكلفين في القبر وسؤالهم جميعاً، لا خلاف فيه بين أهل [صفحة ٣١٠] السنّة. وقال سيف الدين الأمدى في كتاب «أبكار الأفكار» [٤٤٠]: اتفق سلف الأمة قبل ظهور المخالف، وأكثرهم بعد ظهوره، على إثبات إحياء الموتى في قبورهم، ومساءلة الملكين لهم، وإثبات عذاب القبر للمجرمين والكافرين، وقوله تعالى: وَأَحْيَيْتِنَا اثْنَيْنِ أَى حياء المساءلة في القبر، وحياء الحشر، لأنهما حياتان عرفوا الله بهما، والحياة الأولى في الدنيا لم يعرفوا الله بها. وقال القرطبي: إن الإيمان به مذهب أهل السنّة، والذي عليه الجماعة من أهل الملّة، ولم يفهم الصحابة الذين نزل القرآن بلسانهم ولغتهم من نبيهم (عليه السلام) غير ذلك، وكذلك التابعون بعدهم، وذهب بعض المعتزلة إلى موافقة أهل السنّة على ذلك. وذهب صالح قبة والصالحي وابن جرير؛ إلى أن الثواب والعقاب ينال الميت من غير حياة، وهذا مكابرة للعقول. وذهبت طائفة إلى أن الميت يألم كما يألم السكران، فإذا حشر وجد ذلك الألم، كما يجد السكران الألم إذا عاد العقل إليه، وهذا المذهب تخليط لا حاصل له. وذهب ضرار بن عمرو وبشر المريسّي ويحيى بن كامل وغيرهم من المعتزلة؛ إلى أن (من) مات فهو ميت في قبره إلى يوم البعث. ومنهم من اعترف بعذاب القبر، وأنه يكون بين النفختين. وكلا الأمرين مخالف لما تظافرت به الأحاديث. وطعن بعض الملحده: بأننا نرى المصلوب لا يظهر عليه شيء من ذلك، ومن افترسه السبع وتفرقت أجزاؤه، كيف يقال بذلك فيه؟ وللائمة رضى الله عنهم طرق في الأجوبة عن ذلك: [صفحة ٣١١] منها: أنه لا يبعد أن تكون المساءلة على أجزاء مخصوصة من الجسد، كأجزاء القلب ونحوها، فيردّ الله الروح إليها ويسائلها. ومنها: أنه لا يبعد أن يردّ الروح إلى المصلوب من حيث لا نشعر، ونحن نحسبه ميتاً، كما نحسب صاحب السكنة ميتاً، وأما من تفرقت أجزاؤه فيردّ الله الروح إلى كل جزء، ويسائله الملكان. ومنها: أن الذين في القبور يجلسون ويسألون، والذين بقوا على وجه الأرض من الموتى، يحجب الله المكلفين عمّا يجرى عليهم، كما حجبه عن رؤية الملائكة مع رؤية النبيين لهم صلوات الله عليهم. ومما تعلقوا به قوله تعالى: إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى. وَمَا أَنْتَ بِمَسْمُوعٍ مِنَ فِي الْقُبُورِ. وإنكار عائشة رضى الله عنها سماع أهل القلب. فأما قوله تعالى: إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى فنحن نقول به، وإنما نقول: يسمعون إذا ردت إليهم أرواحهم. وأما قوله: وَمَا أَنْتَ بِمَسْمُوعٍ مِنْ فِي الْقُبُورِ فمعناه: إذا كانوا موتى. وأما عائشة رضى الله عنها فقد اعترفت بالعلم، وقالت: إنما قال: «إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق»، وإذا جاز العلم جاز السماع؛ لأنهما جميعاً مشروطان بالحياة على الجملة. فهذه الأمور ممكنة في قدرة الله تعالى، وقد وردت بها الأخبار الصحيحة، فيجب التصديق بها، ويقطع بأن الحياة تعود إلى الميت. وأما أنه هل يموت بعد ذلك موته ثانية؟ لم يرد في الأحاديث تصريح بذلك، لكن في كلام بعضهم ما يقتضيه، وحمل عليه قوله تعالى: رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَيْنِ على اختلاف المفسرين فيها. والقائلون بعذاب القبر يقولون باستمراره، وهكذا تقتضى الأحاديث [صفحة ٣١٢] الصحيحة، كما تقدّم: «هذا مقعدك حتى يبعثك الله» وقوله تعالى: يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا. وقد صحّ في مسلم عن زيد بن ثابت قال: بينما النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه، إذ حادت به، فكادت تلقيه، وإذا أقبر سيّة أو خمسة أو أربعة، فقال: «ومن يعرف أصحاب هذه القبور؟». فقال رجل: أنا. فقال: «فمتى مات هؤلاء؟». قالوا: ماتوا في الإشراك. فقال: «إن هذه الأمة تبلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع» [٤٤١]. وهذا

يدل على استمرار عذاب القبر. وعن أنس: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سمع صوتاً من قبر، فقالوا: دفن في الجاهلية. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر» [٤٤٢]. وأما قوله تعالى: مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا فَهُوَ يشعر بالحياة؛ لأن الرقاد للحى، وقد قيل في تفسيره أقوال: منها: أن العذاب يرفع عن أهل القبور بين النفخات، نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة النشر، فلا يعذب في هذه الأوقات إلا من قتل نبياً، أو قتله نبياً، أو قتل في معترك نبي. ومنها: أن العذاب ليس بدائم، بل بكرة وعشياً، ويفتر فيما بين ذلك، فتقوم [صفحة ٣١٣] الساعة في ارتفاع النهار، فيصادف قيامها وقت الفترة. وقد تلخص من هذا: أن الروح تعاد إلى الجسد، ويحيا وقت المساء، وأنه ينعم أو يعذب من ذلك الوقت إلى يوم البعث؛ إما متقطعاً، أو مستمراً على ما سبق. وهل ذلك من بعد وقت المساء إلى البعث للروح فقط، أو لها مع الجسم؟ (يتربان) [٤٤٣] على أن الجسم هل يفنى، أو يتفرق، وكلا الأمرين جائز عقلاً، وفي الواقع منه قولان للمتكلمين، ولم يرد في الشرع ما يمكن التمسك به في ذلك إلا قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب». فحيث يكون الجسم أو بعضه باقياً، فلا امتناع من قيام الحياة به، وحيث يعدم بالكلية يتعين القول بالروح فقط. على أنها - أيضاً - قد تعدم عند فناء العالم، ليكون المعاد وارداً عليها وعلى الجسم معاً. وقد جاءت أحاديث تدل على أن بعض الموتى، يقبهم الله تعالى فتنة القبر، منهم الشهيد، ومن مات يوم الجمعة، أو ليلة الجمعة، وآخرون وردت بهم أحاديث، وهؤلاء إن خصوا من المساءلة فالنعيم والحياة شاملان لهم. وقد عرف بهذا: أن حياة جميع الموتى - بأرواحهم وأجسامهم في قبورهم - لا شك فيها، واستمرار العقاب أو النعيم بعد المساءلة لا شك فيه أيضاً؛ لما سبق، وكون ذلك فيما بعد وقت المساءلة للروح فقط، أولها مع الجسم؟ مياً يتوقف على السمع. وقد ذكر سعيد بن السكن في سننه، عن أبي هريرة، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «الميت إذا وضع في قبره إنه ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه...» وذكر حديثاً طويلاً، إلى أن قال: «يفسح له في قبره [صفحة ٣١٤] سبعون ذراعاً، وينور له فيه، ويعاد الجسد بما بدىء منه، وتجعل النسمة في النسم الطيبة، فهو يطير ويعلق في شجر الجنة». وفي «المستدرک على الصحيحين» للحاكم في فضائل عائشة رضی الله عنها قالت: كنت أدخل البيت الذي دفن فيه معهما عمر، والله ما دخلت إلا وأنا مشدودة على ثيابي؛ حياة من عمر [٤٤٤]. قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخزجاه. [صفحة ٣١٥]

قد عرفت مقالات الناس في سائر الموتى وفي الشهداء...

وعرفت أن القول فيهم بعود الروح إلى الجسد، وبقائها فيه إلى يوم القيامة، بعيد مخالف للحديث الصحيح أنها ترجع إلى جسده يوم القيامة. وعرفت أن النعيم حاصل لأرواح السعداء من الشهداء وغيرهم، والعذاب حاصل للأشقياء. فلعلك تقول: ما الفرق حينئذ بين الشهداء وغيرهم؟ والجواب عن هذا من وجهين: أحدهما: أن إثبات الحياة للشهداء لا ينفي ثبوتها عن غيرهم، فالآيتان الكريمتان الواردتان بقوله تعالى: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَيْسَ فِيهِمَا نَفْيٌ هَذَا الْحُكْمُ عَنْ غَيْرِهِمْ، بل الرد على ما يعتقد أنهم ليسوا كذلك، ونص عليهم؛ لأن الواقعة كانت فيهم. الثاني: أن أنواع الحياة متفاوتة: حياة للأشقياء معديين، أعادنا الله تعالى منها، وحياة بعض المؤمنين من المنعمين، وحياة الشهداء أكمل وأعلى، فهذا النوع من الحياة والرزق لا يحصل لمن ليس في رتبته، وأمياً حياة الأنبياء فأعلى وأكمل وأتم من الجميع؛ لأنها للروح والجسد على الدوام على ما كان في الدنيا، على ما تقدم عن جماعة من العلماء. ولو لم يثبت ذلك، فلا شك أن كمال حياتهم أيضاً أكبر من الشهداء وغيرهم؛ أما بالنسبة إلى الروح، فلكمال اتصالها ونعيمها وشهودها للحضرة الإلهية، وهي مع ذلك مقبلة على هذا العالم، ومتصرفه فيه، وأما بالنسبة إلى الجسد، فلما ثبت من الحديث. [صفحة ٣١٦] وبالجملة: كل أحد يعامل بعد موته كما كان يعامل في حياته، ولهذا يجب الأدب مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد موته، كما كان في حياته. وقد روى عن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) قال: لا ينبغي رفع الصوت على نبي حياً ولا ميتاً [٤٤٥]. وروى عن عائشة رضی الله عنها: أنها كانت تسمع صوت الوتد يوتد، والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بمسجد

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فترسل إليهم: لا تؤذوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) [٤٤٦]. قالوا: وما عمل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) مصراعى داره إلا بالمناصح، توقياً لذلك، هكذا رواه الحسيني في «أخبار المدينة». وهذا مما يدل على أنهم كانوا يرون أنه حي. وعن عروة قال: وقع رجل في علي عند عمر بن الخطاب، فقال له عمر بن الخطاب: قبحك الله، لقد آذيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قبره. ومن نظر سير السلف الصالحين والصحابه والتابعين، علم أنهم كانوا في غاية الأدب مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد موته، كما كانوا في حياته، وكانوا مع قبره الشريف كذلك. وكيف لا؟! وقد روى عن كعب الأحبار قال: ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحفوا بالقبر؛ يضربون بأجنحتهم، ويصلون على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى إذا أمسوا عرجوا، وهبط مثلهم، فصنعوا مثل ذلك، حتى إذا انشقت الأرض خرج في سبعين ألفاً من الملائكة. فلو لم يكن في الحضور عند القبر إلا الدعاء بحضرة هؤلاء الملائكة، فكيف وفيه حضرة سيد الخلق أجمعين!! [صفحة ٣١٧] ولذلك كانت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يغضون أصواتهم في مسجده (صلى الله عليه وآله وسلم) تعظيماً له. ففي البخاري: عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه قال لرجلين من أهل الطائف: لو كنتم من أهل البلد لأوجعتكما؛ ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) [٤٤٧]. ولو جمعنا الأحاديث الصحيحة التي فيها ما كانت الصحابة عليه من تعظيم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عليه وآله وسلم) وتعظيم آثاره، وأدبهم معه، لجاءت مجلّبات. بل الملائكة أيضاً كانوا يسلكون كمال الأدب معه. كما روى أبو بكر بن أبي شيبة في مصنفه [٤٤٨]: ثنا ابن فضيل، عن عطاء بن السائب، عن محارب، عن ابن بريده قال: وردنا المدينة، فأتينا عبد الله بن عمر فقال: كتبنا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأتاه رجل جئد الثياب، طيب الريح، حسن الوجه فقال: «السلام عليك يا رسول الله». فقال: «وعليك». فقال: «يا رسول الله، أدنو منك؟». قال: «ادنه» فدنا دنوة. فقلنا: ما رأينا كالיום قط رجلاً أحسن ثوباً ولا أطيّب ريحاً ولا أحسن وجهاً ولا أشد توقيراً لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). ثم قال: «يا رسول الله، أدنو منك؟». قال: «نعم». فدنا دنوة، فقلنا مثل مقالتنا. ثم قال له في الثالثة: «أدنو منك يا رسول الله؟». قال: «نعم» وذكر حديث جبرئيل، وسؤاله عن الإسلام. فانظر تعظيم جبرئيل، وأدبه مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكذلك ملك الموت، وغير ذلك [صفحة ٣١٨] من الأحاديث التي لا تحصر، والكتاب العزيز، وإجماع المسلمين. ولا شك أن من قال: «لا يُزارُ، ولا يسافر لزيارته، أو لا يستغاث به». بعيد من الأدب معه، نسأل الله تعالى العافية. وقد روى القاضي إسماعيل في «أحكام القرآن» عن حميد بن عبيد، ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: أن رجلاً قال: لو قبض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لتزوجت فلانة، فأنزل الله تعالى: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زُجُوجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا [٤٤٩]. قال معمر: وبلغني أن طلحة قال: لو قبض النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لتزوجت عائشة. فانظر محافظة القرآن العزيز على حفظه، وصونه عما يؤديه في حياته وبعد مماته، وهذا معلوم من الدين بالضرورة، وإشعار الآية الكريمة بأن نكاحهن بعد الموت يؤديه، فيقتضى أنه يتأذى بعد الموت. فينبغي للمحترز على دينه أن يسلك كمال الأدب ويتحفظ غاية التحفظ؛ لئلا يزل وهو لا يشعر فيما يؤديه، فيخسر الدنيا والآخرة. نسأل الله تعالى أن يعصمنا في ديننا، وبسترنا فيما بقى من أعمارنا، ويجعل ما نقوله حجة لنا لا علينا، ونوراً يسعى بين أيدينا، وأن يحشرنا في زمرة هذا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وتحت لوائه، ويوردنا حوضه، ويرزقنا شفاعته ورضاه عنا، ويجعلنا من المتبعين لسنته، السالكين بهديه بمنه وكرمه، آمين. [صفحة ٣١٩]

كان المقصود بهذا كله تحقيق السماع ونحوه من الأعراض بعد الموت...

فإنه قد يقال: إن هذه الأعراض مشروطة بالحياة، فكيف تحصل بعد الموت؟! وهذا خيال ضعيف؛ لأننا لا ندعى أن الموصوف بالموت موصوف بالسماع، وإنما ندعى أن السماع بعد الموت حاصل لحي، وهو إما الروح وحدها حالة كون الجسد ميتاً، أو متصله بالبدن حالة عود الحياة إليه. والإنسان فيه أمران [٤٥٠]: جسد، ونفس، فالجسد إذا مات ولم تعد إليه الحياة، لا نقول بقيام شيء - من الأعراض المشروطة بالحياة - به، وإن عادت الحياة إليه صح اتصافه بالسماع وغيره من الأعراض، والنفس باقية بعد موت البدن، عالمة، باتفاق

المسلمين، حتى أن عائشة رضي الله تعالى عنها لما أنكرت سماع أهل القلب، وافقت على العلم وقالت: إنما قال: «إنهم الآن يعلمون أن ما كنت أقول لهم حق». بل غير المسلمين من الفلاسفة وغيرهم ممن يقول ببقاء النفوس، يقولون بالعلم بعد الموت، ولم يخالف في بقاء النفوس إلا من لا يعتد به. وليس مرادنا أنها واجبة البقاء، كما قال به بعض أهل الزيغ والإلحاد، ولا أنها تبقى دائماً وإن كانت ممكنة، فإنه قد يفنيها الله تعالى عند فناء العالم، ثم يعيدها، إنما المراد أنها تبقى بعد موت البدن، ثم بعد ذلك إن فنيت أعيدت مع البدن يوم القيامة، وإن لم تفنن أعيد البدن ورجعت. وما دامت باقية تدرك المعقولات بلا إشكال. [صفحة ٣٢٠] وأمّا إدراكها للمحسوسات كالسمع وغيره، ففي حال تعلقها بالبدن اختلف المتكلمون هل هي المدركة فقط - والحواس بمنزلة الطاقات - أو الحواس تدرك، ثم تنقل إليها؟ كالحجاب يسمعون، ثم ينقلون إلى الملك؟ وعلى كل من القولين، هي مدركة للمسموع، ولم يبق دليل على أن اتصالها بالبدن شرط في هذا الإدراك، بل الظاهر أنه ليس بشرط، كما أنه ليس بشرط في العلم بالمعقولات، ونحن يكفيننا بيان إمكان ذلك عقلاً، فإذا ورد به سمع أتبع. ولسنا في مقام إثباته بمجرد العقل، بل في مقام عدم استحالته؛ وأنه ليس الأمر على ما توهمه السائل. وما ذكره من مشروعية السمع بالحياة صحيح، والحياة تتصف الروح بها، وبيان ذلك يحوج إلى الكلام في حقيقة النفس. وقد أكثر الناس الكلام فيها والتصانيف، وتباينت فيها أقوال الناس، هل هي جسم، أو عرض، أو مجموعهما، أو جوهر فرد متحيز، أو جوهر مجرد غير متحيز؟ ولا يمكن قول سادس، وإنما الكلام في تعيين واحد من الخمسة. ومن الناس من توقف فيها، وهو أسلم، وحمل على ذلك قوله تعالى: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَأَنْتَ لَمْ يَأْمُرْ أَنْ يَبَيِّنْهَا لَهُمْ. ومنهم من قال: إنها جسم، وهؤلاء تنوعوا أنواعاً، أمثلها قول من قال: إنها أجسام لطيفة مشتبكة بالأجسام الكثيفة، أجرى الله العادة بالحياة مع بقائها، وهو مذهب جمهور أهل السنة، وإلى ذلك يشير قول الأشعري، والباقلاني، وإمام الحرمين، وغيرهم، ويوافقهم قول كثير من قدماء الفلاسفة. ومنهم من قال: إنها عرض خاص، ولم يعينه، قاله جماعة من المتكلمين، ونصره الهراسي من أصحابنا. ومنهم من عينه، وتنوعوا في ذلك أنواعاً. ومنهم من قال: إنها جوهر فرد متحيز، نقل ذلك سيف الدين الآمدي عن [صفحة ٣٢١] الغزالي ومعمّر وغيرهما من الإسلاميين القائلين: بأنها بسيطة. والقائلون بهذه الأقوال الثلاثة يقولون: إن قوله تعالى: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي جواب؛ فإن أمر الرب هو الشرع والكتاب الذي جاء به، فمن دخل في الشرع وتفقه في الكتاب والسنة، عرف الروح، فكان معنى الكلام: ادخلوا في الدين تعرفوا ما سألتكم عنه. على أنه قد قيل: إنهم لم يسألوا عن الروح الإنساني، بل عن ملك من الملائكة، والأقوال في ذلك المذكورة في التفسير. وقيل: ليس سؤالاً عن حقيقتها، بل عن حدوثها، وأجابهم بما يدل على حدوثها؛ وأنها من فعل الله تعالى. وكل من قال: بأنها جسم، يجوز اتصافها بالحياة، وأمّا القول: بأنها عرض، فبعيد. ومن الناس من قال: الروح جوهر مجرد لا متحيز، ولا حال في متحيز، وهو مذهب حذاق الفلاسفة، والذي يظهر أن هذا مذهب الغزالي أيضاً، وهكذا هو في «المضنون به على غير أهله الكبير» و«المضنون به على غير أهله الصغير» ولكن الآمدي نقل عنه ما ذكرت. و«المضنون الكبير» فيه أشياء من اعتقاد الفلاسفة خارجة عن اعتقاد المسلمين، ولذلك إن بعض الفضلاء كان ينكر نسبته إلى الغزالي (رحمه الله) [٤٥١]. [صفحة ٣٢٢] وهو في «الإحياء» في شرح عجائب القلب لم يفصح بذلك، وإنما قال: إنها لطيفة ربانية روحانية هي حقيقة الإنسان، وهي المدرك العالم العارف من الإنسان، وهي المخاطب المطالب، ولهذه اللطيفة علاقة مع القلب الجسماني، وقد تحيز أكثر العقول في إدراك وجه علاقته. وقال: إن هذه اللطيفة الربانية يطلق عليها «الروح» و«النفس» و«القلب» و«العقل» وهي غير الروح الجسماني، وغير النفس الشهوانية، وغير القلب الصنوبري، وغير العقل الذي هو العلوم، فالمعاني خمسة، والألفاظ أربعة، كل لفظ لمعنيين، هذا كلامه في «الإحياء» [٤٥٢]. واتفق الأطباء على أن في بدن الإنسان ثلاثة أرواح: روح طبيعي؛ وهو جسم لطيف معدنه الكبد، ثم ينبث في سائر البدن، ويحمل القوى الطبيعية. وروح حيواني؛ وهو جسم لطيف معدنه القلب، ويثبث في سائر البدن، ويحمل قوة الحياة. وروح نفساني؛ وهو جسم لطيف معدنه الدماغ، ويثبث في سائر البدن، وفعله الحس والحركة. وهذه الأرواح تشترك فيها الحيوانات، ولم يتكلموا في النفس الناطقة الخاصة بالإنسان التي هي غرضنا هنا. إذا عرف ذلك، فالفلاسفة القائلون في النفس الناطقة: إنها جوهر مجرد، فإنهم يقولون: إنه حي عالم متكلم سميع بصير قادر مرید، ولكنه

ممكن بإيجاد الله [صفحہ ٣٢٣] تعالى، حادث بعد العدم مخلوق. وقد يطلقون «المخلوق» على ما له كميّة يدخل بسببها تحت المساحة والتقدير، ويقولون: عالم الخلق ما كان كذلك، وعالم الأمر: الموجودات الخارجة عن الحسّ والخيال والجهة والمكان والتخيّر، وهو ما لا يدخل تحت المساحة والتقدير؛ لانتفاء الكميّة عنه. والمنتصرون لهذا يجعلون قوله تعالى: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي جواباً بأنّها من عالم الأمر. والمتكلّمون من المسلمين لا يثبتون هذا الوصف إلاّ الله تعالى، ويقولون: كلّ ممكن فهو إمّا متخيّر، وإمّا حالّ في المتخيّر، والفلاسفة يثبتونه، وهو أشرف الممكنات عندهم؛ لأنّه لا يحتاج إلاّ إلى موجوده فقط. ولكلّ من المتكلّمين والفلاسفة على نفيه وإثباته أدلّة ليست بالقويّة، والآية الكريمة ليس فيها دليل لهم، كما عرف في التفسير. وظواهر الشريعة تقتضى أنّ الروح متخيّرة، فقد روى ابن ماجه بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «يحضر الملائكة، فإذا كان الرجل صالحاً قالوا: اخرجي أيتها النفس المطمئنة، كنت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان، وربّ راض غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتّى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء، فتفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان بن فلان. فيقال: مرحباً بالنفس المطمئنة، كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة، وأبشري بروح وريحان، وربّ راض غير غضبان. فلا يزال يقال لها هذا حتّى تنتهي» يعنى إلى عليين [٤٥٣]. [صفحہ ٣٢٤] ووردت أحاديث كثيرة بمعنى هذا، والقرآن يشهد له، قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً. وقال تعالى: لَا تَفْتَحْ لَهُمُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ جَاءَ أَنَّهَا الْأَنْفُسُ الْخَبِيثَةُ. وقد يقال: إنّ الإشارة بذلك إلى الروح الحيوانيّ، ولعلّ الروح الحيوانيّ الموجود في الإنسان يبقى بعد الموت، وينتقل إلى عليين أو سجين، والله سبحانه وتعالى أعلم. [صفحہ ٣٢٧]

في الشفاعة

إشاره

ووجه ذكرها شرح متن الحديث الأول؛ وهو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من زار قبري وجبت له شفاعتي» وختمنا بها الكتاب؛ لتكون هي خاتمة أمرنا إن شاء الله تعالى. والقول الجملي في الشفاعات الأخرية: أنّها خمسة أنواع، وكلّها ثابتة لنبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعضها لا يدنو أحد إليه سواه، وفي بعضها يشاركه غيره، ويكون هو المتقدّم (صلى الله عليه وآله وسلم) فاخصّص (صلى الله عليه وآله وسلم) وآله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعموم الشفاعة، وبعض أنواعها، وأمّا الباقي فيصحّ نسبته إليه؛ لمشاركته وتقدّمه فيه. فالشفاعات كلّها راجعة إلى شفاعته، وهو صاحب الشفاعة بالإطلاق، فقوله: «شفاعتي» يصحّ أن يكون إشارة إلى النوع المختصّ به، وإلى العموم، وإلى الجنس؛ لنسبة ذلك كلّ إليه، فهذه لطيفة يجب التنبه لها. وأمّا التفصيل: فقال القاضي عياض [٤٥٤] وغيره: الشفاعة خمسة أقسام: أولها: مختصة بنبينا محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي الإراحة من طول الوقوف، وتعجيل الحساب. لا يدنو إليها غيره، وهي الشفاعة العظمى، ولم ينكرها أحد. الثانية: الشفاعة في إدخال قوم الجنّة بغير حساب. وهذه أيضاً وردت لنبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) كما تبين في الأحاديث التي نذكرها إن شاء الله تعالى. قال ابن دقيق العيد: ولا أعلم الاختصاص فيها، أو عدم الاختصاص؟ قلت: ولفظ الحديث الذي يأتي: «فأقول: يا ربّ، أمّتي أمّتي»، فيقال: يا [صفحہ ٣٢٨] محمّد، أدخل الجنّة من أمّتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنّة، وهم شركاء الناس في ما سوى ذلك من الأبواب» [٤٥٥]. وحديث دخول قوم الجنّة بغير حساب، رواه البخاريّ ومسلم من طرق عن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) في بعضها: «يدخل من أمّتي الجنّة سبعون ألفاً بغير حساب». فقال رجل: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: «اللهمّ أجزله منهم» والرجل عكاشة [٤٥٦]. وفي حديث آخر: قالوا: ومن هم، يا رسول الله؟ قال: «هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربّهم يتوكّلون» [٤٥٧]. وفي حديث آخر: «عرضت علىّ الأمم، فرأيت النبيّ ومعه الرهط، والنبيّ معه الرجل والرجلان، والنبيّ ليس معه أحد، ورفع لي سواد عظيم، وتمنيت أنّهم أمّتي، فقيل لي: هذا موسى (عليه السلام)

وقومه، ولكن انظر إلى الألق، فنظرت فإذا هو سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الألق الآخر، فنظرت فإذا سواد عظيم. فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» [٤٥٨]. وفي حديث آخر: «وهؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» [٤٥٩]. [صفحة ٣٢٩] وفي حديث آخر: «يدخل من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً، تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر» [٤٦٠]. وهذه الأحاديث كلها في الصحيح. وفي حديث آخر في الصحيح: «لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم» [٤٦١]. وهو إشارة إلى سعة باب الجنة، وسيأتي التصريح به. وقوله: «أولهم» و«آخرهم»: إمّا أن يراد به الدنيا؛ وأن المتقدم في الزمان والمتأخر يدخلون دفعة واحدة. وإما أن تكون كناية عن سرعة تعاقبهم؛ فإنهم يدخلون متماسكين، وإلا فيستحيل أن يكون لهم أول وآخر في الدخول، ولا يدخل أولهم قبل آخرهم حقيقة. إذا عرفت ذلك، فلا شك أن زمرة تدخل الجنة بغير حساب، وهم بالصفة المذكورة في الحديث، وقد دخل فيهم عكاشة (رضي الله عنه) بدعوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). والظاهر أن كل من حصلت له الصفة المذكورة في الحديث استحق هذا الجزاء، لكن دخولهم الجنة متوقف على شفاعته النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فإذا شفع أذن الله له بإدخالهم من الباب الأيمن، كما هو ظاهر الحديث، فإنه جعل «كونهم لا حساب عليهم» وصفاً ثابتاً لهم. ويحتمل أن ذلك الجزاء إنما يستحقونه بشرط الشفاعة وإن اشتملوا على الصفات المذكورة، لكن لم يدل دليل على هذا. وأعني بالحديث المذكور قوله تعالى: «أدخل الجنة من لا حساب عليه». وإمّا أن شخصاً لا يتصف بالصفة المذكورة في الحديث، ويكون ممن [صفحة ٣٣٠] يستحق الحساب، فهل يشفع فيه حتى يدخل الجنة بغير حساب، أو لا؟ لفظ الحديث لا يدل على ذلك بنفي ولا إثبات. وظاهر قوله: «سبعون ألفاً» أنهم لا يزيدون على ذلك، وأنهم كلهم بالصفة المذكورة. وهل من الأمم السابقة من غير الأنبياء من يدخل الجنة بغير حساب؟ لم يرد فيه شيء بنفي ولا إثبات. وقال أبو طالب عقيل بن عطية (رحمه الله): الظاهر أن فيهم من هو كذلك. قلت: وعلى كل من التقادير المفروضة، فالخصوصية ثابتة لنبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) في إدخال أول زمرة من أمة الجنة بشفاعته؛ فإن شفاعته المذكورة تكون في أول مقام الشفاعة قبل أن تجعل الشفاعة لغيره، ويترتب عليها الإذن في إدخال الزمرة المذكورة، وهي أول من يدخل الجنة كما سيأتي. وهذا المعنى لا يشاركه أحد فيه؛ سواء كان في الأمم المتقدمة من يدخل بغير حساب، ويحتاج إلى شفاعته نبيه، أو لا. وحينئذ تكون العبارة المحرّرة عن هذه الشفاعة: أنها شفاعته في استفتاح الجنة، وإدخال أول زمرة تدخلها. وهي في الرتبة الثانية من الشفاعة العظمى التي لفصل القضاء والإراحة من طول الوقوف في ذلك المكان. وعبارة القاضي عياض ومن تابعه، تقتضي إثبات شفاعته في إسقاط الحساب، وهو من الأمور الجائزة عقلاً، فإن ورد به سمع أتبع. والقاضي عياض وغيره لما ذكروا ذلك، أشاروا إلى الحديث المذكور، وقد بينا ما يقتضيه، وسنذكر في بعض أحاديث الشفاعة سؤال المؤمنين لآدم (عليه السلام) في استفتاح الجنة، ونتكلم على كون السؤال مرتين أو مرة. وعلى كل تقدير، فالشفاعة في استفتاح الجنة، متأخرة الرتبة عن الشفاعة في [صفحة ٣٣١] فصل القضاء، فيصلح عدّه شفاعته ثانية، وكلاهما خاصّ بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بغير شك. ومن تأمل الأحاديث التي سنذكرها عرف: أن أول فصل القضاء تميّز الأمم، والأمر بأن تتبع كل أمة ما كانت تعبد، إلى أن لا يبقى إلا المؤمنون، فيدخلون الجنة زمراً، وجميع ذلك - والله أعلم - يعطاه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في أول مرة إذا رفع رأسه من السجود وشفع، وقيل له: «أدخل الجنة من لا حساب عليه من أمتك من الباب الأيمن، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب» [٤٦٢]. وقوله: «وهم» يعود على الأمة، فإمّا أن يحمل على من لا يدخل النار، أو على الجميع، ويكون ذلك بشري للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بدخولهم جميعهم الجنة وإن تأخر بعضهم، ثم السجدة الباقية لإخراج المذنبين من النار. ولعلّ السبعين ألفاً يدخلون بغير عرض؛ فإن ظاهر الحديث يقتضي أنه لا حساب عليهم أصلاً، ومن يحاسب حساباً يسيراً خارج عنهم، والحساب اليسير هو العرض، كما جاء تفسيره في الحديث الصحيح، وكلا القسمين لا يعدّ، ومن نوقش الحساب عدّب. الشفاعة الثالثة: الشفاعة لقوم استوجبوا النار، فيشفع فيهم نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن يشاء الله هكذا ذكره القاضي عياض، وأشار بذلك إلى ما سنذكره في حديث أبي سعيد من قوله: «ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحلّ الشفاعة، فيقولون: اللهم سلّم سلّم». وظاهر هذا أنها شفاعته تحلّ بعد وضع الصراط بعد الشفاعتين الأوليين، وأنها في

إجازة الصراط، ويلزم من ذلك النجاة من النار. ولم يرد تصريح بذلك، ولا- بكونها مختصة، أو غير مختصة، لكن سيأتي في الأحاديث: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يكون في ذلك اليوم إمام النبيين، وصاحب شفاعتهم، [صفحة 332] فكل ما يقع من شفاعتهم ينسب إليه بذلك، فلا يخرج شيء عن شفاعته؛ لا من أنواع الشفاعة، ولا من الأشخاص المشفوع فيهم من ملته، ومن غير ملته؛ لأنه إذا كان صاحب شفاعة الأنبياء، والكل تحت لوائه، فكل من شفعا فيه فبسببه (صلى الله عليه وآله وسلم) تقدموا للشفاعة فيه، وإجابة شفاعتهم إجابة له (صلى الله عليه وآله وسلم). فكل من تقع شفاعة النبيين فيه، داخل تحت شفاعة نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن شفعا فيه المؤمنون كذلك بطريق الأولى، فهو (صلى الله عليه وآله وسلم) شفيع الشفعاء. الشفاعة الرابعة: فيمن دخل النار من المذنبين وقد جاءت الأحاديث الصحيحة بإخراجهم من النار بشفاعة نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) وسائر الأنبياء، والملائكة، وإخوانهم من المؤمنين «ثم يخرج الله تعالى كل من قال: لا إله إلا الله» كما جاء في الحديث [463]، ولا يبقى فيها إلا الكافرون. وهذه الشفاعة، والشفاعة الأولى العظمى: تواترت الأحاديث بهما، واختصاص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالعظمى كما سبق. وأما هذه فقد جاء فيها شفاعة الملائكة، والأنبياء، والمؤمنين، وأن الله تعالى بعد ذلك يخرج برحمته من قال: لا إله إلا الله. وفيه أقوال سنذكرها، أحسنها أنه من قال من غير الأمانة «لا إله إلا الله» ولم يشمله شفاعة أنبيائهم وغيرهم من الشافعين. أما هذه الأمانة فكلها يخرج بشفاعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإن وقع في بعضهم شفاعة لإخوانهم من المؤمنين، فهي في طي شفاعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولما أشرنا إليه فيما سبق. وإذا ثبت ذلك، فاختصاصه (صلى الله عليه وآله وسلم) من هذا النوع بإخراج عموم أمته حتى لا يبقى منهم أحد، وهذا هو الموافق لعموم قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «شفاعتي لأهل الكباير من [صفحة 333] أمّتي» [464] وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإنّي اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً» رواه مسلم من طرق، وروى البخاري طرفاً منه [465]. وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أتاني آت من عند ربي عز وجل، فخيرني بين أن يدخل الجنة نصف أمتي، أو بين الشفاعة، فاخترت الشفاعة، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً» رواه الترمذي [466]. وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «خيرت بين الشفاعة، وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة، لأنها أعم وأكثر، ترونها للمؤمنين المتقين؟! لا، ولكنّها للمذنبين الخطائين المتلوثين» رواه ابن ماجه [467]. فهذه العمومات كلها متظاهرة على عموم شفاعته لكل الأمانة، وكذلك قوله بين يدي الله تعالى يوم القيامة: «أمتي، أمتي» وهي دعوة يتحقق استجابتها. وقد قال العلماء في قوله: «لكل نبي دعوة مستجابة»: إنه على يقين من إجابتها، وباقي دعواته يرجوها، فقد ظهر بهذا اختصاصه (صلى الله عليه وآله وسلم) بعموم هذه الشفاعة لكل أمته. الشفاعة الخامسة: في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها ذكرها القاضي عياض وغيره، ولا ينكرها المعتزلة أيضاً، ولم أجد في [صفحة 334] الأحاديث تصريحاً بها. لكن عبد الجليل القصري في كتاب «شعب الإيمان» له، ذكر في تفسير الوسيلة التي اختص بها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أنها التوسل، وأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يكون في الجنة بمنزلة الوزير من الملك - بغير تمثيل - لا يصل إلى أحد شيء إلا بواسطة (صلى الله عليه وآله وسلم) وإذا كان كذلك فهذه أيضاً خاصة به. هذا تفصيل الشفاعات الخمس، ومن تأملها وعرف عموم شفاعة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لها، واختصاصه بما اختص منها، وأمعن النظر في ذلك، عرف على قدر رتبة هذا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وكلما أمعن في ذلك ازداد اعتقاداً، وهو كما قال القائل: يزيدك وجهه حسناً إذا ما زدته نظراً وقد رأيت أن لا أخلى هذا الكتاب من أحاديث الشفاعة على سبيل الاختصار. فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى في «صحيحهما» من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه)، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بم ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون. فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه، ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون إلى من يشفعكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: اتنوا آدم. فيأتون آدم فيقولون: يا آدم، أنت أبونا، أنت أبو البشر، خلقتك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك،

اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن [صفحة ٣٣٥] فيه، ألا ترى ما قد بلغنا!! فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله: عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما قد بلغنا!! فيقول لهم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوت بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم. فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبي الله، وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا!! فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، نفسي نفسي، اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضلك الله برسالاته، وتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا!! فيقول لهم موسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنني قتلت نفساً لم أوامر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى. فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله، وكلمت الناس في المهد، وكلمة منه ألقاها إلى مريم، وروح منه، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا!! فيقول لهم عيسى: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا [صفحة ٣٣٦] يغضب بعده مثله - ولم يذكر له ذنباً - نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد. فيأتون فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله خاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا!! فأنتلق، فأنت تحت العرش، فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله عليّ، ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتح لأحد قبلي. ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع. فأرفع رأسي فأقول: يا رب، أمتي أمتي. فيقال: يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب. والذي نفس محمد بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى» هذا لفظ مسلم [٤٦٨]. وذكره البخاري في مواضع مقطوعاً، وذكره بطوله في سورة بنى إسرائيل، وذكر فيه من قول آدم ومن دونه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: «نفسى، نفسى، نفسى» ذكرها ثلاثاً، وقال: «أمتي يا رب، أمتي يا رب، أمتي يا رب» [٤٦٩]. وروى البخاري ومسلم أيضاً عن أنس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض، فيأتون آدم، فيقولون له: اشفع لذريتك! فيقول: لست لها، ولكن عليكم يا إبراهيم؛ فإنه خليل الله. فيأتون إبراهيم، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى؛ فإنه كليم الله تعالى. [صفحة ٣٣٧] فيؤتى موسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى؛ فإنه روح الله وكلمته. فيأتون عيسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد. قال (صلى الله عليه وآله وسلم): فيأتوني، فأقول: أنا لها، فأنتلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي، فأقوم بين يديه، فأحمده بمحامد لا أقدر عليها الآن؛ يلهمنيها الله، ثم أخرج له ساجداً. فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل، يُسمع لك، وسل تعطه، واشفع تُشفع. فأقول: أمتي أمتي. فيقال لي: انطلق فمن كان في قلبه مثال حبة من برٍّ أو شعيرة من إيمان، فأخرجه منها. فأنتلق فأفعل، ثم أرجع إلى ربي، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرج له ساجداً. فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل، يُسمع لك، وسل تعطه، واشفع تُشفع. فأقول: يا رب، أمتي أمتي. فيقال لي: انطلق فمن كان في قلبه مثال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها. فأنتلق فأفعل، ثم أعود إلى ربي فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرج له ساجداً. فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل، يُسمع لك، وسل تعطه، واشفع تُشفع. فأقول: يا رب، أمتي أمتي. [صفحة ٣٣٨] فيقال لي: انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى من مثال حبة من خردل من إيمان، فأخرجه من النار. فأنتلق فأفعل، ثم أرجع إلى ربي في الرابعة، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرج له ساجداً. فيقال لي: يا محمد، ارفع رأسك، وقل، يُسمع لك، وسل تعطه، واشفع تُشفع. فأقول: يا رب، ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله. قال: «ليس ذلك لك» أو قال: «ليس ذلك إليك، ولكن وعزتي وكبريائي، وعظمتي وجبريائي، لأخرجن من قال: لا إله إلا الله» هذا لفظ مسلم [٤٧٠]. وقال البخاري في الأولى: «مثقال شعيرة من إيمان». وفي الثانية: «مثقال ذرة وخردل من إيمان». وفي الثالثة: «أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان، فأخرجه من النار، من النار، من النار، فأنتلق فأفعل» ولم يقل فيه: «ليس ذلك إليك» قال: «وعزتي وجلالي، وكبريائي

وعظمتي، لأخرجن من قال: لا إله إلا الله» [٤٧١]. وخرج البخاري ومسلم حديث أنس من طريق آخر، وفيه ذكر نوح بعد آدم، كما في حديث أبي هريرة، وفيه من قول عيسى: «أتوا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) عبداً قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر». قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «يأتونني، فأستأذن على ربي فيؤذن لي، فإذا أنا رأيتُه وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله. فيقال: يا محمداً، ارفع رأسك قل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحد لي حداً [صفحة ٣٣٩] فأخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجداً». وفيه في الثالثة والرابعة: «أقول: يا رب، ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن» أي وجب عليه الخلود، هكذا في رواية. وفي رواية عند البخاري في الرابعة: «ثم أرجع فأقول: يا رب، ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن؛ ووجب عليه الخلود» [٤٧٢]. وفي البخاري في رواية ذكر الشفاعة ثلاث مرات، وفيه في الثالث: «فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه». وفيه: ثم تلا هذه الآية عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً قال: «هذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم (صلى الله عليه وآله وسلم)». وفي رواية عند مسلم عن أنس: أن نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «يجمع الله المؤمنين يوم القيامة، فيلهمون لذلك يقولون: لو استشفعنا على ربنا» [٤٧٤]. وفي «مسند أبي عوانة» عن حذيفة بن اليمان، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم قال: أصبح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات يوم، فصلى الغداة، ثم جلس، حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى، والعصر، والمغرب، كل ذلك لا يتكلم، حتى صلى العشاء الآخرة، ثم قام إلى أهله. فقال الناس لأبي بكر: سل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما شأنه صنع اليوم شيئاً لم يصنعه قط؟ فسأله فقال: «نعم، عرض علي ما هو كائن من أمر الدنيا وأمر الآخرة، فجمع الأولون والآخرون في صعيد واحد، ففرغ الناس لذلك، حتى انطلقوا إلى آدم والعرق كاد يلجمهم فقالوا: يا آدم، أنت أبو البشر، وأنت اصطفاك الله، اشفع [صفحة ٣٤٠] لنا إلى ربك. قال: قد لقيت مثل الذي لقيتم، انطلقوا إلي أبيكم بعد أبيكم، انطلقوا إلى نوح...» وذكر الحديث قريباً من رواية أنس إلى أن انتهى إلى عيسى، قال: «ليس ذاكم عندي، ولكن انطلقوا إلى سيد ولد آدم». وفيه قال: فينطلق فيأتي جبرئيل، فيقول الله له: «أئذن له، وبشره بالجنة». قال: فينطلق به جبرئيل، فيخز ساجداً قدر جمعة، ثم يقول الله: «يا محمداً، ارفع رأسك، وقل يسمع، واشفع تشفع». قال: فيرفع رأسه، فإذا نظر إلى ربه خز ساجداً قدر جمعة أخرى، فيقول الله: «يا محمداً، ارفع رأسك، وقل يسمع، واشفع تشفع». قال: فيذهب ليقع ساجداً، فيأخذ جبرئيل (عليه السلام) بضعبيه، فيفتح الله عليه من الدعاء شيئاً لم يفتحه على بشر قط، قال فيقول: «أي رب، جعلتني سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، ولا فخر، حتى أنه ليرد على الحوض أكثر مما بين صنعاء وأيلة» [٤٧٥]. وهذا الحديث يشير إلى أمر عظيم مما رآه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأعلمه في ذلك اليوم، لا يحيط به إلا الله تعالى ومن أعلمه إياه، وأن ما اشتمل عليه حديث أنس وأبي هريرة (رضي الله عنه) وغيرهما من التفاصيل، جزء يسير مما علمه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من أحوال يوم القيامة، أعاننا الله تعالى عليه. والظاهر أن هذه السجدة الأولى المذكورة في هذه الرواية، لم تذكر في حديث أنس وأبي هريرة، ويكون المراد في حديث أنس وأبي هريرة: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقوم في مقام الشفاعة أربع مرات، والمذكور هنا تفصيل المرة الأولى منها. وجاءت أحاديث أخر فيها بعض أحوال يوم القيامة أيضاً: [صفحة ٣٤١] منها حديث عن حذيفة بن اليمان وأبي هريرة رضي الله عنهما قالوا: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «يجمع الله الناس، فيقوم المؤمنون حين تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة. فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله». قال: «فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك، اعمدوا إلى موسى الذي كلمه الله تكليماً. فيأتون موسى فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه. فيقول عيسى: لست بصاحب ذلك. فيأتون محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقوم ويؤذن له، وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق الخاطف، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وشد الرجال تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: يا رب سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد؛ حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً». قال: «وفي حافتي الصراط كلاب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكروس في النار». رواه مسلم وانفرد بقوله: «يقوم المؤمنون

وآله وسلم) قال: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم، من غير فخر». رواه الترمذى وقال: حسن [٤٨٣]. وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ويبدى لواء الحمد، ولا فخر، وما من نبي يومئذ - آدم فمن سواه - إلا - تحت لوائى». رواه الترمذى وقال: حسن [٤٨٤]. وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «أنا حبيب الله، ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة، ولا فخر، وأول من يحرك حلق الجنة، فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى فقراء المؤمنين، ولا - فخر، وأنا أكرم الأولين والآخريين، ولا - فخر». رواه الترمذى [٤٨٥]. وعن أنس بن مالك (رضى الله عنه) قال: سألت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يشفع لى يوم القيامة. [صفحة ٣٤٦] فقال: «أنا فاعل». قال قلت: يا رسول الله، فأين أطلبك؟ قال: «اطلبنى أول ما تطلبنى على الصراط». قال قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: «فاطلبنى عند الميزان». قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «فاطلبنى عند الحوض، فإنى لا - أخطئ هذه الثلاث المواطن». رواه الترمذى وقال: حسن غريب [٤٨٦]. وعن أبي هريرة (رضى الله عنه) قال قلت: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أولى منك؛ لما رأيت من حرصك على الحديث، إن أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله» خالصاً من قبل نفسه». رواه البخارى [٤٨٧]. وعن أبي سعيد الخدرى قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «يخلص المؤمنون من النار، فيحسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة» انفرد به البخارى [٤٨٨]. وعن أنس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، [صفحة ٣٤٧] وكان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان فى قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان فى قلبه من الخير ما يزن ذرة» متفق عليه [٤٨٩]. زاد البخارى بعد ذكر هذا الحديث: قال أبان: ثنا قتادة، ثنا أنس، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) «من إيمان» مكان «خير» وترجم عليه «باب زيادة الإيمان ونقصانه» [٤٩٠]. وعن أنس (رضى الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «إذا كان يوم القيامة شفعت فقلت: يا رب أدخل الجنة من فى قلبه خردلة، فيدخلون، ثم أقول: أدخل الجنة من كان فى قلبه أدنى شىء». رواه البخارى [٤٩١]. وعن جابر (رضى الله عنه) قال: هل سمعت بمقام محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنه مقام محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «يخرج قوم من النار بشفاعته محمد، فيدخلون الجنة». رواه البخارى فى باب صفة الجنة والنار [٤٩٣]. وعن أنس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أنا أول الناس يشفع فى الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً». [صفحة ٣٤٨] رواه مسلم [٤٩٤]. وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: نحن يوم القيامة على تل مشرفين على الخلق. ذكره عبدالحق، وهو فى مسلم، لكنّه وقع فيه إشكال لعلّه على بعض الرواء، فأسقط اللفظ المذكور حتى صار لا يفهم معناه، وقال: على كذا [٤٩٥]. وعن ابن عمر قال: فيرقى هو - يعنى محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) - وأمته على كوم فوق الناس، وقد ورد مبيئاً من طرق: منها عن كعب بن مالك، رواه أحمد فى مسنده: [٤٩٦]. أنا الإمام الحافظ أبو محمد مسعود بن أحمد بن مسعود الحارثى (رحمه الله) قراءة عليه وأنا أسمع قال: أخبرنا أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحرانى، قراءة عليه وأنا أسمع، قال: أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أبى المجد الحربى، أنا هبة الله بن عبد الواحد بن الحصين، أنا أبو على الحسن بن على بن محمد المذهب، أنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعى، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثنى أبى، ثنا يزيد بن عبد الربّ قال: حدثنى محمد بن حرب، ثنا الزبيدى، عن الزهرى، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن كعب بن مالك (رضى الله عنه): أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «يبعث الناس يوم القيامة، فأكون أنا وأمّتى على تلّ، ويكسونى ربّى حلّة خضراء، ثم يؤذن لى فأقول ما شاء الله أن أقول، فذلك المقام المحمود». وفى مسلم بقتية الحديث عن جابر: «يعطى كل إنسان منهم - منافق أو مؤمن - نوراً، وعلى جسر جهنم كالليب وحسك تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، فينجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر؛ [صفحة ٣٤٩]

سبعون ألفاً لا يحاسبون» [٤٩٧]. وفي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما: إذا كان يوم القيامة كان الناس حثياً، تتبع كل أمة نبيها؛ يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتى ينتهي إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) [٤٩٨]. والأحاديث في الشفاعة كثيرة، ومجموعها يبلغ مبلغ التواتر. وأعنى بالتواتر هنا ما اشتركت فيه الروايات من الشفاعة، لا لفظاً واحداً منها بخصوصه، وهذا النوع من التواتر في السنة كثير، وأما التواتر في لفظ حديث مخصوص فعزيز. وقد تضمنت هذه الأحاديث من المناقب الشريفة والمآثر الجليلة والفوائد الجمّة، ما لا يسعه هذا المكان، ولكننا نشير إلى شيء منه على سبيل الاختصار: أمّا قوله في أوله: «يجمع الله الناس» وفي رواية أخرى: «يجمع المؤمنون»: ففيه إشارة إلى أن الذي يتوجه إلى الأنبياء ويخاطبهم بسؤال الشفاعة؛ هم المؤمنون وإن كان الغم والكرب قد عم جميع الناس من الكفار، والمؤمنين؛ الأولين، والآخرين، واختصاص المؤمنين بسؤال الأنبياء مناسب لأمرين: أحدهما: ما لهم من الصلة بهم بالإيمان. والثاني: أنه يحصل لهم بإراحتهم من ذلك المكان خير، والكفار ينتقلون إلى ما هو أشد عليهم. فهذه الشفاعة العظمى وإن ترتب عليها فصل القضاء لعموم الناس، فليس الكفار مقصودين بها، قال تعالى: فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ. وقال تعالى حكاية عنهم: فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ. [صفحة ٣٥٠] وقد قيل: إن جميع الناس يُسألون؛ مؤمنهم، وكافرهم.

التوسل بالأنبياء

وفي التجاء الناس إلى الأنبياء في ذلك اليوم، أدل دليل على التوسل بهم في الدنيا والآخرة، وأن كل مذنب يتوسل إلى الله عز وجل بمن هو أقرب إليه منه. وهذا لم ينكره أحد، وقد قدّمنا طرفاً من ذلك في باب الاستغاثة، ولا فرق بين أن يسمّى ذلك «تشفاعاً» أو «توسلاً» أو «استغاثة». وليس ذلك من باب تقرب المشركين إلى الله تعالى بعبادة غيره، فإن ذلك كفر، والمسلمون إذا توسلوا بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أو بغيره من الأنبياء والصالحين، لم يعبدوهم، ولا أخرجهم ذلك عن توحيدهم لله تعالى؛ وأنه هو المتفرد بالنعمة والضرر، وإذا جاز ذلك جاز قول القائل: «أسأل الله تعالى برسوله» لأنه سائل الله تعالى، لا لغيره.

سؤال الأنبياء قبل الرسول؟

وأمّا إلهامهم سؤال آدم ومن بعده صلوات الله تعالى وسلامه عليهم، ولم يلهموا في الابتداء سؤال نبينا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ فالحكمة فيه - والله تعالى أعلم - أنهم لو سألوه ابتداءً لأمكن أن يقول قائل: يحتمل أن غيره يقدر على هذا. فأما إذا بذلوا الجهد في السؤال والاسترشاد، وسألوا غيره من رسل الله تعالى وأصفيائه وأولى العزم، فامتنعوا، ولم يألوهم جهداً في النصح والإرشاد، فانتهوا إليه وأجاب، وحصل غرضهم، حصل العلم لكل أحد بنهاية مرتبته (صلى الله عليه وآله وسلم) وارتفاع منزلته، وكمال قربته، وعظم إجلاله وأنته، وتفضيله على جميع المخلوقين من الرسل الآدميين والملائكة. [صفحة ٣٥١] وحق لصاحب هذا المقام أن يكون سيد الأمم، وأن يسافر إلى زيارته على الرأس، لا على القدم.

عصمة الأنبياء من الصغائر والكبائر

وأمّا ما يذكره الأنبياء: فبنته القاضى عياض رحمه الله تعالى فيه على فائدة جليّة تؤكّد القول المختار أنهم معصومون من الكبائر والصغائر. فإن هذه الأشياء التي ذكروها: - أكل آدم (عليه السلام) من الشجرة ناسياً، ودعوة نوح (عليه السلام) على قوم كفار، وقتل موسى لكافر لم يؤمر بقتله، وكان ذلك قبل النبوة، ومدافعة إبراهيم (عليه السلام) على الكفار بقول عرض به هو فيه صادق من وجه - وهذه كلها في حق غيرهم ليست بذنوب، لكنهم أشفقوا منها؛ إذ لم تكن عن أمر الله تعالى، وعتب على بعضهم فيها لعلو منزلتهم من معرفة الله تعالى، ولو صدر منهم شيء غير ذلك لذكروه في ذلك المقام، فليتأمل الناظر هذه الفائدة، وليأخذها بكلتا يديه. وما اختاره القاضى عياض من عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر، هو الذي اعتقده وأدين الله به وإن كان أكثر المتكلمين على خلافه،

ولا يحتمل هذا المكان التطويل بالاستدلال له. قال القاضي عياض: ولا يهولنك أن نسب قوم هذا المذهب إلى الخوارج، والمعتزلة، وطوائف من المبتدعة، إذ منزعهم فيه منزع آخر من التكفير بالصغائر، ونحن نتبرأ إلى الله تعالى من هذا المذهب.

ترتيب الشفاعات حسب الروايات

وأما قوله (عليه السلام) عقب رفع رأسه: «يا رب، أمتي أمتي» فظاهره أن أول شفاعته في أمته. [صفحة ٣٥٢] وفي حديث حذيفة المتقدم: أنه يقوم «وترسل الأمانة والرحم، فيقومان جنبتي الصراط». ومال القاضي عياض إلى أن هذا في الأول؛ لأن هذه الشفاعة هي التي لجأ الناس إليه فيها؛ وهي الإراحة من الموقف، والفصل بين العباد. ثم بعد ذلك حلت الشفاعة في أمته (صلى الله عليه وآله وسلم) في المذنبين، وحلت شفاعة الأنبياء والملائكة وغيرهم. وجاء في الأحاديث المتقدمة: اتباع كل أمة ما كانت تعبد، ثم تمييز المؤمنين من المنافقين، ثم حلول الشفاعة ووضع الصراط، فيحتمل أن الأمر باتباع الأمم ما كانت تعبد، هو أول الفصل والإراحة من هول الموقف، وهو أول المقام المحمود، وأن الشفاعة التي ذكر حلولها، هي الشفاعة في المذنبين على الصراط، وهو ظاهر الأحاديث، وأنها لنبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) ولغيره، كما نص عليه في الأحاديث السابقة. ثم ذكر بعدها الشفاعة فيمن دخل النار. وبهذا تجتمع متون الأحاديث، وتترتب معانيها إن شاء الله تعالى. هذا كلام القاضي (رحمه الله)، وهو ترتيب حسن، وليس فيه ما يعارض شفاعته (صلى الله عليه وآله وسلم) لأُمَّته عقب رفع رأسه من السجود في المرة الأولى، فإنه يحتمل أن يكون ذلك ابتداء فصل القضاء، فقد صح عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أن أمته هي المقضى لهم قبل الخلائق. فيكون (صلى الله عليه وآله وسلم) - لما يدنو للشفاعة في فصل القضاء، ويؤذن له في الشفاعة - يتبدى بالسؤال لمن يقضى له أولاً، فيجاب: بأن يدخل الجنة من أمته من لا حساب عليه، هذا في المرة الأولى، ويكون إعلامه (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك في أول الأمر، من كمال الإكرام. ثم بعد ذلك تتبع كل أمة ما كانت تعبد، ويوضع الصراط، ويؤذن في الشفاعة للمذنبين، فيشفع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأنبياء والملائكة في نجاه من يشاء الله من النار. [صفحة ٣٥٣] ثم بعد ذلك يدخل أهل الجنة النار، وأهل النار النار، ومن شاء الله تعالى من المذنبين، فيقع بعد ذلك الشفاعة في إخراج المذنبين من النار. ولعل سؤال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأُمَّته في الثانية والثالثة والرابعة حينئذ، ويشفع الأنبياء أيضاً والملائكة والمؤمنون في إخوانهم. ويحتمل أن يكون اقتصار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على ذكر أمته، من كمال الأدب مع ربه سبحانه وتعالى، فإنهم الأخصون به، وهو (صلى الله عليه وآله وسلم) يعلم أنه يحصل في ضمن ذلك ما قصد إليه ولجأ الناس بسببه؛ من فصل القضاء العام. على أنه قد ورد في حديث آخر ذكره القاضي عياض في «الشفاء»: «أما ترضون أن يكون إبراهيم وعيسى فيكم يوم القيامة!!!». ثم قال: «إنهما في أمتي يوم القيامة؛ أميا إبراهيم فيقول: أنت دعوتي وذريتي، فاجعلني من أمتك، وأما عيسى فالأنبياء إخوة بنو علات، أمهاتهم شتى، وأنا عيسى أخى ليس بيني وبينه نبى، وأنا أولى الناس به» [٤٩٩]. ويحتمل أن يكون السؤال للأنبياء مرتين: مرة من جميع الناس في فصل القضاء، ثم مرة من المؤمنين بعد تمييزهم في استفتاح الجنة، وسقط من الحديث ذكر الشفاعة الأولى. وقد ورد هذا مصرحاً به؛ روى علي بن معبد في كتاب «الطاعة والمعصية» عن المسيب بن شريك، عن إسماعيل بن رافع المدني، عن عبد الله بن يزيد، عن محمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة، عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حديثاً طويلاً فيه: «فتوقفون في موقف حفاة عراة غرلا - مقدار سبعين [٥٠٠] عاماً، لا ينظر الله إليكم، ولا يقضى بينكم، فتبكي الخلائق حتى تنقطع الدموع، ثم يدمع دماً، ويعرقون حتى يبلغ منهم الآذان، أو يلجمهم، فيضجون ويقولون: من يشفع لنا إلى ربنا فيقضى [صفحة ٣٥٤] بيننا؟ فيؤتى آدم فيطلب ذلك إليه فيأبى، ثم يستقرون الأنبياء نبياً نبياً؛ كلما جاؤوا نبياً أبى». فقال رسول الله: «حتى يأتوني، فإذا جاؤوني انطلقت فأخز قدام العرش لربي ساجداً، حتى يبعث الله إلي ملكاً يأخذ بعضدى فيرفعي. فيقول لي حين يرفعي الملك: ما شأنك يا محمد؟ وهو أعلم. فأقول: يا رب، وعدتني الشفاعة، فشفعني في خلقك فاقض بينهم. فيقول الله تعالى: قد شفعتك، أنا آتيكم فأقضى بينكم». قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «فأرجع فأقف مع الناس، فيبنا نحن وقوف إذا سمعنا حساً شديداً من السماء فهالنا،

فتزل أهل السماء الدنيا بمثلي من فيها من الإنس والجنّ، ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف، ثم يضع عرشه حيث شاء من الأرض. ثم يقول: وعزّتي وجلالي، لا يجاورني اليوم أحد بظلم». وفيه: «ثم يقضى الله عزّوجلّ بين خلقه كلّهم إلاّ الثقلين الجنّ والإنس، ثم يقضى بين الثقلين، فيكون أول ما يقضى فيه الدماء». وفيه بعد ذلك: «حتّى إذا لم يبق لأحد عند أحد تبعه نادى مناد: ليلحق كلّ قوم بألهتهم، ويجعل ملك على صورة عيسى، فيتبعه النصارى». وفيه: «حتّى إذا لم يبق إلاّ المؤمنون وفيهم المنافقون». وفيه بعد ذلك: «ثم يضرب الصراط فيمرون». وفيه بعد ذلك: «إذا أفضى أهل الجنّة إلى الجنّة قالوا: من يشفع لنا إلى ربّنا ليدخلنا الجنّة؟ فيؤتى آدم: فيقول: عليكم بنوح...» وذكر مثل ما في الأحاديث المشهورة: نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى إلى أن قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): [صفحة 355] «يأتوني ولي عند الله ثلاث شفاعات، فأنتلق آتى باب الجنّة، فأخذ بحلقه الباب واستفتح، فيفتح لي، فأحيا ويرحّب بي، فإذا دخلت خررت ساجداً...» إلى أن قال في الثالثة: «فأقول: يا ربّ، وعدتني الشفاعة فشفّعني في أهل الجنّة. فيقول: قد شفّعتك، قد أذنت لهم في دخول الجنّة. ثم أشفع فأقول: يا ربّ، من وقع في النار من أمتي...» وذكر بقيّة الحديث.

اهل لا إله إلا الله

وأما قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المرّة الرابعة: «ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله» ففيه أقوال: أحدها: أنّهم الذين معهم مجرّد الإيمان، قاله القاضي عياض. قال: وهم الذين لم يؤذن في الشفاعة فيهم، وإنّما دلّت الآثار على أنّه أذن لمن عنده شيء زائد من العمل على مجرّد الإيمان، وجعل للشافعين من الملائكة والنبين صلوات الله عليهم وسلامه عليه دليلاً عليه، وتفرد الله عزّوجلّ بعلم ما تكنه القلوب، والرحمة لمن ليس عنده إلاّ مجرّد الإيمان، وضرب بمثال ذرّة المثل لأقلّ الخير، فإنّها أقلّ المقادير. قال: والصحيح: أنّ معنى «الخير» شيء زائد على مجرّد الإيمان؛ لأنّ مجرّد الإيمان الذي هو التصديق لا يتجزأ، وإنّما يكون هذا التجزؤ بشيء زائد عليه: من عمل صالح، أو ذكر خفيّ، أو عمل من أعمال القلب، من شفقة على مسكين، أو خوف من الله تعالى، وثية صادقة. ويدلّ على قوله في الرواية الأخرى: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن... كذا». [صفحة 356] وهذا الذي قاله القاضي يشكل عليه أمور: أحدها: رواية البخاريّ المتقدّمة، وقوله: «إيمان» مكان «خير» والروايات يفسّر بعضها بعضاً. والخير أعمّ من الإيمان، فيصدق على من ليس عنده إلاّ مجرّد الإيمان أنّ عنده خيراً. فلو لم يرد إلاّ هذه الرواية كانت دالّة على إخراج جميع المؤمنين، فكيف وقد ورد وصحّ التصريح بالإيمان؟ أو حمل الإيمان على الزائد عليه مجازاً، من غير دليل، لا يسوغ. الثاني: ما يلزمه من تخصيص شفاعته النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ببعض المؤمنين، والأحاديث التي وردت في ذلك عامّة، وكثرتها تبعد تخصيصها، ولا ضرورة إلى التخصيص؛ لما سنّيته. الثالث: أنّ الذي تكنه القلوب من أعمال القلوب والإيمان، سواء في الخفاء، فإذا جعل الله لبعض خلقه أمانة على أعمال القلوب الخفية الزائدة على الإيمان، فلا بدّ أن يجعل له دليلاً على الإيمان. وإنّما ألجأ القاضي إلى هذا: أنّ من يخرج الله به غير شفاعته لا بدّ أن يكون الإيمان في قلبه. وهذا صحيح؛ لأنّه لا يتعيّن أن يكون من هذه الأمانة. وأما ما تمسك به من أنّ الإيمان لا يتجزأ. فجمهور السلف على أنّه يزيد وينقص، وحقيقته غير متجزئة، وليس هذا محلّ تحقيق ذلك. نعم، لا بدّ في الردّ على القاضي من تحقيق أنّ الإيمان القائم بالقلب، يقبل القوّة والضعف، وإلاّ فيصحّ ما قاله القول الثاني: أنّ المراد من قال: «لا إله إلا الله» من غير هذه الأمانة، قاله أبو [صفحة 357] طالب عقيل بن عطية. وهو الصحيح عندي - والعلم عند الله تعالى - تمسكاً بدلالة الألفاظ، فإنّه لم يقل: «من أمتي»، وقد سبق أنّه قال: «ما بقي في النار إلاّ - من حبسه القرآن» والظاهر أنّ المراد من أمته؛ أي لم يبق منهم أحد. فيكون النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) طلب بعد ذلك أن يؤذن له في غير أمته ممّن قال: لا إله إلا الله، فقيل: «ليس ذلك إليك». والداعي له إلى طلب ذلك: كمال شفقتة على الخلق، مع إطلاق قوله تعالى: «اشفع تشفع». مع كونه أقيم مقام البسط والإدلال، ومع ذلك لم يقل النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) إلاّ: «ائذن لي» أي ائذن لي في أن أشفع؛ لأنّه لا يشفع عنده إلاّ بإذنه. فتبته لهذه الدقيقه، فإنّ فيها محافظة على إطلاق قوله تعالى: «اشفع تشفع» وأنّ شفاعته (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تردّ. ثم اعلم: أنّ قوله: «لا إله إلا الله» من جملة

العمل، وقد سبق في الأحاديث أنه تعالى يخرج برحمته قوماً لم يعملوا خيراً قط. فإمّا أن يكون المراد لم يعملوا خيراً زائداً على الإيمان. أو يكون المراد قول: «لا إله إلا الله» بالقلب وإن لم ينطق بها بلسانه، فإن كان ذلك كافياً في الملل المتقدمة في الإيمان، صحّ الحمل عليه، وإن كان النطق شرطاً كما هو عندنا، فيحمل على من تعدّر منه النطق.

السلف والشفاعة

قال القاضي عياض: قد عرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح رضى الله عنهم شفاعته نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) ورغبتهم فيها. وعلى هذا لا يلتفت إلى قول من قال: إنه يكره أن يسأل الله تعالى أن يرزقه [صفحة ٣٥٨] شفاعته النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لكونها لا تكون إلا للمذنبين، فإنها قد تكون - كما قدّمنا - لتخفيف الحساب، وزيادة الدرجات. ثم كلّ عاقل معترف بالتقصير، محتاج إلى العفو، غير مُعتدّ بعمله، مشفق أن يكون من الهالكين. ويلزم هذا القائل أن لا يدعو بالمغفرة والرحمة! لأنها لأصحاب الذنوب، وهذا كلّ خلاف ما عرف من دعاء السلف والخلف!!

في المقام المحمود

قال القاضي عياض، ذكر مسلم من حديث جابر المقام المحمود: أنه «الذى يخرج الله به من يخرج من النار» [٥٠١] ومثله عن أبي هريرة، وابن عباس، وابن مسعود رضى الله عنهم وغيرهم. وقد روى في الصحيح عن ابن عمر ما ظاهراً أنها شفاعته المحشر، قال: فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود [٥٠٢]. عن حذيفة - وذكر المحشر، وكون الناس فيه سكوتاً لا تكلم نفس إلا بإذنه - فينادى محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) فيقول: «لبيك وسعديك، والخير في يديك...» إلى آخر كلامه، قال: فذلك المقام المحمود [٥٠٣]. وعن كعب بن مالك: «يحشر الناس على تلّ، فيكسونى ربّى حلّة خضراء، ثم يؤذن لى فأقول ما شاء الله أن أقول، فذلك المقام المحمود» [٥٠٤] قال: والذي يستخرج من جملة الأحاديث؛ أن مقامه المحمود هو كون آدم ومن دونه تحت لوائه يوم القيامة؛ من أول عرصاتها إلى دخولهم الجنة وإخراج [صفحة ٣٥٩] من يخرج من النار. فأول مقاماته إجابة المنادى، وتحميده ربّه، وتناؤه عليه بما ذكر وبما ألهمه محامده. ثم الشفاعته عن إراحة العرض وكرب المحشر، وهذا مقامه الذى حمده فيه الأولون والآخرون. ثم شفاعته لمن لا حساب عليه من أمته. ثم لمن يخرج من النار حتى لا يبقى فيها من فى قلبه مثقال ذرّة من إيمان. ثم يتفضّل الله تعالى بإخراج من قال: «لا إله إلا الله» ومن لم يشرك بالله شيئاً ولا يبقى فى النار إلا المخلدون. وهذا آخر عرصات القيامة ومثاقل الحشر، فهو فى جميعها له المقام المحمود بيده فيها لواء الحمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

دعوة الرسول هي الشفاعته

قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «أعطيت خمساً لم يعطهنّ أحد من الأنبياء قبلى...» وذكر من جملتها: «أعطيت الشفاعته» مع قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لكلّ نبيّ دعوة مستجابة، وإنّى اختبأت دعوتى شفاعته لأمتى يوم القيامة» [٥٠٥]. يستفاد منه أن الشفاعته التى أعطيتها وخصّ بها عن الأنبياء، غير الشفاعته التى ادّخرها لأمتّه؛ لأنها دعوة شاركوه فى جنسها، والأولى هى العظمى، وهى إمّا الشفاعته فى فصل القضاء، أو العموم؛ بالتقرير الذى سبق، وأنه صاحب الشفاعته، وكلّ الشفعاء داخلون فى شفاعته، والثانية هى الشفاعته فى إخراج المذنبين من النار، كما يشير إليه قوله: «أترونها للمؤمنين المتّقين؟! لا، ولكنّها للمذنبين [صفحة ٣٦٠] المتلوّثين الخطّائين» [٥٠٦]. [صفحة ٣٦٢]

خاتمة فى نصوص الصلوات على النبي

كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد». وفي رواية: «وآل إبراهيم» في الموضعين. ٢٨ - «اللهم صل على محمد كما صليت على آل إبراهيم». ٢٩ - «اللهم بارك على محمد كما باركت على آل إبراهيم». ٣٠ - «اللهم صلي على محمد كما صليت على إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد». ٣١ - «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد». ٣٢ - «اللهم صل على محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد». ٣٣ - «اللهم صل على محمد كما صليت على إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد». ٣٤ - «اللهم صل على محمد كما صليت على إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد». ٣٥ - «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد». ٣٦ - «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد». ٣٧ - «اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته [صفحة ٣٦٦] وأهل بيته، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد». ٣٨ - «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد». ٣٩ - «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد». ٤٠ - «اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد، كما جعلتها على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد». ٤١ - «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد». ٤٢ - «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وارحم محمدًا وآل محمد كما رحمت آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم، إنك حميد مجيد». ٤٣ - «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد». ٤٤ - «اللهم بارك على محمد وعلى أهل بيته كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم صل علينا معهم». ٤٥ - «اللهم صل على أهل بيته كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك علينا معهم، صلاة الله وصلوات المؤمنين على محمد النبي الأُمِّي، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته». ذكر ذلك في آخر التشهد من جهة الدارقطني بسند فيه ضعف تفرد به. ٤٥ - «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد». [صفحة ٣٦٧] ٤٦ - «اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد». ٤٧ - «اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد». ٤٨ - «اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على محمد النبي، وأزواجه أمهات المؤمنين، وذريته وأهل بيته، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد». ٤٩ - «اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على محمد وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته، كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد». ٥٠ - «اللهم صل على محمد وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم، إنك حميد مجيد». ٥١ - «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد». ٥٢ - «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم». وفي رواية: «كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد». هذا كله مروى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأسانيد، منها صحيح، ومنها غير ذلك.

٥٣- عن عليّ (رضي الله عنه): اللهم داحي المدحوات، وباري المسموكات، وباني المبتيات، ومرسى المرسيات، وجابل [٥٠٨] القلوب على فطرتها؛ شقيها، [صفحة ٣٦٨] وسعيدها، وباسط الرحمة للمتقين، اجعل شرائف صلواتك، ونوامي زكواتك، ورأفة تحننك؛ على محمّد عبدك ورسولك، الخاتم لما سبق، والفتاح لما أغلق، والمعلن للحقّ بالحقّ، والدامغ [٥٠٩] لجيشت الأباطيل، كما حُمّل فاضطلع بأمرك لطاعتك، مستوفزاً في مرضاتك؛ بغير نكل في قدم، ولا وهى في عزم، واعياً لوحيك، حافظاً لعهدك، ماضياً على نفاذ أمرك؛ حتى أوري قيساً لقباس، وآلاء الله تصل بأهله أسبابه، به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والإثم، وأبهج موضوعات الأعلام، ومنيرات الإسلام، ودائرات الأحكام، فهو أمينك المأمون، وخازن علمك المخزون، وشهيدك يوم الدين، وبعيثك نعمه، ورسولك بالحقّ ورحمة. اللهم افسح له مفتسحاً في عدنك، وأجزه مضاعفات الخير من فضلك له؛ مهتات غير مكدرات، من فوز ثوابك المجلول [٥١٠]، وجزيل عطائك المعلول [٥١١]. اللهم أعل على بناء الناس [٥١٢] بناءه، وأكرم مثواه لديك ومنزلته، وأتمم له نوره، وأجزه من ابتعائك له مقبول الشهادة، مرضى المقولة، ذا منطلق عدل، وخطة [٥١٣] فصل، وحجة وبرهان عظيم [٥١٤]. اللهم اجعلنا سامعين مطيعين، وأولياء مخلصين، ورفقاء مصاحبين. اللهم أبلغه منا السلام، واردد علينا منه السلام. ٥٤- عن ابن مسعود (رضي الله عنه): اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على [صفحة ٣٦٩] سيد المرسلين وإمام المتقين؛ محمد عبدك ورسولك، إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة. اللهم ابعته مقاماً محموداً يغطه به الأولون والآخرون. اللهم صل على محمّد وعلى آل محمّد كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمّد وآل محمّد كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. ٥٥- عن ابن عمر رضي الله عنهما: اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، وعبدك ورسولك، إمام الخير، وقائد الخير. اللهم ابعته يوم القيامة مقاماً محموداً يغطه الأولون والآخرون، وصل على محمّد وعلى آل محمّد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد. ٥٦- عن الحسن البصري (رحمه الله): اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على أحمد كما جعلتها على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمّد كما جعلتها على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، ومغفرة الله تعالى ورضوان الله. اللهم أجعل محمّداً أكرم عبادك عليك، وأرفعهم عندك درجة، وأعظمهم خطراً، وأمكنهم عندك شفاعاً. اللهم أتبعه من أمته وذريته وما تقرّ به عينه، واجزه عنا خير ما جزيت نبياً عن أمته، وأجز الأنبياء كلّهم خيراً، السلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين. اللهم صل على محمّد، وعلى آله، وأصحابه، وأولاده، وأهل بيته، وذريته، ومحبيه، وأتباعه، وأشياعه، وعلينا معهم أجمعين، يا أرحم الراحمين. [صفحة ٣٧٠]

سؤال المقعد المقرب يوم القيامة

عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «من صلى عليّ وقال: اللهم أعطه المقعد المقرب عندك يوم القيامة، وجبت له شفاعتي» [٥١٥] صلى الله عليه وسلم. وليكن هذا آخر كلامنا، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين وسلم تسليماً، وحسبنا الله ونعم الوكيل. (يقول محقق الكتاب: والحمد لله على إتمامه والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم الحريصين على سلامة الدين ودوامه ونسأله الرضا عنا بفضلته وإحسانه وإكرامه، إنه ذو الجلال والإكرام، والحمد لله خير ختام. وكتب السيد في ١٧/ ربيع الأول / ١٤١٩ هـ)

باورقي

- [١] أطلقه عليه جماعة ومنهم ولده ونقله عن البرزالي أنه لم يكتب «شيخ الإسلام» إلا له ولا بن تيمية وابن أبي عمر.
- [٢] قال ذلك الذهبي في المعجم المختص، ونقله ولده في طبقات ١٠/ ١٤٨.
- [٣] نقله ابن قاضي شهبة ٣/ ٤١، وهو في طبقات السبكي ١٠/ ١٩٧.

- [٤] قاله العمري في مسالك الأبصار نقله ولده في الطبقات ١٠ / ١٤٨.
- [٥] الكتاني في فهرس الفهارس ص ١٠٣٣، وعنه نقلنا ما في المصادر التالية.
- [٦] الذهبي في المعجم المختص، لاحظ ما قاله الكتاني تعليقا عليه في المصدر السابق.
- [٧] أبو المحاسن الحسيني الدمشقي، في ذيل طبقات الحفاظ للذهبي ص ٣٩.
- [٨] الحافظ ابن ناصر الدمشقي في طبقات الحفاظ ص ٥٢٢.
- [٩] السيوطي في طبقات الحفاظ ص ٥٥.]
- [١٠] أبو البقاء القاضي خالد بن أحمد البلوي الأندلسي في رحلته، نقله الكتاني في فهرس الفهارس ص ١٠٣٥، وقال: لقاءه في وسط أمره... فانظر ما يقول فيه لو لقيه آخره عمره؟.
- [١١] الاسنوي في الطبقات، لاحظ الدرر الكامنة ٣ / ١٧٠.
- [١٢] الحافظ العراقي كما في الدرر الكامنة ٣ / ١٧٠.
- [١٣] طبقات ابن قاضي شهبه ٣ / ٤١.
- [١٤] البداية والنهاية ١ / ٥٥١ رقم ٢٢٥١.
- [١٥] الأعلام ٤ / ٣٠٢.
- [١٦] فهرس الفهارس ص ١٠٢٣.
- [١٧] لاحظ طبقات السبكي ١٠ / ١٤٧، دار إحياء التراث العربي.
- [١٨] طبقات الشافعية ١٠ / ٥ رقم ١٣٥٢.
- [١٩] جاء ذلك في طبقات الشافعية الكبرى ١٠ / ١٦٨.
- [٢٠] ذكره ابن قاضي شهبه في طبقاته.
- [٢١] الشعر رواه ولده السبكي في طبقاته ١٠ / ١٦٩ ونقله عنه ابن قاضي شهبه في طبقاته ٣ / ٤٠.
- [٢٢] طبقات السبكي ١٠ / ١٤٨.
- [٢٣] فهرس الفهارس والأنبات ص ١٠٢٨ رقم ٥٨٦: ابن السبكي الصغير.
- [٢٤] فهرس الفهارس ص ١٠٢٦ آخر ترجمه رقم ٥٨٥ وقد ذكر الزركلي الوهابي هذه المجموعه وقال: رأيت مجموعه بخطه في مجلد ضخيم، ولم يحدد موقعها!.
- [٢٥] الطبقات ١٠ / ١٦٧.
- [٢٦] ابن عطاء.
- [٢٧] ترشيح التوشيح اظن هذا الصواب وقد جعله صاحب كشف الظنون كتابين.
- [٢٨] وأورده ابنه في طبقات الشافعية ١٠ / ١٧٧.
- [٢٩] ثقة.
- [٣٠] طبقات الشافعية للاسنوي ص ٧٥ رقم ٦٦٦.
- [٣١] الدرر الكامنة في المائة الثامنة ٣ / ٦٣.
- [٣٢] البداية والنهاية ١ / ٥٥١.
- [٣٣] العمري في مسالك الأبصار، لاحظ طبقات السبكي ١٠ / ١٤٩ - ١٥١.
- [٣٤] الطبقات للسبكي ١٠ / ١٦٧.

- [٣٥] الطبقات للسبكي ١٠ / ١٨٠.
- [٣٦] الطبقات للسبكي ١٠ / ١٩٤.
- [٣٧] طبقات السبكي ١٠ / ١٩٥.
- [٣٨] الأجوبة المرضية عن الأسئلة المكية ص ٩٦ - ٩٨.
- [٣٩] طرح التثريب ٦ / ٤٣.
- [٤٠] لاحظ طبقات الشافعية للسبكي ١٠ / ٤٤٤.
- [٤١] الوافي بالوفيات ٢١ / ٢٥٦.
- [٤٢] الفتاوى الحديثية، لابن حجر المكي الهيثمي صاحب الصواعق.
- [٤٣] تطهير الفؤاد عن دنس الاعتقاد للمطيعي (ص ١٣) ط مصر.
- [٤٤] رفع المنارة ص ١٣.
- [٤٥] فهرس الفهارس ص ٢٧٧.
- [٤٦] لكنه لم يرد في (كتب حذر منها العلماء) للسفي المغمور! بل هو مما يرغب فيه السلفية؟!.
- [٤٧] انظر هذه السخافة في الصارم المنكي ص ٢٣٠ وقبلها وبعدها ما لا يقل سخافةً.
- [٤٨] بل: لا يجوز، ويحرم البتة، والاستثناء التالي منقطع، فإن هذا لا ينبغي أن يُدعى كتاباً، وهو بهذه الدرجة من السقوط! كما هو أكثر مؤلفات السلفية المعاصرين.
- [٤٩] راجع: التهاني في التعقب على الصغاني، لابن الصديق ص ٤٢.
- [٥٠] إقرأ نماذج من شتائم في الفقرة التالية: قاموس شتائم ابن عبد الهادي!.
- [٥١] لاحظ: رفع المنارة في تخريج أحاديث التوسل والزيارة ص ١٠ - ١١، وهو كتاب نفيس في موضوعه، واعتنى بالرد على الصارم المنكي، وحثالة حشوية العصر: بكر أبو زيد، وعثيمين، وأضرابهما من أجراء الوهابية، وأجرائهم.
- [٥٢] رفع المنارة ص ١٣.
- [٥٣] فهرس الفهارس ص ٢٧٧.
- [٥٤] فهرس الفهارس ص ٧٣٠.
- [٥٥] لاحظ كتاب (قاموس شتائم الألباني تأليف العلامة الورع السيد حسن السقاف) والألباني واحد من دُعاة السفلية البذيئة في عصرنا، ويبدو من اتحاد سيرته مع إمامه ابن تيمية وابن عبد الهادي أنهم خلقوا من طينة خبيثة واحدة، نعوذ بالله منها.
- [٥٦] لقد أطلعنا على وجود نسخ مخطوطة للكتاب، لكننا لم نتمكن من الوقوف عليها، منها نسخة يكي جامع ١٤ (٢٦٤) بخط المصنّف، وطوبقو سراي ٢ / ٢٣٢ - ٢٩٦٣ - ٣٢٤ ألف - ١٦٤ و / ٧٧٥ هـ، كلاهما في تركيا لاحظ الفهرس الشامل ص ١٠٣٢ رقم ٦٥٤.
- [٥٧] أوّل من ابتدع هذا القول، واجترأ على الحكم بالوضع على أحاديث الزيارة، هو أحمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية الحرّاني، وسيأتي نقل كلامه ص ١٠٩، ولاحظ: العقود الدرّية ص ٣٣٦، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٢٧ / ١٨٩ قال بحروفه: «وما ذكره من الأحاديث في زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله) فكلّها ضعيفة!، باتفاق أهل العلم بالحديث!! بل هي موضوعة!!! لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئاً منها، ولم يحتج أحدٌ من الأئمة بشيء منها!!!» انتهى كلامه. وكلّها دعاوى باطلة وكذب على أهل الحديث والأئمة وأهل السنن، كما سيّضح لك في هذا الكتاب، وراجع الباب ٧ منه خاصة. وكذلك عمل جروه ابن عبد الهادي فقال: وجميع الأحاديث التي ذكرها... في هذا الباب ليس فيها حديث صحيح بل كلّها ضعيفة واهية، وقد بلغ الضعف ببعضها!!! إلى أن حكم عليه الأئمة الحفاظ بالوضع! كما أشار إليه شيخ الإسلام! الصارم المنكي ص ٢١. وقد بدا تحريفه في كلمة (بعضها) مع أن شيخ إسلامه ابن

تيمية أظهر الحكم فيها كلها بقوله: «بل هي موضوعة!!». وقد غفل ابن عبد الهادي عن هذه الحيلة، وعاد، وصرح كشيخه - بأنها كلها موضوعة في الصارم ص ١١٤ فظهر بذلك دجله وسوء صنيعه! وكتب السيد محمد الرضى.

[٥٨] قال الدولابي في الكنى ٢ / ٦٤ في ترجمة عبدالله العمري: حدثنا علي بن معبد بن نوح حدثنا موسى بن هلال قال حدثنا عبدالله بن عمر أبو عبد الرحمن أخو عبيدالله عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من زار قبري وجبت له شفاعتي، قال: وما بين قبري ومنبري ترعة من ترع الجنة - عن المولوى محمد حسن الزمان الحيدرآبادى.

[٥٩] سنن الدارقطنى (٢ / ٢٧٨) ح ١٩٤ كتاب الحج وفيه: عُبيد الله بن محمد الورداق، ولاحظ شعب الايمان للبيهقى (٣ / ٤٩٠) والدولابي في الكنى (٢ / ٦٤) والخطيب في تلخيص المتشابه (١ / ٥٨١) وغيرهم. وأورده العقيلي في الضعفاء (٤ / ١٧٠) في ترجمة موسى بن هلال، وانظر الكامل لابن عدى (٦ / ٢٣٥٠). وقال ابن حجر في تلخيص الحبير (٧ / ٤١٧) حديث «من زار قبري فله الجنة» رواه الدارقطنى بلفظ «من زار قبري وجبت له شفاعتي» ورواه ابن خزيمة في صحيحه وقال: إن صح الخبر فإن في القلب من إسناده (!) ثم رجح أنه عن رواية (عبدالله العمري المكبر الضعيف، لا المصغر الثقة، وصرح بأن الثقة لا يروى هذا الخبر المنكر! وقال العقيلي: لا يصح حديث موسى ولا يتابع عليه، ولا يصح في هذا الباب شيء!! قال ابن حجر: وفي قوله «لا يتابع عليه» نظر، فقد رواه الطبرانى... إلى آخر كلام ابن حجر في تلخيص الحبير، فراجع.

[٦٠] في (هـ): المسافر.

[٦١] في (هـ): الميئة.

[٦٢] في (هـ): الحسين.

[٦٣] في (هـ): بنان.

[٦٤] في (هـ): الغرافى، ويأتى فى ص ٢٦: العراقى.

[٦٥] في (هـ): غدين.

[٦٦] في (هـ): الميئة.

[٦٧] تاريخ دمشق لابن عساكر لاحظ مختصر ابن منظور (٢ / ٤٠٦).

[٦٨] تاريخ بغداد (١١ / ٩٧) رقم ٥٧٨٩.

[٦٩] الضعفاء الكبير للعقيلي (٤ / ١٧٠) ترجمة موسى بن هلال، وفيه عبدالله.

[٧٠] في (هـ): نصر.

[٧١] علق في (هـ): التصحيح مما سياتى، وفي المطبوع السابق: ابن محيل، وهو خطأ.

[٧٢] الكامل فى الضعفاء لابن عدى (٦ / ٢٣٥٠) ترجمة موسى بن هلال.

[٧٣] في (هـ): لظيف.

[٧٤] تاريخ ابن عساكر.

[٧٥] الكامل لابن عدى (٦ / ٢٣٥٠) ترجمة موسى بن هلال.

[٧٦] في (هـ): سعد.

[٧٧] كذا فى كتابنا، وسيتكرر ذكر هذا الكتاب بهذا الاسم، وهو المذكور فى مؤلفات ابن الجوزى، وقد ذكره الحصين فى (دفع شبه

التشبيه ص) باسم «مثير الغرام الساكن» فلاحظ.

[٧٨] مثير العزم الساكن، لابن الجوزى.

[٧٩] الجرح والتعديل للرازى.

- [٨٠] الكامل (١٤٥٩ / ٤) نقله عن ابن معين.
- [٨١] الكامل (١٤٦١ / ٤) ترجمة عبد الله بن عمر بن حفص العمري.
- [٨٢] المجروحين لابن حبان.
- [٨٣] الكامل (٢٣٥٠ / ٦).
- [٨٤] الرد على البكري، لابن تيمية، لم نثر عليه في ما طبع لابن تيمية من مجموع الفتاوى وغيره، لكن ذكر اسمه في عداد (مجموع مؤلفاته ص ٦١ رقم ٢) وقال المؤلف: قطعته منه، ومصدره: برلين الغريبة رقم (٣٩٦٨) وقال يعرف بالاستغاثه.
- [٨٥] هو عبد الحق الاشيلي، لاحظ رفع المنارة (ص ٢٨٠).
- [٨٦] علوم الحديث لابن الصلاح (ص ٣٤) في التنبيه الثاني من النوع الثاني وهو (الحسن).
- [٨٧] شرح المهذب للنووي (١٩٤ / ٧ - ١٩٥).
- [٨٨] عقد المؤلف (الباب العاشر) من هذا الكتاب، لذكر (الشفاعة) مفصلاً لورودها في هذا الحديث، فراجع.
- [٨٩] مسند البزار (لاحظ كشف الأستار للهيثمي ٥٧ / ٢) وسنن الدارقطني (٢٧٨ / ٢). قال السيوطي في الدر المنثور (١ / ٢٣٧) ط أولى: وأخرج الحكيم الترمذي، والبزار، وابن خزيمة، وابن عدي والدارقطني، والبيهقي، عن ابن عمر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من زار قبري وجبت له شفاعتي». وانظر مجمع الزوائد (٢ / ٤).
- [٩٠] كذا في المطبوعتين هنا وما يلي، لكن أثبتها في (الصارم ص ٤٠): مفرج.
- [٩١] الكامل (١٥٠٨ / ٤) ترجمة عبدالله بن ابراهيم، وانظر المجروحين لابن حبان (٢ / ٣٦).
- [٩٢] الكامل (١٥٨٥ / ٤).
- [٩٣] الكامل (١٥٨٥ / ٤) ترجمة عبد الرحمن بن زيد.
- [٩٤] وبهذا تبرأ الإمام السبكي من الحكم على هذا الحديث بالصحة، فهو لا يريد ذلك، ولذا ذكر كلام من ضعفه برمته. فقول ابن عبد الهادي في رده: «ان المستدل بالحديث عليه أن يبين صحته» (الصارم ص ٤٢) هراء وخروج عن قواعد البحث، فالسبكي لا يريد أن يستدل بهذا ولا حكم بصحته، بل جعله شاهداً ومتابعاً، والمتابعة لا يشترط فيها الصحة، وهذا واضح للمبتدئ بعلم الحديث!! وكتب السيد.
- [٩٥] المعجم الكبير للطبراني (٢٩١ / ١٢) رقم ١٣١٤٩. وقال المعلق ورواه في الأوسط (١٥٧) ولاحظ مجمع الهيثمي (٢ / ٤).
- [٩٦] أمالي الدارقطني.
- [٩٧] لاحظ رفع المنارة (ص ٣٠١).
- [٩٨] الأنساب للسمعاني (العبادي) (ص ٣٨٠) طبعة مرجليوت.
- [٩٩] في (ه): حمد.]
- [١٠٠] تلخيص الحبير (٤١٧ / ٧) عن الطبراني، وقال: وجزم الضياء في الأحكام وقبله البيهقي بأن عبدالله بن عمر المذكور هو المكبر، ورواه الخطيب في الرواه عن مالك في ترجمة النعمان بن شبل، وقال: إنه تفرد به عن مالك عن نافع عن ابن عمر بلفظ «من حج ولم يزرني فقد جفاني». وذكره ابن عدي وابن حبان في ترجمة النعمان. ورواه البيهقي عن حديث أبي داود الطيالسي عن سوار بن ميمون، وفي الباب عن أنس: أخرجها ابن أبي الدنيا في كتاب «القبور» مرفوعاً «من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شفيحاً وشهيداً يوم القيامة». وقال ابن حجر: طرق هذا الحديث كلها ضعيفة، لكن صححه من حديث ابن عمر أبو علي بن السكن في إيراد إياه في أثناء (السنن الصحاح) له وعبد الحق في (الأحكام) في سكوته عنه، والشيخ تقي الدين السبكي (وهو المؤلف) من المتأخرين باعتبار مجموع الطرق.

[١٠١] في (ه): الغرافي. وانظر ص؟؟؟.

[١٠٢] في (ه): عبد.

[١٠٣] لقد تغافل ابن عبد الهادي في ردّه، عن تصحيح ابن السكن للحديث وراح على عادة السلفية المتزمتين، يلوك بذكر الجروح في الرواة، وغاية ما طرحه: أن هناك حديثاً واحداً، رواه شيخان: أحدهما فيه زيارة القبر من دون «تعمله» والآخر فيه «تعمله» بلا ذكر القبر، فمع ضعف الرواة لا يمكن الاعتماد عليه! لاحظ (الصارم ٥٠). أقول: مع اعترافه بوحدة الحديث، لا وجه لإغفاله تصحيح حافظ جليل مثل ابن السكن ولا الإعراض عن الطرق الكثيرة المذكورة هنا، وفي الحديث الأول المتحد معه في الرواة. وأما الدلالة: فمقتضى الجمع بين الدالتين، هو أن يكون مدلولهما الإعمال إلى زيارة القبر الشريف، وهو الذي فهمه العلماء المحققون، فأثبتوا هذه الأحاديث في أبواب زيارة القبر، والسفر إليها. وأما التفرقة بينها بجعل بعضها لمطلق الزيارة بلا قبر، وبعضها للقبر بلا إعمال، فهو عمل البلداء ممن لا يعرفون الحديث ولا- فقهه! ثم إن من خبط ابن عبد الهادي وتمويهه تعرّضه لأحاديث أخرى عن ابن عمر في سكنى المدينة والموت بها. فهل ثبوت هذه الأحاديث مهما صحّت وكثرت، فيها أدنى دلالة على نفي أحاديث الزيارة؟! حتى يطول فيها بلا طائل، مع أن لها دلالة عن طرف آخر، حيث أن فيها الترغيب في سكنى المدينة، ولا ريب أنه يستحبّ لساكنها زيارة القبر، فتكون بالتالي دالّة على الترغيب بالزيارة، ولو مع واسطة السكنى في المدينة، كما سيأتي ذيل الحديث الخامس في كتابنا هذا. والتميمية لا يوافقون على ذلك، فليدقّق.

[١٠٤] قال العلامة ممدوح: عندما رتب ابن حزم كتب الشئنة، جعل (صحيح ابن السكن) ثالث الكتب، بعد الصحيحين، راجع: تذكرة الحفاظ للذهبي (٣/ ١١٥٣). رفع المنارة (ص ٣٠١ هـ (١) وقال في المتن: الحافظ بن السكن صحّح هذا الطريق بمفرده، فما بالك؟ وهذا الطريق متابع لموسى بن هلال البصري؟! فهو مقبول، حسب القواعد.

[١٠٥] سنن الدارقطني (٣/ ٣٧٨) ح ١٩٣، كتاب الحج، وانظر المعجم الكبير للطبراني (١٢/ ٤٠٦) ح ١٣٤٩٧.

[١٠٦] مسند أبي يعلى الموصلي. انظر المطالب العالمة (١/ ٣٧٢).

[١٠٧] الكامل لابن عدي (٣/ ٧٨٩ - ٧٩٠) ترجمة حفص بن سليمان، ورواه في الترغيب والترهيب (١/ ٤٤٧) والفاكهة في أخبار مكة (١/ ٤٣٧).

[١٠٨] السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ٢٤٦) باب زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله) من كتاب الحج، وانظر شعب الإيمان له.

[١٠٩] تاريخ دمشق لابن عساكر، لاحظ مختصره لابن منظور (٢/ ٤٠٦).

[١١٠] السنن للبيهقي (٥/ ٢٤٦).

[١١١] الدرّة الثمينّة لابن النجار (ص ٣٩٧) الباب (١٦) فضل زيارة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

[١١٢] مثير العزم الساكن لابن الجوزي، ولاحظ كنز العمال (١٥/ ٦٥١) ح ٢٥٨٢.

[١١٣] تاريخ دمشق لابن عساكر.

[١١٤] الثقات لابن حبان (٦/ ١٩٥)، ولاحظ التاريخ الكبير للنجارى (١/ ٢/ ٣٦٠).

[١١٥] المجروحين لابن حبان (٢/ ٢٥٠) ولاحظ (١/ ٢٥٥).

[١١٦] الكامل لابن عدي (٢/ ٧٨٩) ترجمة حفص بن سليمان.

[١١٧] وهكذا تجدهم، لا- يحفظون حُرْمَةَ القرآن، فيتهمون أكبر قرائه بمثل هذا، من دون أن يتنبهوا إلى ماذا يجزّ عملهم؟! فهذا (حفص) هو صاحب القراءة المتداولة بين المسلمين المعروفة بقراءة (حفص عن عاصم) ولكن كلا الرجلين مجروحان عند هؤلاء، لأنهما من الشيعة، والحمد لله. وقد حاول الذهبي في (سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٠) في ترجمة عاصم، أن يعتذر عن هذا العمل الشنيع، بقوله: ما زال في كل وقت يكون العالم إماماً في كل فنّ مقصّراً في فنون، وكذلك كان (حفص بن سليمان) ثبتاً في القراءة، واهياً في

الحديث، وكان الأعمش بخلافه كان ثبتاً في الحديث لئناً في الحروف. انتهى. أقول: وهذا العذر أقبح من الفعل، لأنّ الوهي في (حفص) لو كان بمثل (الكذب) والوضع في الحديث، فإنّه يسلب الثقة عن نقله، ومهما كان المنقول أهم وأعظم، لزم كون ناقله أوثق، فاعتماد الناس على حفص في القراءة دليل واضح على ثقته بأنّ شكله، كما صرّح المؤلف (رحمه الله). وكتب السيد.

[١١٨] المعجم الكبير للطبراني (١٢/٤٠٦) رقم ١٣٤٩٦، وقال المعلق: رواه في الأوسط (١/٢٠١) رقم (١٥٧)، ولاحظ مجمع الزوائد (٢/٤). وروى الطبراني بعده: «من حجّ فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي». المعجم الكبير (١٢/٤٠٦ - ٤٠٧) رقم ١٣٤٩٧، وخرجه المعلق عن الأوسط (١٥٧) وابن عدي والدارقطني في سننه (٢/٢٧٨) والبيهقي في سننه (٥/٢٤٦) والسلفي في الثاني عشر من المشيخة البغدادية (٥٤/٢).

[١١٩] في (هـ): الموازيني.

[١٢٠] في (هـ): التريكي.

[١٢١] تاريخ ابن عساكر.

[١٢٢] الكامل لابن عدي (٧/٢٤٨٠) ترجمة النعمان بن شبل.

[١٢٣] غرائب مالك التي ليست في الموطأ، للدارقطني. قال ابن حجر في تلخيص الحبير (٧/٤١٧): رواه الخطيب في (الرواه عن مالك) في ترجمة ابن النعمان بن شبل، وقال: بأنّه تفرد به عن مالك عن نافع عن ابن عمر بلفظ: «من حجّ ولم يزرني فقد جفاني». ولاحظ تاريخ جرجان للسهمي (ص ٢١٧).

[١٢٤] الموضوعات لابن الجوزي (٢/٢١٧).

[١٢٥] المجروحين لابن حبان (٣/٧٣) ترجمة النعمان.

[١٢٦] الضعفاء لابن الجوزي (٣/٩٧) رقم ٣١٨٣.

[١٢٧] العلل للدارقطني ومسند أحمد (٢/٧٤).

[١٢٨] انظر إلى مدى احتياط الإمام السبكي في نقله للحديث، وتمييزه بين الصائب والسقيم، وعدم وضعهما في محل واحد للاستدلال؟ وهذا غاية الورع والضبط والدقة. وكل هذا لم يرق في عين ابن عبد الهادي فاعترض عليه بقوله: يعتل بأنّ النسخة التي نقل منها سقيمة؟! (الصارم ٩٥). ولم يعرف المنكوب! أنّ الإنسان لم يكلف إلا ما في وسعه، والواجب عليه التنبيه على خطأ النسخة ليخرج من عهدته. ولما كان الإمام السبكي يؤكد على قراءات النسخ ويوصل طرقه إلى النسخ الصحيحة المسموعة التي عليها بلاغات القراءة والسماع والطباق، نرى ابن عبد الهادي يضحّ - أيضاً - من ذلك، ويعتبره تطويلاً - لا حاجة إليه!! فلا يرضى جناب ابن عبد الهادي الحنبلي، بالتصريح بالتصحيح، ولا بالتنبيه على السقم؟! فبالله عليك - أيها القارئ الكريم - أي الطريقتين أهدى، وأقرب رشداً؟ طريقة الإمام السبكي، أو طريقة الحنبلي؟ وكتب السيد.

[١٢٩] مسند أبي داود الطيالسي (١/١٢) وفيه: نوار بن ميمون. وانظر منحة المعبود (١/٢٢٨).

[١٣٠] السنن الكبرى للبيهقي (٥/٢٤٥) باب زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). ولاحظ شعب الإيمان (٣/٤٨٨).

[١٣١] تاريخ ابن عساكر.

[١٣٢] هذا هو المعروف بحديث (حاطب) الذي قال عنه الذهبي أنّه أجود أحاديث الزيارة إسناداً، وأقرّه السخاوي في المقاصد الحسنة (ص ٤١٣) والسيوطي في الدرر المنتثرة (ص ١٧٣) قال ممدوح: فهؤلاء ثلاثة من الحفاظ اتفقوا على مقولته تدحض المخالف. لاحظ رفع المنارة (ص ٣٣٣).

[١٣٣] الضعفاء الكبير للعقيلي (٤/٣٦١) رقم ١٩٧٣. ولاحظ شعب الإيمان للبيهقي (٣/٤٨٩) وانظر رفع المنارة (ص ٣٣٥).

[١٣٤] في هامش الهنديّة: كذا في الأصل.

- [١٣٥] الثقات لابن حبان (٧/ ٥٨٠) ترجمة هارون.
- [١٣٦] الضعفاء للعقيلي (٤/ ٣٦١) رقم ١٩٧٣.
- [١٣٧] الكلمة (ابن) لا توجد في الطبعة المصرية والصحيح إثباتها لاحظ ص وغيرها.
- [١٣٨] علق في المصرية: كذا وقع في الأصل هنا، وفيما يأتي، وانظر هل هو المتقدم أو غيره.
- [١٣٩] سنن الدارقطني (٢/ ١٩٣) وفي طبعه (٢/ ٢٧٨) كتاب الحج، وفيه: هارون أبي قزعة، وانظر شعب الإيمان للبيهقي (٣/ ٤٨٨).
- [١٤٠] في (هـ): السمسار.
- [١٤١] تاريخ ابن عساكر، لاحظ مختصر ابن منظور (٢/ ٤٠٦).
- [١٤٢] لاحظ لسان الميزان (٢/ ٤) ترجمة أبي الفخر الأزدي، قال وهو الثامن من فوائده.
- [١٤٣] في تاريخ بغداد (٦/ ٣٥٦): الزيادة.
- [١٤٤] هكذا ورد في الكتاب: «ابن عمر» وقال ممدوح: والصواب: ابن مسعود، كما في لسان الميزان (٢/ ٤) والقول البديع للسخاوي (ص ١٣٥) وتنزيه الشريعة (٢/ ١٧٥) تبعاً لذيل اللالي المصنوعة للسيوطي. أقول: وعبارة الصارم «عن عبدالله» فلاحظ.
- [١٤٥] تاريخ بغداد (٧/ ٣٥٦) ترجمة الزيادة.
- [١٤٦] في (هـ): يزيد.
- [١٤٧] تاريخ بغداد (٢/ ٢٤٣) رقم ٧٢٤ والأنساب للسمعاني (١/ ١٢٠) الأزدي.
- [١٤٨] لاحظ كلام البرقاني في تاريخ بغداد (٢/ ٢٤٣) رقم ٧٢٤ ترجمة الأزدي.
- [١٤٩] في (هـ): الفتح.
- [١٥٠] المجروحين لابن حبان (١/ ٢٨٤).
- [١٥١] في (هـ): شويه.
- [١٥٢] في (هـ): العكي.
- [١٥٣] قال ممدوح: أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٤٨٨)، والسهمي في تاريخ جرجان (ص ٤٣٤) وابن أبي الدنيا في القبور. وانظر المداوي لعل المناوي (٦/ ٢٣٢٥) لأحمد بن الصديق الغماري. رفع المنارة (ص ٣٢٤ - ٣٢٦).
- [١٥٤] مثير العزم الساكن لابن الجوزي.
- [١٥٥] الثقات لابن حبان (٦/ ٣٩٥).
- [١٥٦] الجرح والتعديل للرازي.
- [١٥٧] الضعفاء للعقيلي (٣/ ٤٥٧) وفيه: ان ابن زميل بلفظ: «كنت له شهيداً».
- [١٥٨] تاريخ دمشق لابن عساكر.
- [١٥٩] الكامل لابن عدي (٦/ ٢٢٣٨).
- [١٦٠] في (هـ): المصطفى. وعلق فيها: هو يحيى بن الحسن بن جعفر الحجة بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن الإمام السجاد زين العابدين، المتوفى سنة (٢٧٧هـ) الاعلام للزركلي ١٧٠/ ٩.
- [١٦١] الدرّة الثمينّة لابن النجار (ص ٣٩٧) ب (١٦).
- [١٦٢] شرف المصطفى للخركوشي (ص ٤٢١ و ٤٦٦) كما في بعض التخرجات.
- [١٦٣] تاريخ دمشق لابن عساكر، لاحظ مختصر ابن منظور (٢/ ٤٠٦).
- [١٦٤] لاحظ وفاء الوفاء للسهودي (٤/ ١٣٤٨) والدرّة الثمينّة (ص ٣٩٧) ورفع المنارة للممدوح المحمود (ص ٣٢٧ - ٣٢٩).

[١٦٥] لاحظ ما يلي (ص) الباب.

[١٦٦] سنن أبي داود السجستاني (٢/٢١٨) ح ٢٠٤١ كتاب المناسك، باب زيارة القبور.

[١٦٧] قال ابن حجر في تلخيص الحبير (٧/٤١٨) في أحاديث الزيارة: وأصح ما ورد في ذلك ما رواه أحمد وأبو داود من طريق أبي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبدالله بن قسيط عن أبي هريرة مرفوعاً «ممن أحد يسلم...» الحديث وبهذا الحديث صدر البيهقي الباب. وقال في الصارم المنكى (ص ١٨٩): روى الإمام أحمد حديث أبي هريرة هذا في مسنده (٢/٥٢٧) وانظر تحفة الاشراف (١٠/٤٢١) مع النكت الطراف لابن حجر). وقال: اعلم ان هذا الحديث هو الذي اعتمد عليه الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما من الأئمة في مسألة الزيارة، وهو أجود ما استدلل به في هذا الباب، ومع هذا فلا يسلم من مقال في إسناده! من جهة تفرد ابن صخر عن ابن قسيط عن أبي هريرة، ولم يتابع ابن قسيط. أقول: وتعت ابن عبد الهادي هنا واضح، إذ يظهر أن الحديث بحاجة إلى متابعة حتى يسلم عن مقاله فيه! وهو خطأ فادح لم ينطق به متعلم في الحديث فضلاً عن عالم به. ثم نقل كلمات أهل الجرح في رواة الخبر، وقال: أنه لا يُنتهى به إلى درجة الصحيح» بالرغم من اعترافه بأنهم من رجال صحيح مسلم، لكنّه اعترض «أنه لم يرو عنهم عن أبي هريرة» ثم قال (ص ١٩٧) فعلم ان الحديث لا ينبغي أن يقال: هو على شرط مسلم، وإنما هو حديث إسناده مقارب، وهو صالح أن يكون متابعا لغيره وعاضداً له. ثم ذكر (ص ١٩٧) النزاع في دلالة الحديث: من جهة احتمال لفظه فان قوله «ممن أحد يسلم عليّ» يحتمل أن يكون المراد به عند قبره كما فهمه جماعة من الأئمة، ويحتمل أن يكون معناه على العموم، وأنه لا فرق في ذلك بين القريب والبعيد، وهذا هو ظاهر الحديث، وهو الموافق للأحاديث المشهورة.... أقول: أولاً: إن فهم الأئمة وهم أئمة الناس بالحديث هو الحجّة، وموجب لصرف الظاهر - إن ثبت - كما فعل أبو داود حيث ترجم للباب بزيارة القبور وأورد الحديث المذكور فيه (السنن). وثانياً: العموم يشمل القريب أيضاً فيكون دليلاً على مشروعية قصد السلام عليه بالسفر للزيارة، وهو كاف في دحض مقالة السلفية، والأحاديث المشهورة كلها عاضدة لهذا الحكم ودليل على صحّة قصد المسلم حضرته الشريفة، فلماذا تخالفون سنته بالمنع عن ذلك؟ وكتب السيد.

[١٦٨] السنن الكبرى للبيهقي (٥/٢٤٥) كتاب الحج، باب زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله).

[١٦٩] الكامل لابن عدي (٢/٦٨٤) ترجمة حميد بن زياد، والجرح والتعديل للرازي (٣/٢٢٢).

[١٧٠] المغنى لابن قدامة (٣/٥٨٨).

[١٧١] سيد ذكر المؤلف في (خاتمة) هذا الكتاب ألقاها «الصلوة» على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الواردة في النصوص الحديثية، فراجع.

[١٧٢] صحيح البخارى (٦/٤٨٩) باب (٤٥٢) كتاب التفسير، ذيل الآية وصحيح مسلم (٢/١٦) باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد التشهد.

[١٧٣] سنن ابن ماجه (١/٢٥٣) كتاب المساجد والجماعات، باب (١٣) الدعاء عند دخول المسجد.

[١٧٤] سنن النسائي (٣/٤٣).

[١٧٥] كتاب فضل الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، للقاضي إسماعيل.

[١٧٦] سنن الدارقطني. نقله في مجمع الزوائد (٩/٢٤) عن البزار، قال في الصارم (٢٠٢): رواه أحمد في مسنده، ورواه أبو يعلى الموصلى ورواه ابن أبي عاصم ورواه الحاكم في المستدرک (٢/٤٢١) وحكم له بالصحة، ورواه أبو حاتم الیستی (٢/١٣٤) في كتاب الأنواع والتفاسيم عن أبي يعلى وقد سئل الدارقطني في كتاب العلل عنه؟ فقال.... وعلّق عليه: رواه في الكبرى كما في تحفة الأطراف (٧/٢١) وفي عمل اليوم والليلة رقم (٦٦) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٢٤): رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، وفي فيض القدير (٢/...) قال الحافظ العراقي: الحديث متفق عليه دون قوله «سيّاحين».

[١٧٧] قال في الصارم (ص ٢٠٣) هذا خبر مرسل رواه القاضي إسماعيل بن إسحاق في كتاب فضل الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

وآله وسلم) (ص ٣٦ رقم ٢٥) عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن غالب القطان عن بكر بن عبدالله، وهذا إسناد صحيح إلى بكر المزني، وبكر من ثقات التابعين وأئمتهم.

[١٧٨] سنن أبي داود (٢١٨/٢) ح ٢٠٤٢ كتاب المناسك زيارة القبور، وزاد: ولا تجعلوا قبرى عبداً، ورواه القاضي في فضل الصلاة (ص ٤٥).

[١٧٩] تاريخ دمشق لابن عساكر.

[١٨٠] وروى المتعصب العنيد ابن عبد الهادي في الصارم المنكي (ص ٢٠٦) قال: وقال عيسى بن علي الوزير: قرئ علي القاضي أبي القاسم بدر بن الهيثم - وأنا أسمع - قيل له: حدثكم عمرو بن النصر العزال، حدثنا عصمة بن عبدالله الأسدي، حدثنا نعيم بن مضمم، عن عمران بن الحميري، قال: قال لي عمارة بن ياسر - وأنا وهو مُقبِلان، ما بين الحيرة والكوفة - يا عمران بن الحميري، ألا أخبرك بما سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ قال: قلت: بلى، فأخبرني! قال: إن الله أعطى ملكاً من الملائكة أسماع الخلائق، فهو قائم على قبرى إلى يوم القيامة، لا يصلّي عليّ أحد صلاةً إلا سَمَّاه باسمه واسم أبيه... الحديث. وقال عثمان بن حُرْزاذ: حدثني سعيد بن محمد الجرمي، حدثنا علي بن القاسم الكندي عن نعيم بن مضمم، عن عمران بن حميري، قال: قال لي عمارة بن ياسر: ألا أحدثك عن حبيبي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يا عمارة، إن الله عزوجل أعطى ملكاً أسماع الخلائق... الحديث بنحوه. وقد روى هذا الحديث أيضاً محمد بن هارون الروباني في مسنده عن أبي كريب عن قبيصة عن نعيم، وهو حديث غريب (!) تفرد به نعيم عن عمران بن حصين، والله أعلم!!.

[١٨١] سنن أبي داود (٢٣٦/١) باب فضل الجمعة وليلة الجمعة ح ١٠٤٧ و(٣٤٢/١) ح ١٥٣١ باب في الاستغفار، وسنن النسائي (٣/٩١)، وسنن ابن ماجه (٣٤٥/١) كتاب إقامة الصلاة باب (٧٩) في فضل الجمعة ح ١٠٨٥ وفيه: شداد عن أوس، وذكره في الجناز كما سيأتي.

[١٨٢] أخرجه في الصارم المنكي (ص ٢١٢) عن القاضي إسماعيل في فضل الصلاة (ص ٣٥) رقم (٢٢ و ٢٣).

[١٨٣] مسند أحمد (٨/٤) وانظر سنن الدارمي (٣٦٩/١) باب في فضل الجمعة، والسنن الكبرى للبيهقي (٣/٢٤٨) باب ما يؤثر به في ليلة الجمعة ويومها من كثرة الصلاة على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

[١٨٤] سنن ابن ماجه (٥٢٤/١) ح ٨٦٣٦ باب (٦٥)، وانظر المستدرک على الصحيحين للحاكم (١/٢٧٨) و (٤/٥٦٠)، ولاحظ كنز العمال (٧/٧٠٨) ح ٢١٠٣٧.

[١٨٥] في الأصل: «عمرو بن أبي الحرب» كذا في الهندي، وفي نسخة: الحرث.

[١٨٦] سنن ابن ماجه (٥٢٤/١) ح ١٦٣٧ ب ٦٥ كتاب الجناز.

[١٨٧] عمل اليوم والليلة، لابن السنّي.

[١٨٨] تاريخ ابن عساكر.

[١٨٩] في (هـ): الحسين.

[١٩٠] سيد كره.

[١٩١] سيفرد له الباب (التاسع).

[١٩٢] قال في الصارم (ص ٢٢٢): ذكره البيهقي في (الجزء) الذي جمعه في (حياة الأنبياء عليهم السلام) بعد دفنهم). ثم قال (ص ٢٢٥): وهذا التأويل المنقول عن البيهقي في هذا الحديث قد تلقاه عنه جماعة من المتأخرين، والتزموا لأجل اعتقادهم له، أموراً ظاهرة البطلان. أقول: ومن شدّد عن فهم الناس والتزامهم، فهو في النار!

[١٩٣] تاريخ ابن عساكر لاحظ مختصر ابن منظور (٤/١١٧) وتهذيب تاريخ دمشق لبدران (٢/٢٥٩) ترجمة إبراهيم بن محمد بن

سليمان.

[١٩٤] في المصرية: الحسين.

[١٩٥] راجع تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢/ ٢٥٩.

[١٩٦] تاريخ دمشق ترجمه بلال.

[١٩٧] تاريخ دمشق (١٣٦/٧) ترجمه إبراهيم برقم ٢٩٣.

[١٩٨] تاريخ دمشق لابن عساكر (١١٨/١٠) رقم ٨٦٤.

[١٩٩] الكنى لمسلم.

[٢٠٠] الكنى والأسماء للدولابي.

[٢٠١] تاريخ دمشق لابن عساكر.

[٢٠٢] تاريخ دمشق لابن عساكر (١٣٦/٧) رقم ٤٩٣.

[٢٠٣] تاريخ دمشق لابن عساكر (٨٦١/١٥) من النسخة المصورة.

[٢٠٤] رواه البيهقي في شعب الإيمان كما نقله في الصارم (ص ٢٤٦).

[٢٠٥] في (ه): الطروشى.

[٢٠٦] فتوح الشام (١/١٤٨) ذكر فتح بيت المقدس.

[٢٠٧] الاستيعاب (٢/٥٢٦) رقم (٨٢٥).

[٢٠٨] أنساب الأشراف (١/٤٩٣) رقم ٩٩٣.

[٢٠٩] العقد الفريد لابن عبد ربه (٥/١٢) أخبار زياد.

[٢١٠] في (ه): الخطبى.

[٢١١] المصنف لابن أبى شيبة (٤/٣١٨) ب ٣٢ فى الرجل يحجّ يبدأ بمكة أو بالمدينة، ح ١.

[٢١٢] المصنف لابن أبى شيبة (نفس الموضع والباب) ح ٦.

[٢١٣] الشريعة للأجرى.

[٢١٤] الإبانة لابن بطة.

[٢١٥] الشفاء، بتعريف حقوق المصطفى (عليه السلام) للقاضى عياض (٢/١٩٧) الفصل ٩ حكم زيارة قبره (صلى الله عليه وآله وسلم).

وشعب الإيمان للبيهقى (ص).

[٢١٦] فى (ه): عتبة.

[٢١٧] تاريخ ابن عساكر.

[٢١٨] تاريخ ابن عساكر.

[٢١٩] حَرف ابن عبد الهادى فى الصارم المنكى (ص ٢٥٣) كلمة «يثرب» إلى (حكة)!!.

[٢٢٠] الشفاء للقاضى عياض (٢/١٩٤) الفصل ٩ وفى طبعه (٢/٧٤).

[٢٢١] الأحكام السلطانية للماوردى (ص ١٠٨ - ١٠٩).

[٢٢٢] لاحظ ردّ المختار على شرح المختار (٢/٢٥٧).

[٢٢٣] فى (ه): الحسين.

[٢٢٤] دعوى ابن تيمية أنه على المذهب الحنبلى مشهورة، لكنّه مخالف له فى عقائده بأصول الدين وأحكامه فى فروع الدين، لاحظ

للتوسع: كتاب «دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد» للإمام تقي الدين الحِصْنِي، وهو مطبوع. وكتاب «صلح الإخوان في الرد على من قال على المسلمين بالشرك والكفران» للعلامة داود بن سليمان النقشبندی العاني البغدادي، وهو مطبوع. وانظر الصارم المنكي (ص ١٤٥) فقد نقل الأثر من أحمد بن حنبل: قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يلمس ويتمسح به؟ قال: ما أعرف هذا، قلت: فالمنبر؟ قال: أما المنبر، فنع. وقد جاء عن ابن عمر أنه مسح على المنبر، ومن سعيد بن المسيب: في الرمانه. قلت: أنهم يلصقون بطونهم بجدار القبر ورأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسونه ويقومون ناحية فيسلمون، فقال: نعم. وهكذا صدق أحمد بأن الناس كانوا يفعلون بجدار القبر، ولم يستنكره، ولم يكرهه ولم يكفر القائمين بمسح بطونهم بجدار القبر، كما يفعل السلفية المدعون للحنبلية في عصر ابن تيمية والوهابية اليوم! قطع الله أيديهم، وكفى القبر الشريف وزائريه الكرام شرورهم. وانظر رفع المنارة (ص ٥٧ هـ) فقد نقل نصاً قطعاً عن الحافظ الذهبي في معجم الشيوخ (١/ ٧٣ - ٧٤) فيه عن أحمد أنه لم ير بأساً بلمس القبر النبوي. وفيه كلام عجيب تكفره عليه السلفية الأجلاف!.

[٢٢٥] مثير العزم الساكن لابن الجوزي.

[٢٢٦] المغنى لابن قدامة (٣/ ٥٥٨).

[٢٢٧] المغنى لابن قدامة (٣/ ٥٨٨) وقد مرّ سابقاً.

[٢٢٨] في معجم المؤلفين (٥/ ٩٤) سمّاه: تهذيب الطالب! فلاحظ.

[٢٢٩] وجوب الزيارة نقله الأحنائي المالكي في رده على ابن تيمية كما في (الصارم ص ١٥٧). قال (رحمه الله): ونحن السادة العلماء المجتهدين بالحض على ذلك والتدب إليه وعلى ذلك والتدب إليه والغبطة لمن سارع لذلك وداوم عليه حتى نحا بعضهم في الوجوب وورفعه عن درجة المباح والمندوب. لا بد أن يحمل على الكفائي - دون العيني - وذلك بعنوان تعظيم الشعائر الإسلامية، إذ لا ريب أن تركها فيه من الجفاء وعدم الاهتمام بالرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ما يتوق له أعداء الإسلام، ويروجون له، ولهذا ترى السلفية اللثام يركزون عليه، ويمنعونه ويقبحونه بشتى الأشكال والأساليب، وبكلمة «التوحيد» التي هي حق، لكن يُراد بها باطل لإزدراء بمقام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقبره المعظم. والمحافظة على كرامة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالوفود على قبره المعظم وزيارته والسلام عليه عند قبره بالقصد الخاص من أعظم القرب الدينية والشعائر الإسلامية، في كل العصور، وخصوصاً في عصرنا الذي تستولى زمره الوهابية، عبّاد الأمراء والملوك، وعبيد الدنيا والدولار، على تلك المشاهد الشريفة والبيوت المرفوعة، قطع الله شأفتهم، وأراح البلاد والعباد منهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وسيأتى بعض هذا في كلام الإمام السبكي المؤلف في الباب الخامس: في تقرير كون زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قرينة. وسيعيد المصنف عبارة الصقلي هذا في هذا الباب عند نقل فتوى مالك كراهة لفظ «الزيارة». والغريب ان ابن عبد الهادي ذكر في الصارم (٣٢٥) النوع الثالث من أنواع زيارة القبور، قال: فهو زيارتها للدعاء.. إلى أن يقول: وهذا مشروع، بل فرض على الكفاية متواتر متفق عليه بين المسلمين! لكنه لم يصرح هنا باسم زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، بل أطلق، وهذا من أساليب تلبيس السلفية الأوغاد. وكتب السيد.

[٢٣٠] في (هـ): نائبه.

[٢٣١] الحاوي للماوردي.

[٢٣٢] البيان والتحصيل، لابن رشد.

[٢٣٣] الشفاء للقاضي عياض (٢/ ٢٠١ - ٢٠٦) فصل ٩ ونقلها في الصارم (٢٦٣) عن افتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٣٩٣ -

٣٩٤. وقد حاول تضعيفها والحكم بأنها مغيرة! وبيطلان ذيلها!!! وهكذا يُحاول فيما لا يوافق هواه!.

[٢٣٤] في الصارم (٢٥٩): أجازوا فيه.

[٢٣٥] الموطأ لمالك. أقول لم أجده فيه، ولعلّ نسخه مختلفه كرواياته، وقد نقل السيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٣٧) قال: أخرج

اليهقي عن ابن عمر أنه كان يأتي القبر فيسلم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا يمَسُّ القبر، ثم يسلم على أبي بكر ثم على عمر.

[٢٣٦] المصنّف لعبد الرزاق (٣/ ٥٧٦) ح ٦٧٢٥. ويلاحظ ان القبر هنا لا- يمكن تأويله بالمسجد كما يُحاول ابن تيمية! لأنه لا معنى للسلام على المسجد، إلا أن يدعى أن المراد: السلام على باب المسجد، يعنى السلام على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على باب المسجد، فإنه مستحب، وليس مثل هذه التأويلات البعيدة بعيداً عن عمل ابن تيمية وأتباعه!

[٢٣٧] المصنّف لعبد الرزاق (٣/ ٥٧٧) ح ٦٧٢٧. الحديث من كنز العمال (١١/ ٥١١) برقم (٣٢٣٨٧) وقال: حل - عن أنس. وقال السيوطي في الدر المنثور (٤/ ١٥٠) أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): لما أسرى بي مررت بموسى وهو قائم يصلي في قبره.

[٢٣٨] الشفاء للقاضي عياض (٢/ ١٩٨) فصل ٩.

[٢٣٩] مسند أبي حنيفة.

[٢٤٠] الشفاء للقاضي بن عياض (٢/ ١٩٥ - ١٩٧) فصل ٩.

[٢٤١] ليلاحظ القارئ الكريم كيف تصبح كلمة مالك وحبّه وكرهته محطاً لاهتمام هؤلاء الناس وكشف مراده، ويحتج بها السلفية كأنه وحي منزل، وتهاجم الأكاداس من الأحاديث والآثار المروية في الكتب والمذكورة في الأحكام والمؤلفات، التي يعتمدها المؤلفون والرواة وكلها تنادي بصراحة «زيارة القبر» واستحبابها وكونها المقصود للزائر فضلاً عن إطلاق لفظ الزيارة؟!؟.

[٢٤٢] المصنّف لعبد الرزاق (٣/ ٥٧٧) ح ٦٧٢٧. وهو في المصنّف لابن أبي شيبة - أيضاً- (٣/ ٢٢٦) كتاب الجنائز باب (١٤٦) ح ٥. عن حسن بن حسن قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا تتخذوا...» الحديث. وأورده الذهبي في ترجمته من سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٨٤) رقم (١٨٥) وقال بعد الحديث: هذا مرسل (!). وأضاف الذهبي: وما استدلل حسن - في فتواه - بطائل من الدلالة. فمن وقف عند الحجر المقدسه ذليلاً مسلماً مصلياً على نبيّه، فيا طوبى له، فقد أحسن الزيارة، وأجمل في التذلل والحب، وقد أتى بعبادة زائدة على من صلى عليه في أرضه، أو في صلاته، إذ الزائر له أجر الزيارة وأجر الصلاة عليه، والمصلي عليه من سائر البلاد له أجر الصلاة فقط. «فمن صلى عليه واحدة صلى الله عليه عشراً». ولكن من زاره - صلوات الله عليه - وأساء أدب الزيارة!! أو سجد للقبر!!! أو فعل ما لا يشرع!!! فهذا فعل حسناً وسيئاً، فيعلم برفق، والله غفورٌ رحيم. فوالله ما يحصل الانزعاج لمسلم والضياع وتقيل الجدران وكثرة البكاء، إلا وهو محبٌ لله ولرسوله، فحبه المعيار والفارق بين أهل الجنة وأهل النار. فزيارة قبره من أفضل القرب، وشدة الرحال إلى قبور الأنبياء والأولياء - لئن سلمنا أنه غير مأذون فيه، لعموم قوله صلوات الله عليه: «لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»! - فشد الرحال إلى نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) مستلزم لشد الرحال إلى مسجده، وذلك مشروع بلا نزاع، إذ لا وصول إلى حضرته إلا بعد الدخول إلى مسجده، فليبدأ بتحية المسجد، ثم بتحية صاحب المسجد، رزقنا الله وإياكم ذلك، آمين.

[٢٤٣] فضل الصلاة... للقاضي إسماعيل (ص ٣٣)، وقال في الصارم (ص ٢٩٤) قد رواه أبو يعلى الموصلي والحافظ المقدسي في الأحاديث المختارة، وله شواهد كثيرة. هو خبر محفوظ مشهور.

[٢٤٤] سنن أبي داود (١/ ٤٥٣) ح ٢٠٤٢، باب زيارة القبور.

[٢٤٥] الكامل لابن عدى.

[٢٤٦] أقول: المحفوظ في بعض النصوص قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا تجعلوا بيتي عيداً...» والظاهر أن من رواه بلفظ «قبري» إنما حرّفه، والقريئة على ذلك لفظ «بيوتكم» في ما ورد بلفظ «قبري» وعلى هذا فالمراد منعهم من مرادة بيته والجلوس فيه، للسمر والسهر، وهو أدية للرسول ومزاحمة لحياته، ولمن يريد الاستفادة من علمه، كما ورد في القرآن الكريم وللتفصيل محل آخر، فراجع رسالتنا حول «الزيارة» وكتب السيرة.

[٢٤٧] صحيح مسلم (٨٦ / ٧) كتاب الفضائل، باب إثبات خاتم النبوة، وفي طبعه (٤ / ١٨٢٣) وانظر الشرائع للترمذى رقم ٢٢.

[٢٤٨] في الصارم (ص ٣١٤): «محملة» بدل: مجملة.

[٢٤٩] لم يتمكن المتعصب العنيد من دفع الإجماع على مشروعية الزيارة، وقول علماء الإسلام بها، إلا بقوله في الصارم المنكى

(ص ٣٣٠): إن الإجماع المذكور في هذه المسألة غير محقق، وإن كان قول من خالف الجمهور ضعيفاً!! وشيخ الإسلام (!؟) لم يذهب

إلى هذا القول المخالف لقول الجمهور، وإنما حكاه غيره. أقول: ومن المعلوم أن مخالفة الضعيف لا يؤثر في الإجماع وتحققه، وإلا

كان كل قول واحتمال، ممن هبّ ودبّ، مؤثراً في نقض الإجماع، فلم ينعقد إجماع على شيء!!.

[٢٥٠] سبق ص.

[٢٥١] المصنف لابن أبي شيبة (٣ / ٢٢٦) كتاب الجنائز ٩ الباب (١٤٦) من كره زيارة القبور ح (١١).

[٢٥٢] المصنف لابن أبي شيبة (الموضع والباب) ح ٩.

[٢٥٣] لاحظ استدلال ابن تيمية على منع الزيارة بأسخف من هذين، وهو أن مالكاً كره أن يقال «زرت قبر النبي (صلى الله عليه وآله

وسلم)» مجموع فتاوى (٢٦ / ٢٧) والصارم (ص ٣٢٨). وأمثال ذلك من الحكايات التي ينطبق عليها قوله في موضع آخر: قد تكون

صدقا، وقد تكون كذبا، وتقدير أن تكون صدقا فإن قائلها غير معصوم ومن يعارض النقل الثابت عن المعصوم (في مشروعيتها الزيارة)

بنقل (من هذه الحكايات) غير ثابت حتى عن غير المعصوم؟ إلا - من يكون من الضالين (المنحرفين عن تقديس الرسول وصحابته

كالسفلية والوهابية) إخوان الشياطين. وهذا من أسباب الشرك وتغيير الدين! بحكم ابن تيمية في مجموع فتاواه (٢٧ / ١٧١).

[٢٥٤] سنن الترمذى (٢ / ٢٥٩) ح ١٠٦١، باب (٦١) ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء، وفيه: عن أبي هريرة: ان رسول الله لعن...

ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٧٨ / ٤) وسنن ابن ماجه (١ / ٥٠٢) ح ١٥٧٤، باب ما جاء في زيارة القبور، والموجود في المطبوع: عن

حسان بن ثابت: لعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) زوارات القبور، لا - ما نقله في المتن من قوله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«لعن الله...»، وقد روى بعده عن ابن عباس وأبي هريرة مثله. وحديث حسان رواه الحاكم في مستدركه (١ / ٣٧٤)، والبيهقي في السنن

الكبرى (٧٨ / ٤)، لكن في كتر العمال (١٦ / ٣٨٨) رقم (٤٥٠٣٨): «لعن الله زوارات القبور» حم ت هك. عن حسان: وحمت ه عن

أبي هريرة فليلاحظ، وفي مصنف ابن أبي شيبة (٣ / ٢٢٦) كتاب ٩ باب (١٤٦) ح (١٠) وفيه: زائرات.

[٢٥٥] المصنف لابن أبي شيبة (٣ / ٢٢٣) كتاب ٩ الجنائز، الباب (١٤٥) من رخص في زيارة القبور ح ١.

[٢٥٦] وعند هذا الموضع، قد انقطع ابن عبد الهادي عن رده السخيف على الإمام السبكي، فصرم الله عمره وبتره بما أبداه على هذا

الإمام الهمام من التعدي والظلم وقد ترك ما بقى من الكتاب، وهو القسم الأكبر والأهم ويحتوي على الأبواب الخمسة المتبقية من

(الباب السادس) إلى (الباب العاشر) التي جاء فيها الإمام السبكي بالعجب العجاب من الكلام الحكيم القويم، والفقهاء الصائب، والحق

الصراح. وقد شرحنا جانباً من أسباب نكوص السلفي البغيض عن التعرض لهذه الأبواب في المقدمة، فراجع.

[٢٥٧] صحيح مسلم (٣ / ٦٥) كتاب الجنائز، باب استئذان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في زيارة قبر أمه.

[٢٥٨] في (ه): القرطبي.

[٢٥٩] المصنف لابن أبي شيبة (٣ / ٢٢٤) كتاب ٩، الجنائز، باب (١٤٥) ح ٩.

[٢٦٠] المصنف لابن أبي شيبة (نفس الموضع والباب) ح ٨ باختلاف يسير.

[٢٦١] الطبقات الكبير لابن سعد.

[٢٦٢] السير الكبير (١ / ٢٣٦) رقم ٣٠٣ باب الشهيد ما يصنع به؟.

[٢٦٣] سيأتي في.

[٢٦٤] لاحظ (ص).

- [٢٦٥] الأم للشافعي (٢/ ٢٨١).
- [٢٦٦] سنن أبي داود (٢/ ١٠٢) باب (٢٤) من نذر أن يصلى في بيت المقدس، ح(٣٣٠٥).
- [٢٦٧] تقدّم.
- [٢٦٨] تقدم.
- [٢٦٩] مّر نقله عن الطبراني (١٢/ ٤٠٦) رقم ١٣٤٩٦، وانظر هنا (ص ٣٢).
- [٢٧٠] تقدّم.
- [٢٧١] الباب السابع ص.
- [٢٧٢] سنن أبي داود (٢/ ٢١٨) ح ٢٠٤٣ كتاب المناسك، باب زيارة القبور وفيه: يريد، بدل: نريد.
- [٢٧٣] في (هـ): بمحنية.
- [٢٧٤] لاحظ تدخّل ابن تيمية في تحميلة أغراضه ومقاصده، على الناس، واتهامهم بها، والرد على ذلك.
- [٢٧٥] صحيح مسلم (١/ ١٥١) كتاب الطهارة باب فضل إسباغ الوضوء.
- [٢٧٦] صحيح البخاري (١/ ٣١٩) ح ٦١٢ كتاب الأذان باب (٤٢٣) فضل صلاة الجماعة. وصحيح مسلم (٢/ ١٢٩) كتاب الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة.
- [٢٧٧] صحيح البخاري (١/ ٣٢٠) ح ٦١٥ كتاب الأذان باب (٤٢٤) فضل صلاة الفجر في جماعة. وصحيح مسلم (٢/ ١٣٠ - ١٣١) كتاب الصلاة، باب فضل كثرة الخطى إلى المساجد.
- [٢٧٨] صحيح مسلم (٢/ ١٣٠ - ١٣١) كتاب الصلاة، باب فضل كثرة الخطى.
- [٢٧٩] صحيح مسلم (٢/ ١٣٠ - ١٣١) نفس الموضوع.
- [٢٨٠] صحيح مسلم (٢/ ١٣١) كتاب الصلاة، باب المشى إلى الصلاة.
- [٢٨١] صحيح البخاري (١/ ١٦١) ح ٦٢٣ كتاب الأذان، باب فضل من غدا إلى المسجد. صحيح مسلم (٢/ ١٣٢) كتاب الصلاة باب المشى إلى الصلاة.
- [٢٨٢] سنن أبي داود (١/ ١٥٣) ح (٥٥٨) كتاب الصلاة باب ما جاء في فضل المشى إلى الصلاة، عن أبي امامة، وفيه زيادة.
- [٢٨٣] سنن أبي داود (١/ ١٥٤) ح (٥٦١) نفس الموضوع، عن بريدة. سنن الترمذي (١/ ١٤٢) ح (٢٢٣) باب (١٦٥) ما جاء في فضل العشاء. سنن ابن ماجه (١/ ٢٥٦) ح (٧٨١) باب (١٤) كتاب المساجد والجماعات.
- [٢٨٤] سنن أبي داود (١/ ٩٥) ح ٣٤٥ كتاب الطهارة باب في الغسل يوم الجمعة.
- [٢٨٥] في (هـ): غرفة. وفي سنن ابن ماجه: خرافة.
- [٢٨٦] سنن ابن ماجه (١/ ٤٦٢) ح ١٤٤٢ ب ٢ كتاب الجنائز.
- [٢٨٧] سنن الترمذي (٣/ ٢٤٦) ح ٢٠٧٦ باب (٦٣) ما جاء في زيارة الاخوان ونسبه في كنز العمال (٩/ ٩٤) رقم ٢٥١١٣٤ إلى الترمذي وقال المعلق: أخرجه في كتاب البرّ والصلّة، باب زيارة الاخوان (ح ٢٠٠٨). سنن ابن ماجه (١/ ٤٦٤) ح ١٤٤٣ ب ٢ كتاب الجنائز. ورواه أحمد في مسنده (٢/ ٣٤٤ و ٣٥٤).
- [٢٨٨] سورة التوبة: الآية ١٢٠ - ١٢١.
- [٢٨٩] أخرجه.
- [٢٩٠] أخرجه البخاري في صحيحه بلفظ: فأحسب (٥/ ١٠٨). وفي سنن أبي داود (٢/ ٣٢٧) ح ٤٣٥٤ وفيه: وأرجو، بدل (أحسب).
- [٢٩١] أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٨٦) وأحمد في المسند (١/ ١٧٢ - ١٧٧). و(٤/ ٢٦٧) و(٥/ ١٢٧) و(٦/ ١٨٩) و(٨/ ٥).

- وصحيح مسلم (٧١ / ٥) وسنن أبي داود (١ / ٦٥٤) ح ٢٨٦٤. والبيهقي في السنن الكبرى (٣ / ٣٧٦) و(٦ / ٢٤٨) و(٧ / ٤٦٧) و(٩ / ١٨).
- [٢٩٢] البخارى (٨ / ٥١٣) ح ١٤٦٣ كتاب القدر، باب (٨٢٩) و(٨ / ٥٣٩) ح ١٥٤٢ كتاب الأيمان والندور، باب (٨٦٥) الوفاء بالندور.
- [٢٩٣] الصحاح للجوهري (٥ / ١٨٤١) باب اللام فصل الواو (وسل).
- [٢٩٤] لاحظ كلام ابن تيمية في حكم الزيارة وشرطها: مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٧ / ص ٢٦ - ٣٤) وقد نسب فيه إلى الفقهاء أحكاماً لم يقولوا بها، واستفاد من الأحاديث معاني لا تفيدها، فراجع.
- [٢٩٥] في هامش الهنديّة: لعله: الوخمة.
- [٢٩٦] عن استدلال ابن تيمية بهذا الحديث راجع مجموع فتاواه (ج ٢٧ ص ٢٦) ومواقع عديدة في هذا الجزء الخاص بالزيارة وشد الرحال إليها.
- [٢٩٧] صحيح مسلم (٤ / ١٢٦) كتاب الحج باب لا تُشدُّ الرحال...
- [٢٩٨] صحيح مسلم (٤ / ١٠٢) كتاب الحج باب سفر المرأة مع محرم.
- [٢٩٩] مسند ابن راهويه.
- [٣٠٠] المعجم الكبير للطبراني (١٢ / ٣٣٧) ح ١٣٢٨٣، وفيه (لا- تشد) وعلّق عليه: قال في مجمع (الزوائد) ٤ / ٤، بعد أن نسبه إلى الأوسط: ورجاله رجال الصحيح، ورواه البزار أيضاً.
- [٣٠١] لاحظ ما ذكره الذهبي في سير الأعلام (٤ / ٤٨٤) في هذا الصدد وقد نقلناه في الباب الرابع (ص ١٠٠) فراجع الهامش.
- [٣٠٢] شرح مسلم للنووي (٩ / ١٠٦).
- [٣٠٣] المجموع شرح المذهب للنووي (٨ / ٤٧٧) وانظر نذر الصلاة في (٦ / ٤٨٨) وانظر (٨ / ٤٧٣) و(٨ / ٤٧٥).
- [٣٠٤] الإكمال للقاضي عياض.
- [٣٠٥] المغنى لابن قدامة (٢ / ١٠٣).
- [٣٠٦] صحيح مسلم (٣ / ٦٣) كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبر.
- [٣٠٧] يأتي.
- [٣٠٨] هذا النص في مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣ / ١٩٧) وهو الجواب الثاني، كتبه محمد ابن عبد الرحمن البغدادي الخادم للطائفة المالكية بالمدرسة الشريفة المستنصرية.
- [٣٠٩] هذا النص في مجموع فتاوى ابن تيمية (١٣ / ١٩٦) وهو الجواب الأول لمحزّره ابن الكتبي الشافعي.
- [٣١٠] لاحظ مواضع هذه العبارة في كلام ابن تيمية وجروه ابن عبد الهادي في أول تعليقه لنا على هذا الكتاب (ص ١).
- [٣١١] هذه الفتوى لم ينقلها أحد من أتباع ابن تيمية، والظاهر أنها الفتوى القديمة في مسألة الزيارة التي قال عنها ابن عبد الهادي في (العقود ص ٣٢٧) «وكان الشيخ في هذه المسألة كلام متقدّم أقدم من الجواب المذكور بكثير، وذكره في كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» وغيره وفيه ما هو أبلغ من هذا الجواب الذي ظفروا به. أقول: وقد ذكرنا ان الإمام السبكي إنّما ألّف كتاب (شفاء السقام) في مصر حوالي سنة (٧١٦) واعتمد كما يقول هنا، على هذه الفتوى، وهي صريحة في منع ابن تيمية لمطلق زيارة القبر المعظم، مضافاً إلى منعه لشد الرحال إلى زيارته، كما أثبت السبكي هنا. ونفس هذه المقاطع الدالّة على منعه لمطلق الزيارة، مبثوثة في كتبه، ومجموع فتاواه، وفي النقول عنه، فلاحظ كتابه: الجواب الباهر - وهو الذي كتبه بعد تكفير علماء الأئمة له - وطبع في مجموع الفتاوى (٢٧ / ٤١٤ - ٤٤٤) و(ج ١٧ ص ٤٦١) وانظر (١٥ / ١٥٤ و ١٤٣ - ١٤٤) والرد على الاخنائي ومختصره في المجموع (٢٧ / ١١٤ - ٢٨٨) واقتضاء الصراط، وغيرها.
- [٣١٢] الباب الخامس.

- [٣١٣] لاحظ سنن الترمذى (٤/ ٤٠١) ح ٢١٥٩ كتاب الفتن، وسنن ابن ماجه (٢/ ١٠١٥) ح ٣٠٥٥ كتاب المناسك، وسنن النسائي (٦/ ٣٥٣) ح ١١٢١٣ كتاب التفسير، ومسند أحمد (٢/ ٣٦٨).
- [٣١٤] سيأتى فى الباب الثامن.
- [٣١٥] المجروحين لابن حبان.
- [٣١٦] الأنساب للسمعاني (الرميلى) ظهر ص ٢٥٩. من طبعه مرجليوث.
- [٣١٧] ذيل تاريخ بغداد لابن النجار.
- [٣١٨] تاريخ حلب لابن أبى جراد.
- [٣١٩] فى (هـ): المصاحفى.
- [٣٢٠] صحيح البخارى (١/ ١١٠ و ١١٢ و ١١٣) و (٢/ ٩١ و ١٠٦) و (٤/ ١٤٤) و (٥/ ١٣٩ و ١٤٠) و (٧/ ٤١) وصحيح مسلم (٢/ ٦٧).
- [٣٢١] أورد هذه الفتوى ابن عبد الهادى فى (العقود الدرية) ص (٣٣٢ - ٣٤٠) ونقلها فى مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٧/ ١٨٢ -) وقد قابلنا المطبوع فى كتابنا بما فيهما، ووضعنا ما أضيف بين المعقوفين.
- [٣٢٢] فى المجموع: (قبور الأنبياء والصالحين).
- [٣٢٣] تأخير (والمسجد الأقصى).
- [٣٢٤] سنن الدارقطنى وهكذا نقله ابن تيمية عن ابن ماجه، وسيأتى ردّ المصنّف عليه أنه ليس فى سنن ابن ماجه، وهو كذلك، ولكن المحقق السلفى (الأمين!) للعقود الدرية حذف كلمة (وابن ماجه) فلاحظ (ص ٣٣٣)!! والغريب ان ابن عمه جامع (مجموع فتاوى ابن تيمية) أثبت فيه (٢٧/ ١٨٥) فلاحظ الجمع بين الخيانة والغباء. وقد مرّ نقله عن العقيلى فى الضعفاء فى الحديث (١٣) من الباب الأول، فراجع.
- [٣٢٥] فى المجموع والعقود: أحد، بدل (واحد).
- [٣٢٦] أضاف فى المجموع والعقود هنا: ونحوه.
- [٣٢٧] فى المجموع والعقود: (القبور بأنه) بدل ما بين القوسين.
- [٣٢٨] حرف فى العقود هذه الفقرة إلى هنا، فلاحظ.
- [٣٢٩] صحيح البخارى (٨/ ٥٤٠) ح ١٥٤٥ كتاب الايمان والنذور باب (٨٦٧) النذر فى الطاعة.
- [٣٣٠] فى المجموع والعقود (وفعله).
- [٣٣١] فى العقود والمجموع: (بطلان) بدل: ضعف.
- [٣٣٢] فى المجموع (يسلم لهم) بدل: يدلهم، ولم يرد فى العقود؛ وفيه: بشد رحل، ولأن السفر.
- [٣٣٣] فى العقود والمجموع: يجاب عنه، بدل: يحتمل.
- [٣٣٤] فى العقود والمجموع بدل ما بين القوسين: من جهة اتخاذه قرية.
- [٣٣٥] فى العقود والمجموع: (نذر الرجل أن يسافر) بدل: (قدّر أن الرجل يسافر).
- [٣٣٦] فى العقود والمجموع: بدل ما بين القوسين: «أن هذا الحديث يقتضى النهى». والأصوب ما فى كتابنا، لأنّ المذكور فى الحديث هو النفس، فلاحظ.
- [٣٣٧] لاحظ ما علقناه فى صدر الحديث الأول من الباب الأول من كتابنا هذا (ص) وقال العلامة ممدوح: شاع بين كثير من الناس (!) أن أحاديث الزيارة كلها ضعيفة، بل موضوعة!! وهو خطأ بلا ريب، ومصادم لقواعد الحديث بلا مين، ويكفى اللبيب قول الذهبى الحافظ الناقد عن حديث الزيارة: طرقه كلها لينة، لكن يتقوى بعضها ببعض لأنّ ما فى روايتها متهم بالكذب! نقله عنه السخاوى،

وأقوّه، في المقاصد الحسنه (ص ٤١٣) لاحظ (رفع المناره ص ٩).

[٣٣٨] سنن أبي داود (٢/ ٢١٨) كتاب المناسك، باب زيارة القبور ح ٢٠٤٢ من حديث أبي هريرة. ولاحظ ما ذكره أحمد.

[٣٣٩] الموطأ لمالك، لم نجده في الموطأ المطبوع!

[٣٤٠] سنن أبي داود (الموضع الأسبق).

[٣٤١] سنن سعيد بن منصور.

[٣٤٢] صحيح البخاري (١/ ٢٥٠) باب (٢٩٦) حلّ نبش قبور مشركي الجاهلية ح ٤١٧.

[٣٤٣] في العقود والمجموع: (إليه) بدل ما بين القوسين.

[٣٤٤] في العقود والمجموع (الوقوف للسلام) بدل: وقت السلام.

[٣٤٥] في العقود بدل ما بين القوسين (يستقبل القبر عند الدعاء) فلاحظ.

[٣٤٦] صحيح البخاري (٢/ ٩٣) باب بناء المساجد على القبر.

[٣٤٧] تفسير الطبري الدر المنثور للسيوطي (٦/ ٢٦٩) عن ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى ولا تذرنّ وداً ولا سواعاً....

[٣٤٨] علّق في العقود الدرية: في قاعدة جليّة في التوسل والوسيلة، وفي الرد على الأخنائي والبكري وفي اقتضاء الصراط المستقيم،

وفي منهاج السنة، وغير ذلك كثير.

[٣٤٩] في العقود والمجموع: «دين!» بدل (ما).

[٣٥٠] قبلناه على النسخة المطبوعة في مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٧/ ص ١٨٤ - ١٩٢) وأثبتنا الفوارق هنا باسم (المجموع).

[٣٥١] لم يخرج ابن ماجه. وهذا من موارد جهل ابن تيمية بتخريج الحديث ومصادره، ونسبته لما يشتهى إلى المحدثين الكبار

ترويجاً لرأيه، وقد مرّ الحديث في الباب الأول برقم (١٣) عن الضعفاء للعقيلي.

[٣٥٢] تقدّم.

[٣٥٣] تاريخ بغداد للخطيب.

[٣٥٤] تقدّم في جميع الباب الأول، وكذا الباب الثاني من هذا الكتاب.

[٣٥٥] مرّ في الباب الرابع.

[٣٥٦] تقدّم.

[٣٥٧] حديث أبي أيوب الأنصاري، والتزامه القبر واحتضانه. رواه المحدثون الأئمة الكبار في مصنفاتهم، مثل: مسند أحمد (٥/ ٤٢٢)

مسند أبي أيوب. ومستدرک الحاكم (٤/ ٥١٥) وكنز العمال (٦/ ٨٨) عن أحمد والحاكم ومجمع الزوائد (٥/ ٢٤٥) عن أحمد

والطبراني في الكبير والأوسط.

[٣٥٨] قدّمناه.

[٣٥٩] قصيدة العنبي مذكورة في أكثر مصادر مسألة الزيارة، وجاءت في كتب الحديث، والفقه، والتاريخ، فذكرها النووي في (الأذكار)

(٥/ ٤٢ - ٤٣) المطبوع مع الفتوحات الربانية وانظر هامشه (ص ٣٩). لكنها محذوفة من طبعه السعوديين السلفيين، الأمناء! في الرياض

عام ١٤٠٩هـ وانظر المغني لابن قدامة (٣/ ٥٨٩) والشرح الكبير (٣/ ٤٩٤) وكشاف القناع للبهوني (٢/ ٥١٥) والثلاثة الأخيرات من

كتب فقه الحنبليّة. وانظر الأحكام السلطانية للماوردى (ص ١٠٩ - ١١٠) ودفع الشبه للحصيني (ص ١٤٢ - ١٤٤).

[٣٦٠] الشفاء للقاضي عياض، الباب الثالث (٢/ ١٩٨) الفصل ٩.

[٣٦١] الشفاء للقاضي عياض، الباب الرابع.

[٣٦٢] الشفاء (٢/ ١٩٩).

- [٣٦٣] الصلة لابن بشكوال.
- [٣٦٤] كلمة (في) ساقطة من النسخ، فلتلاحظ.
- [٣٦٥] في (هـ): العماج.
- [٣٦٦] الأنساب للسمعاني (الجزائري) ظهر ص ١٢٩، من طبعه مرجليوث.
- [٣٦٧] في (هـ): الطبسي.
- [٣٦٨] تاريخ بغداد (١٤ / ٢٩١) وفيه: الطستي.
- [٣٦٩] ما بين المعقوفين ساقط من النسخ ومحلّه في الهندية: (؟) علامة استفهام بين القوسين، والظاهر أن الإمام السبكي انتقد ابن تيمية في إطلاقه هذه اللفظة على حكاية مالك، كما في نص فتواه التي سبق نقلها في ص.
- [٣٧٠] انظر (ص).
- [٣٧١] تقدّم.
- [٣٧٢] كلام ابن تيمية في الاستغاثة والتوسل. في مجموع فتاوى ابن تيمية الجزء الأول صفحات عديدة منها (١٤٠ - ١٤١) و (٣١٥ - ٣٢٢) و (٣٤٢ - ٣٤٣) وغيرها، وله كتاب باسم (التوسل والوسيلة) مطبوع.
- [٣٧٣] المستدرک على الصحيحين، للحاكم (٢ / ٦١٥)، ورواه الآجری في الشريعة (ص ٤٢٧) وانظر ص ٤٢٢، ولاحظ الدر المنثور للسيوطي (١ / ٦٠). وقد ذكر الإمام ابن الصديق في الرد المحكم المتين (ص ١٣٨ - ١٣٩) شاهداً للحديث، أخرج ابن الجوزي في الوفا بفضائل المصطفى كما في فتاوى ابن تيمية (٢ / ١٥٠) نقل ذلك الاستاذ محمود في رفع المنارة (ص ٧ - ٢٤٨).
- [٣٧٤] في (هـ): المعدل.
- [٣٧٥] في (هـ): اعترف.
- [٣٧٦] في (هـ): بالخطيئة.
- [٣٧٧] دلائل النبوة للبيهقي (٥ / ٤٨٩) عن الحاكم.
- [٣٧٨] لم يطبع من المعجم الكبير للطبراني مسند عمر! ولكنه موجود في المعجم الصغير (٢ / ٨٢)، وانظر مجمع الزوائد (٨ / ١٥٣) فقد نقله عن الأوسط والصغير.
- [٣٧٩] في (هـ) حمشاد.
- [٣٨٠] المستدرک للحاكم (٢ / ٦١٥).
- [٣٨١] لا، بل هو متعمد الكذب في مثل هذا المجال، وقد تفتن له الحافظ ابن حجر حيث قال في ترجمته في لسان الميزان: طالعت ردّ ابن تيمية على الحلّي، فوجدته كثير التحامل في ردّ الأحاديث التي يوردها الحلّي، ورد (ابن تيمية) في ردّه كثيراً من الأحاديث الجياد، لسان الميزان (٦ / ٣١٩) من الطبعة الهندية. وانظر الدرر الكامنة لابن حجر (٢ / ٧١). وقال الاستاذ عبد الفتاح أبو غدة: ولشيخنا الكوثري الإمام الحسن بن زاهد (رحمه الله): «التعقب الحثيث لما ينفيه ابن تيمية من الحديث» لا يزال مخطوطاً، كذا في الرفع والتكميل في الجرح والتعديل للكهنوي ص ١٩٩ هامش. وقال: وانظر لزماً: الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة (ص ١٧٤ - ١٧٦) للمؤلف للكهنوي. أقول: وانظر رفع المنارة (هـ ص ٢٠ - ٢١) وقد ذكر مؤلفه الفاضل: أن له جزءاً في الأحاديث التي ينكرها ابن تيمية، لشططه!.
- [٣٨٢] حديث الغار أخرجه البخاري في صحيحه (٣ / ٥١) باب من استأجر أجييراً...
- [٣٨٣] حديث الأبرص والأقرع والأعمى أخرجه البخاري في صحيحه (٤ / ١٤٦) و (٧ / ٢٢٣).
- [٣٨٤] الجامع الصحيح (سنن الترمذي) كتاب الدعوات ح (٣٥٧٨) وسنن ابن ماجه (١ / ٤٤١) رقم (١٣٨٥) والطبراني في المعجم الكبير

(١٩ / ٩)، ومستدرک الحاكم (٣١٣ / ١ و ٥١٩) وصححه ووافقه الذهبي. وأسد الغابة (٥٥٧ / ٣)، ودلائل النبوة للبيهقي (١٦٦ / ٦) ومن دعواته الكبير. وللأستاذ العلامة محمود السعيد: بحث قيم حول أسانيد الحديث، وفيه ردّ قوى على الألباني المبتدع، الذي ضعف الحديث، فراجع رفع المنارة (ص ١٢٢ - ١٤٦).

[٣٨٥] اليوم والليله، للنسائي (ص ٤١٧). ومسنّد أحمد (١٣٨ / ٤) والبخاري في تاريخه (٢٠٩ / ٦).

[٣٨٦] سنن ابن ماجه (١ / ٤٤١) باب ما جاء في صلاة الحاجه ورواه أحمد في المسنّد (١٣٨ / ٤) وسنن الترمذی (٥ / ٢٢٩) ومستدرک الحاكم (١ / ٣١٣ و ٥٢٦).

[٣٨٧] دلائل النبوة للبيهقي (١٦٦ / ٦) وفيه: فيجلى لى بصرى. ورواه أحمد في مسنده (١٣٨ / ٤) وقد مرّ تخريجه عن الترمذی وغيره.

[٣٨٨] الدعوات الكبير للبيهقي (ص ٢٥١) ح ٢٠٤.

[٣٨٩] المعجم الكبير للطبراني (١٧ / ٩) رقم ٨٣١١، وخرجه المعلق: رواه الطبراني في المعجم الصغير (١ / ١٨٣) وصحّحه، وفي كتاب الدعاء له. ورواه ابن السني في عمل اليوم والليله (ص ٢٠٩) رقم (٦٢٨) والحاكم في المستدرک (١ / ٥٢٦) والبيهقي في دلائل النبوة (١٦٧ / ٦).

[٣٩٠] في (ه): قبرس.

[٣٩١] دلائل النبوة للبيهقي.

[٣٩٢] الصحيحان: البخاري (٢ / ٤٥٥) كتاب الاستسقاء، باب (٦٤٣) الاستسقاء يوم الجمعة، وفيه: ستاً. ومسلم (٢ / ٢٤) كتاب صلاة الاستسقاء.

[٣٩٣] دلائل النبوة للبيهقي (١٤٣ / ٦) باب استسقاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وفيه: السلمى بدل (السعدى).

[٣٩٤] في (ه): عبيد.

[٣٩٥] في (ه): السعدى.

[٣٩٦] سنن أبي داود (٤ / ٢٣٢) كتاب السنّة، باب الجهميّة ح ٤٧٢٦ وهو حديث الأيطي!

[٣٩٧] في (ه): يصيحون.

[٣٩٨] دلائل النبوة للبيهقي (١٤٠ - ١٤٢) وفيه اختلاف في متن الأشعار.

[٣٩٩] صحيح البخاري (٢ / ٤٥٣) كتاب الاستسقاء، باب (٦٤٠) سؤال الناس الإمام إن قحطوا، ح (٩٤٧). و(٨٢ / ٥) كتاب فضائل أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) باب (٤١) ذكر العباس ح ٢٢٩، وانظر فتح الباري (٢ / ٤٩٤)، وأورده البغوى في شرح السنّة (٣ / ٤٠٩) والبيهقي في دلائل النبوة (١٤٧ / ٦) وفي السنن الكبرى (٣ / ٣٥٢).

[٤٠٠] مرّ حديثه في (ص)، وأورده الحاكم في المستدرک (٣ / ٣٣٤) وفيه قول عمر: واتخذوه وسيلة إلى الله فيما نزل بكم. ولاحظ منّح المدح لابن سيد الناس (ص ١٩١ - ١٩٢).

[٤٠١] في الهنديّة: ارتجت.

[٤٠٢] راجع الباب العاشر.

[٤٠٣] دلائل النبوة للبيهقي (٧ / ٤٧) وقد أورده ابن أبي شيبة في المصنف (١٢ / ٣١ - ٣٢) وابن حجر في الإصابة (٣ / ٤٨٤) والقرطبي في الاستيعاب (٢ / ٤٦٤). وانظر فتح الباري (٢ / ٤٩٥)، والبدایة والنهائة لابن كثير (٧ / ١٠١)، وجامع المسانيد - مسند عمر - (١ / ٢٢٣)، وقد أقر ابن تيمية بثبوته في اقتضاء الصراط له (ص ٣٧٣). وقد فصل الأستاذ محمود السعيد الممدوح في رفع المنارة (ص ٢٦٢ - ٢٧٨) في الكلام عليه وعلى إسناده، وردّ في نحر الألباني في تضعيفه، فراجع.

[٤٠٤] دلائل النبوة للبيهقي (٥ / ٣٠٧) باب تعليم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عثمان بن أبي العاص.

- [٤٠٥] الصحاح للجوهري (٦/ ٢٢٣١) جوه.
- [٤٠٦] مجمل اللغة (٣/ ٩١٧) (وجه) وما يثقلها.
- [٤٠٧] المعجم الكبير للطبراني.
- [٤٠٨] أي في ما قدر الله تعالى إمكانه، فلو قدر امتناعه فهو جار على ما قدر من الامتناع، وتعالى أن يتناقض تقديره وفعله، فلاحظ. وكتب السيد.
- [٤٠٩] صحيح البخاري (٤/ ١١٣) و(٥/ ٢٢٨) ومفصلاً في (٨/ ٢٠١).
- [٤١٠] الكامل في الضعفاء لابن عدي.
- [٤١١] تاريخ بغداد (٧/ ٤٠٤) رقم ٣٩٤٨.
- [٤١٢] مجمع الزوائد (٨/ ٢١١) وقال رواه أبو يعلى والبخاري ورجال أبي يعلى ثقات.
- [٤١٣] قال في الفتح في باب واذكر في الكتاب مريم من أحاديث الأنبياء: أخرجه البخاري لكن وقع عنده عن الحجاج الصواف وهو وهم، والصواب الحجاج الأسود لما وقع التصريح به في رواية البيهقي وصححه البيهقي.
- [٤١٤] صحيح مسلم (١/ ١٠٦ - ١٠٨) كتاب الايمان، باب من ذكر المسيح.
- [٤١٥] سنن أبي داود (٢/ ٨٨) كتاب الصلاة، باب في الاستغفار ح ١٥٣١.
- [٤١٦] السنن الكبرى للبيهقي (٣/ ٢٤٩) كتاب الجمعة، باب ما يدخر به في ليلة الجمعة ويومها.
- [٤١٧] السنن الكبرى (٥/ ٢٤٥) كتاب الحج، باب زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).
- [٤١٨] صحيح البخاري (٤/ ١٣١) و(٧/ ١٩٣) و(٨/ ١٩٢) وصحيح مسلم (٧/ ١٠١).
- [٤١٩] سنن ابن ماجه (١/ ٥٢٤) ح ١٦٣٧، تقدم.
- [٤٢٠] دلائل النبوة للبيهقي.
- [٤٢١] صحيح مسلم (١/ ١٠٥).
- [٤٢٢] سنن أبي داود (١/ ٥٦٦). والمستدرک علی الصحیحین للحاکم (٢/ ٨٨) و(٢/ ٢٩٧) وأورده البيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٦٣).
- [٤٢٣] صحيح مسلم (٦/ ٣٨) كتاب الإمارة، باب في بيان أن أرواح الشهداء في الجنة.
- [٤٢٤] سنن الترمذي (٤/ ٢٩٨)، ورواه ابن ماجه (٢/ ٩٣٦) ح (٢٨٠٠).
- [٤٢٥] ذكر المؤرخ المتتبع عاتق بن غيث البلادي - مؤرخ مكة المكرمة وجغرافيتها اليوم - أنه لما حُفرت منطقة الشهداء في مكة لتأسيس بعض المباني، عُثر على قبر فيه جسد طري، ويد المدفون على صدره، فلما ازيحت اليد عن الصدر انبعث الدم، وكلما أُعيدت إلى موضعها انقطع الدم، فتركوا الجسد في الموضع، وعقوا عليه. وهذا الموضع هو المعروف باسم «فخ» الذي كانت فيه معركة بين جماعة من أهل البيت، والأمويين عام (١٣) للهجرة. وكتب السيد.
- [٤٢٦] صحيح البخاري (٢/ ٥٦٧) باب (٨٥٢) الميت يسمع خفق النعل ح (١٢٤٨).
- [٤٢٧] صحيح مسلم (٣/ ٣٢)، ولاحظ صحيح البخاري (١/ ٢٩ و ٣٠ و ٥٤ و ٢٢١) و(٢/ ٢٨) و(٨/ ١٤١). ومسنده أحمد (٦/ ٣٤٥)، والسنن الكبرى للبيهقي (٣/ ٣٣٨)، ولاحظ كنز العمال (١٥/ ٦٣٣).
- [٤٢٨] سنن الترمذي (٢/ ٢٦٧).
- [٤٢٩] صحيح البخاري (٢/ ٨٨).
- [٤٣٠] حديث القلب، صحيح البخاري (٢/ ١٠١) ولاحظ كتاب الجنائز باب (٨٧١) ما جاء في عذاب القبر ح ١٢٧٨، ولاحظ (٥/ ٩)

وصحيح مسلم (٣/ ٤٤) ومستدرک الحاكم (٣/ ٢٢٤) ومسند أحمد (٢/ ١٣١) و(٦/ ٢٧٦).

[٤٣١] في (ه): البکراوی.

[٤٣٢] البخاری، مسلم.

[٤٣٣] مسند الطيالسی.

[٤٣٤] صحيح البخاری (١/ ٦١) و(٢/ ٩٩) و(٢/ ١٠٣) باب عذاب القبر من الغيبة والبول و(٧/ ٨٦)، صحيح مسلم (١/ ١٦٦)، مسند

أحمد (١/ ٢٢٥) و(٥/ ٣٥ و ٣٩ و ٢٦٦)، وسنن الدارقطني (١/ ١٨٨)، وسنن ابن ماجه (١/ ١٢٥) والسنن الكبرى للبيهقي (٢/ ٤١٢).

[٤٣٥] صحيح البخاری (٦/ ٤٢٧) كتاب التفسير/ سورة ابراهيم باب (٣٧٧) ح ١١٢٣. صحيح مسلم.

[٤٣٦] مسند أحمد (٤/ ٢٩٦) ونحوه في سنن أبي داود (٢/ ٤٢٥).

[٤٣٧] مسند الكسبي عبد بن حميد.

[٤٣٨] شرح السنة للبغوي.

[٤٣٩] الشامل للجويني.

[٤٤٠] أبحاث الأفكار للآمدى.

[٤٤١] أخرجه مسلم في صحيحه (٨/ ١٦٠). ومسند أحمد (٥/ ١٩٠).

[٤٤٢] أخرجه مسلم في صحيحه (٨/ ١٦٠) كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة... وانظر سنن النسائي (٤/

١٠٢) ومسند أحمد ٣/ ١١١ و ١١٤.

[٤٤٣] في الأصل: يلتفت.

[٤٤٤] المستدرک على الصحيحين للحاكم (٣/ ٦١) ومسند أحمد (٦/ ٢٠٢) وعنه في مجمع الزوائد (٨/ ٢٦) و(٩/ ٣٧).

[٤٤٥] أخرجه.

[٤٤٦] أخرجه.

[٤٤٧] صحيح البخاری (١/ ٢٦٢) باب (٣٢٤) رفع الصوت في المسجد.

[٤٤٨] المنصف لابن أبي شيبة.

[٤٤٩] لاحظ: السنن الكبرى للبيهقي (٧/ ٦٩).

[٤٥٠] قال السبكي: للسيد الصفوي هنا تحقيق في مسألة المعاد فليراجع، وعبارته: الإنسان هو مجموع الجسد، والروح، وما فيه من

المعاني، فإن الجسد الفارغ من الروح والمعاني يسمى «شبحاً» و«جثة» لا إنساناً، وكذا الروح المجرد لا يسمى «إنساناً» وكذا المعاني

المحقق لا تسمى على الانفراد «إنساناً» لا عرفاً، ولا عقلاً، انتهى من الأصول المنقولة عنها.

[٤٥١] وعلى ذكر هذا الكتاب، نورد هذه الظرفية التي سجلناها من قبل: قال الوهابي السلفي مشهور حسن في كتابه (كتب حذر

العلماء منها ١: ٤٥) ما نصه: الصنعاني (ت ١١٨٢) أصيب بالإسهال، وطلب له العلاج، فجيئ له بكتابين: الأول (الإنسان الكامل) للجيلي،

والآخر (المظنون به على أهله «كذبا») للغزالي. قال الصنعاني: طالعت الكتابين فوجدت فيهما كفرة صريحاً! فأمرت بإحراقهما بالنار،

وان يطبخ على نارهما خبز لي! فأكل من ذلك الخبز بتيه الشفاء (!) فما شكنا بعد ذلك مرضاً. نقول: لم يفهم جرو السلفية مشهور

حسن أنه دلّ بهذا على كفر الصنعاني الذي طلب الشفاء من غير الله! وإحراق الكتابين المشتملين على الآيات القرآنية والأحاديث

النبوية وأسماء الله والأنبياء. وإن كان له في ذلك أسوة بسلفه!!

[٤٥٢] إحياء علوم الدين للغزالي (٣/ ٩) كتاب شرح عجائب القلب، باب بيان معنى الروح والنفس والقلب والعقل.

[٤٥٣] أخرجه سنن النسائي (٤/ ٨). ومسند أحمد (٢/ ٣٦٤) و(٦/ ١٤٠). وسنن ابن ماجه (٢/ ١٤٢٤) ح ٤٢٦٢. وانظر مجمع الزوائد (٢/

(٣٢٨).

[٤٥٤] الشفاء للقاضي عياض (١/ ٤٣١) باب ٣ فصل (١٠) تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود.

[٤٥٥] أخرجه البخارى (٧/ ١٦ و ٢٦ و ١٨٣ و ١٩٨) ومسلم (١/ ١٣٦ - ١٣٨).

[٤٥٦] صحيح مسلم (١/ ١٣٦) كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب.

[٤٥٧] صحيح مسلم (نفس الموضوع).

[٤٥٨] صحيح البخارى (٨/ ٤٩٥) كتاب الرقاق، باب (٨٢١) يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ح ١٤٠٦.

[٤٥٩] صحيح البخارى (٧/ ١٩٩).

[٤٦٠] صحيح البخارى (٧/ ١٩٩ و ٢٠١)، صحيح البخارى (٨/ ٤٩٥) ح ١٤٠٧، ومسلم (١/ ١٢٢ و ١٣٦).

[٤٦١] صحيح مسلم (١/ ١٣٨) كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف....

[٤٦٢] أخرجه صحيح البخارى (٥/ ٢٢٧) وصحيح مسلم (١/ ١٢٩) ومسند أحمد (٢/ ٤٣٦).

[٤٦٣] أخرج الترمذى فى السنن (٤/ ١١١) وانظر: المغنى لابن قدامة (٢/ ٣٠١) متفق على هذه الأحاديث.

[٤٦٤] أخرجه أحمد فى المسند (٣/ ٢١٣) وسنن أبى داود (٢/ ٤٢١) وسنن ابن ماجه (٢/ ١٤٤١) ح (٤٣١٠)، والترمذى (٤/ ٤٥) ح (٢٥٥٢) وبعده ومستدرک الحاكم (١/ ٦٩ و ٣٨٢) والسنن الكبرى للبيهقى (٨/ ١٧).

[٤٦٥] صحيح مسلم (١/ ١٣١)، صحيح البخارى قوله (ولكل نبي دعوة) فى (٧/ ١٤٤). ومسند أحمد (٢/ ٢٧٥ و ٤٢٦).

[٤٦٦] سنن الترمذى (٤/ ٤٧) ح (٢٥٥٨).

[٤٦٧] سنن ابن ماجه (٢/ ١٤٤١) ح (٤٣١١).

[٤٦٨] صحيح مسلم (١/ ١٢٧) كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

[٤٦٩] صحيح البخارى (٦/ ٤٣٦) كتاب تفسير القرآن، باب (٣٨٨) ح (١١٣٧).

[٤٧٠] صحيح مسلم (١/ ١٢٥) كتاب الإيمان.

[٤٧١] صحيح البخارى (٩/ ٨٢١) كتاب التوحيد، باب ١٢٣١.

[٤٧٢] صحيح البخارى (٩/ ٧٨٨) كتاب التوحيد، باب (١٢١٣) ح ٢٢١٢. ومسلم (١/ ١٢٣) كتاب الإيمان، من أهل الجنة منزلة.

[٤٧٣] صحيح البخارى (٩/ ١) ب ١٢١٨ ح ٢٢٣٩.

[٤٧٤] صحيح مسلم (١/ ١٢٣) كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة.

[٤٧٥] مسند أحمد (١/ ٥).

[٤٧٦] صحيح مسلم (١/ ١٣٠) ولاحظ (١/ ١١٢)، لاحظ البخارى (١/ ١٩٦) و(٧/ ٢٠٥) و(٨/ ١٨٠)، وانظر مستدرک الحاكم (٤/ ٥٨٣).

[٤٧٧] صحيح مسلم (١/ ١١٧).

[٤٧٨] صحيح البخارى (٩/ ٧٩٨) ب ١٢١٨ ح ٢٢٣٩.

[٤٧٩] صحيح البخارى (٨/ ١٨٢).

[٤٨٠] صحيح البخارى (٢/ ٣٨١) كتاب الصلاة، باب (٥٢٢) فضل السجود ح ٧٦٢. وكتاب التوحيد (٩/ ٧٩٦) باب (١٢١٨) ح ٢٢٣٨.

[٤٨١] المصدر السابق.

[٤٨٢] سنن الترمذى (٥/ ٢٤٥) ح (٣٦٨٩).

[٤٨٣] سنن الترمذى (٥/ ٢٤٧) ح (٣٦٩٢).

[٤٨٤] سنن الترمذى (٢٤٧/٥) ح (٣٦٩٤) ولاحظ (٣٧٠/٤) ح (٥١٥٦).

[٤٨٥] سنن الترمذى (٢٤٨/٥) ح (٣٦٩٥).

[٤٨٦] سنن الترمذى (٤٢/٤) ح (٢٥٥٠).

[٤٨٧] صحيح البخارى (٥٠١/٨) كتاب الرقاق، باب (٨٢٢) صفه الجنة والنار ح (١٤٣١) وانظر (٣٣/١) باب الحرص على الحديث. وفيه: من قلبه أو نفسه.

[٤٨٨] صحيح البخارى (٤٩٣/٨) باب الرقاق، باب (٨١٩) القصاص يوم القيامة ح ١٤٠٠ وفى (١٩٧/٧).

[٤٨٩] أخرجه البخارى (١٧٣/٨) وانظر (١٦/١)، وصحيح مسلم (١٢٥/١) وسنن ابن ماجه (٢/١٤٤٣)، والترمذى (١١٢/٤)، وانظر كنز العمال (٣٩٧/١٤).

[٤٩٠] صحيح البخارى (٨٥/١) كتاب الإيمان، باب (٣٤) زيادة الإيمان ونقصانه ح ٤٣.

[٤٩١] صحيح البخارى (٨٢١/٩) كتاب التوحيد، باب (١٢٣١) كلام الرب يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ح ٢٣٠٨.

[٤٩٢] أخرجه صحيح مسلم (١٢٣/١).

[٤٩٣] صحيح البخارى (٥٠٠/٨) كتاب الرقاق باب (٨٢٢) صفه الجنة والنار، ح ١٤٢٨، وفى آخره: يسمون الجهنميين، وفى طبعه (٧/٢٠٣).

[٤٩٤] صحيح مسلم (١٣٠/١).

[٤٩٥] صحيح مسلم (١٢٢/١).

[٤٩٦] مسند أحمد (٣/٤٥٦)، ومستدرک الحاكم (٢/٣٦٣)، ومجمع الزوائد (٧/٥١) عن أحمد.

[٤٩٧] صحيح مسلم (١٢٢/١).

[٤٩٨] صحيح البخارى كتاب التفسير، باب (٣٩٤) ح ١١٤٣ تفسير قوله تعالى: حتى يبعثك ربك مقاماً محموداً وفى طبعه (٥/٢٢٨)، وفى طبعه الميمية (١٠٨/٦) تفسير سورة بنى إسرائيل.

[٤٩٩] الشفاء للقاضى عياض.

[٥٠٠] فى (هـ): اربعين.

[٥٠١] صحيح مسلم (١٢٢/١)، الشفاء للقاضى عياض.

[٥٠٢] أخرجه البخارى (٢٢٨/٥) باب قوله عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً.

[٥٠٣] أخرجه الحاكم فى المستدرک (٢/٣٦٣).

[٥٠٤] مسند أحمد (٣/٤٥٦) ومستدرک الحاكم (٢/٣٦٣) ومجمع الزوائد (٧/٥١) عن أحمد.

[٥٠٥] مسند أحمد (٢/٢٧٥).

[٥٠٦] سنن ابن ماجه (٢/١٤٤١)، ومجمع الزوائد (١٠/٣٧٨) عن أحمد والطبرانى.

[٥٠٧] أقول: والمؤلفات فى نصوص الصلوات المأثورات وفضل الصلاة، كثيرة جداً.

[٥٠٨] فى الأصل: وجبار.

[٥٠٩] فى النهج: والدافع.

[٥١٠] فى (هـ): المضمون.

[٥١١] فى (هـ): المحلول.

[٥١٢] فى (هـ): البنائين.

[٥١٣] فى النهج: وخطبة.

[٥١٤] أخرجه إلى قوله: «وبرهان». فى كنز العمال (٢/ ٢٧١) برقم (٣٩٨٩) وقال: (طس، وأبو نعيم فى عوالى سعيد بن منصور) عن سلامة الكندى، قال: كان على يعلم الناس الصلاة على النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول:.

[٥١٥] أخرجه أحمد فى المسند (٤/ ١٠٨). وفى مجمع الزوائد (١٠/ ١٦٣) قال: رواه البزار والطبرانى فى الأوسط الكبير، وأسانيدهم حسنة. وفى كنز العمال (١/ ٤٩٦) رقم ٢١٨٨، (حم، وابن قانع عن رويغ بن ثابت). وفى (٧/ ٧٠٤) رقم ٢١٠٢٠: من قال إذا سمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة... الخ (قط فى الافراد عن جابر).

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بأموالكمم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).

قال الإمام على بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - فى تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فىض الاسلام، ص ١٥٩؛ عُيُونُ أَخْبَارِ الرِّضَا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافى بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادى" - "رَحِمَهُ اللهُ" - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذى قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبى (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، فى سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه وطريقه لم ينطفئ مصباحها، بل تتبع بأقوى وأحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمية" للتحرى الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطه من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامى - دام عزه - ومع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرى الأدق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتى المبتدله أو الرديئه - فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامع ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءة و إغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلاميه، إناله منابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة فى جامعه، و...

- منها العدالة الاجتماعيه: التى يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - فى آكناف البلد - و نشر الثقافه الإسلاميه و الإيرانية - فى أنحاء العالم - من جهه أخرى.

- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتى "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية

(و) الإطلاع و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعىة و اعتبارية، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جَمكران و...

ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسة " الخاص بالأطفال و الأحداث المُشاركين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنه

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد/ " ما بين شارع "پنج رمضان " و "مفترق" و فائى/ "بنايه" القائمية "

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (=١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافى الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينية و العلميه الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً مترائداً لإعانتهم - فى حد التمكن لكل احد منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولى التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

